اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

الفكر الديني لبلاد وادي النيل منذ عصر التأسيس وحتى عام 332 قبل الميلاد

أطروحة مقدمة إلى
مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد
كجزء من متطلبات نيل شهادة
فلسفة / التاريخ القديم

من قبل الطالب

خالد عبد الملك

2002 م

يعد الدين قاعدة من قواعد المجتمع البشري ، والاهتمام به من الغرائز التي فطر عليها الانسان على مرِّ العصور ، وانتشرت فكرة الدين بينهم منذ القدم خاصة في المناطق المكونة لبلاد الشرق الأدنى كسكان بلاد وادي النيل ، فلا توجد أمة قد تأصلت الديانة فيها، وامتزجت بحياة اهلها كالأمة المصرية إذ تركت عظيم الأثر في مدنيتهم ، وعلومهم ، وفنونهم، وأثارهم .

فلولا معتقدات المصريين الدينية لما رأينا مثلاً المعابد ، والأهرامات ، والمقابر، والتماثيل ، والتحنيط وغير ذلك .

والأهم من ذلك أن الحضارة المصرية القديمة تقدم لنا كم هائل من العقائد الدينية، ترتبط نماذجها بواحد من ثلاث إما بأشكال حية حيوانية أو نباتية ، أو بأشكال مادية غير حية، أو بصورٍ بشرية قائمة .

وعندما أحرزت الحضارة المصرية درجة معينة من التمدن حدث تطور في مفاهيم ومظاهر الديانة المصرية القديمة بأشكالها السابقة الذكر حيث أفضى الى ازدياد القوى التجريدية لدى هؤلاء المصريين واصبحت القيم المعنوية لديهم اعظم تأثيراً وهي القيم التي تطورت مظاهرها في الانسان اكثر من أية كائنات اخرى .

فالمعبودات التي يعزى اليها قدر جليل من المعرفة والقدرة ، اصبحت تمثل في صورة انسانية في النهاية ، وهذا ما شكل الاساس لفكرة الآلهة لدى الانسان .

اذ تجلت قدرة الآلهة في أول الأمر على هيئة انبثاق وضاء ، تسببت بأساليب متنوعة في خلق السماء ، والارض ، والاخرة ، والجبال ، والتلال ، والوديان ، والصحارى ، والانهار، والبحار ، والبشر ، والحيوان ، والنبات ، والاحجار ، وكل ما يشكل عالمنا الراهن.

أما آلهة مصر القديمة فتتمايز عن بعضها البعض بألقابها ، وأعيادها ، والمدن والاقاليم التي ارتبطت بعبادتها في الاصل ، اذ كان للمتغيرات السياسية أثرها الكبير في مصائر العديد من الآلهة في العصور القديمة ، كالاختفاء التام لبعضها من على مسرح الحياة الدينية او صعود البعض الاخر منها الى المقام الاكبر ، أو التغير التدريجي في صفات وطبيعة العديد منها .

ومن الجدير بالذكر ان المصري القديم كانت له آراء حول خلق كل من الآلهة والبشر والاشياء ، قدمها اللاهوتيون على شكل نظريات رامية الى تفسير نشأة العالم ، أكثر هذه النظريات اهمية هي فلسفة الاشمونيين وهليوبوليس ومنف وخلاصتها أن الايمان العميق بالآلهة قد افضى إلى فضيلة الطاعة ، كواحدة من الفضائل التي تظهر نوايا الانسان الحسنة.

فكانت المعابد الخاصة بالالهة ، والمعابد الجنزية المحيط الذي تمارس فيه هذه الطاعة من خلال فروض الاحترام والتقديس .

واقدم أشكال المعابد المصرية تمثل اكواخ خشبية وضعت عليها فيما بعد ساريات الأعلام . اما في الدولة القديمة فقد كانت المعابد الجنزية الملحقة بالاهرام هي: السائدة . واتخذ المعبد في الدولة الوسطى والحديثة شكلاً يكاد يكون ثابتاً لا يتغير . وقد كان لهذه المعابد دون أدنى شك اهمية خاصة في حياة المصريين القدامى . فقد انعكس حب المصريين للحياة والطبيعة من خلال معابدهم واضرحتهم التي تزهو بالألوان ، واعمال النحت ، فهناك رسومات لطيور ذات ريش بألوان متعددة ، وبحيرات مليئة بالاشجار ، وقطعان الاغنام المتحركة صيفاً ، فضلاً عن ان هذه المعابد كانت تجهز بتشكيلات من رجال الدين والكهنة . فالأعمال والمراسيم الدينية والخدمة المستمرة تؤدئ من جانب رجال الدين المحترفين . أما الكهان فكانوا ينتمون الى أسر نبيلة عادة فيلاحظ حصول ارتفاع في مركزهم ، وازدياد في عددهم وطبقاتهم ازدياد أكبر في عهد الامبراطورية – الدولة الحديثة – ، ثم انتقلت السلطة الفعلية إلى أيديهم – وبالذات كبار الكهنة – في عهد السلالة الواحدة والعشرين .

ويمكن القول أن أكبر تحدي وقف ضد طوائف الكهنة جاء من مذهب التوحيد الشمسي الذي دعا اليه امنحوتب الرابع (اخناتون) ، ولكي يتسنى لاخناتون انجاز هذا كون حزب قوي تركز مهمته حول نشر العقيدة الجديدة .

ويبدو أن أهم ما ذهبت إليه العقلية المصرية القديمة ، هو اهتمامها المفرط بشؤون ما بعد الموت من خلال طرق الدفن ، أو المحافظة على الأجسام في القبر سالمة غير معبوث بها من خلال الاعتناء بالقبور ، وأيضاً الطريقة التي ابتدعوها للمحافظة على هيكل الجسم من البلي بالتحنيط .

ورغم وجود الكثير من الكتب التي تتناول هذا الجانب من الدراسة والتي أوردت بعضها في قائمة المصادر والمراجع فلا يوجد حسب علمي أية دراسة منهجية متخصصة تتناول البحث داخل القطر ، فمثلاً : لم تلتزم معظم الدراسات التي تناولت الفكر الديني بمدة زمنية معينة في تاريخ مصر السياسي ، مما تسببت في اطلاق تعميمات غير دقيقة عن بنية الفكر الديني القديم وطبيعته .

ان هذه الاطروحة ، هي : محاولة وصفية تحليلية لدراسة الفكر الديني لبلاد وادي النيل منذ عصر التأسيس وحتى عام 332 قبل الميلاد ، اما الاهداف التي رامت تحقيقها هذه الاطروحة فتتضح من خلال بحث التساؤلات الاتية :

ماهية الفكر الديني القديم لدى المصريين القدامى ، أولاً : فيما اذا كانت المعرفة البشرية هي القوة الفاعلة وراء اعتقاد المصريين القدماء ؟ واذا كانت كذلك كيف تكونت لديهم عناصر الديانة ؟ ، وثانياً ما هو تصور الانسان عن الحياة الدنيا والاخرة في ظل وجود اللاهوت ؟ .

نطاق البحث

يمثل الفكر الديني في بلاد وادي النيل خلاصة تجربة روحية لمجتمعات بلاد وادي النيل ، وتقوم على الابداع لحكم الآلهة المصرية ، قادها ملوك السلالات المصرية ، ونفذتها شخصيات الكهنة في المعابد المصرية المنتشرة وسدنتها .

انتظم البحث في أربعة فصول : تناول **الفصل الاول** موجز التاريخ السياسي القديم حتى عام 332 قبل الميلاد ، وهو مقسم على خمسة مباحث ، الأول كان تمهيداً حول اوضاع مصر قبل قيام الدولة القديمة والثاني عنىَّ بأحوال مصر السياسية منذ قيام الدولة القديمة حتى قيام الدولة الوسطى (2700–2050 ق.م) . أما الثالث فتصدى للبحث عن السياسية في مصر منذ عهد الدولة الوسطى حتى قيام الدولة الحديثة (2050 – 1570 ق.م) وتضمن الرابع البحث في أحوال مصر السياسية خلال عصر الدولة الحديثة (1570–1090 ق.م) . وتناولنا في الخامس أحوال مصر السياسية في العصر المتأخر (1090 –332ق.م) فالعلاقة القائمة بين العقائد ومسؤوليات الحكم تجعلنا نأخذ بنظر الاعتبار الأثر السياسي كعامل هام في قيام الطقوس والعادات والعقائد .

وخصص **الفصل الثاني** للآلهة وهو مقسم على اربعة مباحث الاول منها تمهيد حول الدين بصورة عامة وتم في الثاني دراسة الآلهة (الآلهة المحلية ، وآلهة الاقاليم ، والآلهة الكونية) . وتناولنا في الثالث آلهة الخلق ونظرياته فكان مقسم على :-

أ- نظرية هليوبوليس

ب- نظرية الاشمونيين

ج- نظرية منف

2- خلق الانسان والوهيته

3- الأساطير

أ-اسطورة دمار البشر

ب- اسطورة اوزيريس

أما الرابع فقد استعرض الآلهة والأخلاق .

بينما عني **الفصل الثالث** بدراسة مظاهر الحياة الدينية (الحياة الدنيا) من خلال تقسيمه على خمسة مباحث المبحث الاول المعابد بأشكالها المختلفة (معابد الالهة والشمس ، معابد الاهرام ، المعبد الجنائزي ، معبد الوادي ، المعابد المصرية خارج مصر) . وتم في المبحث الثاني دراسة الكهنوت ، بينما خصص المبحث الثالث للاحتفالات والأعياد الدينية التي منها (أعياد الالهة والاحتفال بها ، وأعياد الملوك واحتفالاتهم ، أعياد الموتى والاحتفالات المتصلة بهم) . وتصدى المبحث الرابع لدراسة القرابين ، في حين عني المبحث الخامس بالسحر. وتناول **الفصل الرابع** من الاطروحة دراسة عالم الأموات والذي تضمن خمسة مباحث الاول التحنيط وحفظ جثة الميت ، وخصص الثاني لدراسة الدفن والقبور ، اما الثالث فقد عني بموضوع عقائد ما بعد الموت عند المصريين القدماء وفي الرابع دراسة للعالم السفلي ، اما الخامس فخصص لدراسة محاكمة الموتى ، وفي نهاية البحث أشرنا الى الاستنتاجات ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدناها في البحث .

ختاماً أتقدم بفائق شكري وعظيم امتناني الى كلِّ من اسدى اليَّ معروفاً ساهم في اتمام هذه الاطروحة وأخص من هؤلاء بالذكر استاذي المشرف الاستاذ الدكتور احمد مالك الفتيان والدكتور صالح عيسى وأخي العزيز جواد خليل حسن هديب فلهم مني الشكر والامتنان ومن الله الجزاء الجزيل انه على ذلك قدير .

الباحث

لقد بدأت حياة مصر السياسية القديمة في فجر التاريخ على هيئة امارات ودويلات مدن كثيرة ، انتشرت في أرجاء مصر العليا والسفلى عرفت بالولايات أو الاقاليم التي يبدو أن عددها كان قد بلغ اثنين وعشرين اقليماً في مصر العليا ، وعشرين اقليماً في مصر السفلى . لكل منها ديانتها وألهتها ورمزها الديني والسياسي الخاص بها ، وقد كانت في حالة حرب فيما بينها والغاية من ذلك سيطرة بعضها على بعض ، ثم أنَّها استمرت بالتناقص عددياً حتى صارت مملكتين منفصلتين[1] . هما : مملكة مصر السفلى، وتشمل الأَراضي الشمالية التي تقابل الدلتا الآن ، ومملكة مصر العليا التي تشمل اراضي الجنوب ، وتمتد من جوار مدينة القاهرة الحالية الى أسوان[2] .

أما عاصمة المملكة الجنوبية فهي " نخيت ، أو نخبت " في الموضع المسمى هيراكونبوليس ، وتعد " بوتو " الواقعة في الدلتا عاصمة لمملكة الشمال التي كان رمزها "الحية " في حين كانت " النحلة " رمزاً لمملكة الجنوب[3] .

ولم يحصل الاندماج بين هاتين المملكتين إلا بعد مدة طويلة حينما غزت مصر السفلى مصر العليا ، واتخذت من هليوبوليس عاصمة للدولة الموحدة على الرغم من ان أواصر هذا الاتحاد كانت قد بدأت تضعف فأنفصمت عرى ذلك الاتحاد لتنقسم الدولة إلى الوجه البحري والوجه القبلي عندما تحولت عاصمة الشمال الى " بوتو " واتخذ ملوك الوجه القبلي حاضرتهم في الجنوب الأقصى في مدينة " نخب " في وقت كانت فيه علاقة ملوك المملكتين تشير إلى عدم الوئام والصداقة ، فنيران الحرب كانت تحرق ابناء المملكتين بشكل دائم حتى خرج أهل الصعيد ، واخضعوا الدلتا كدولة واحدة ، ثم جاء " مينا " بعد ذلك ليحكم مصر ويؤسس "منف" على الحد الفاصل بين الدلتا والصعيد ، ويكون أول ملك في الأسرة الأولى يحكم مصر من مقره في طيبة[4] ، التي اضحت مقراً للأسرة الأولى والثانية اللتين ارتبط بهما تحقيق وحدة البلاد ، ووضع أسس نظم الحكم والادارة ، واختراع الكتابة[5] .

---

[1] طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط3 (بغداد : شركة التجارة والطباعة المحدودة ، 1956م) ج2 ، ص ص28 –29 .

[2] استيند رف ، ديانة قدماء المصريين ، ترجمة : سليم حسن ، ط1 (مصر : مطبعة المعارف ، 1923م) ، ص7 .

[3] باقر ، المصدر السابق ، ص23 .

[4] استيند رف ، المصدر السابق ، ص7 .

[5] رمضان عبده علي السيد ، معالم تاريخ مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى عام 332ق.م ، (القاهرة : د.ت) ص88 .

وعلى الرغم من اتباع ملوك الأسرة الاولى نظام الادارة المركزية ، فإنهم سمحوا لحكام الاقاليم بالمحافظة على كياناتهم ، وتعيينهم عليها ثم أصبحت الوظيفة وراثية ضمن أسر معينة وهكذا نشأت في مصر القديمة طبقة خاصة من حكام الأقاليم ، أخذت تهدد سلطان الفرعون فيما بعد[1] .

هذا ولم تبق الوحدة السياسية التي انجزتها الأسرة الاولى موطدة بشكل دائم فقد استمرَّ النزاع بين الجنوب والشمال في عهد الأسرة الثانية[2]، التي أسسها الملك " حتب سخموي "، ثم جاء بعده " خع سخموي " الذي يعني اسمه " الإثنان القويان " أي الإله " حور " والإله "ست " وقد امتاز عهده بالتقدم ، والسلام ، والهدوء لأنه نجح في القضاء على عوامل الفتنة التي كادت ان تؤدي الى هلاك البلاد ودمارها[3] ، حينما غزا الشمال ، واتخذ من " منف " مركزاً لحكمه[4] .

وقد حصل ذلك بعد أن ثار الملك " بري – اب – سن " على عبادة " حورس " ؛ وأدت هذه الثورة إلى اضطراب الاحوال في مصر خلال النصف الثاني من أيام الاسرة الثانية وما تبعه من تطاحن في البلاد وهو الحال الذي لم يدم طويلاً ، اذ سرعان ما عاد الاستقرار اليها وتقدمت في شتى نواحي الحياة ، لاسيما مع تولي الملك " زوسر " الحكم فيها مؤسساً أسرة مالكة جديدة وليبدأ عصر جديد تمثل بعصر الدولة القديمة[4] .

أولاً : أحوال مصر السياسية منذ قيام الدولة القديمة حتى قيام الدولة الوسطى (2700–2050 ق.م) [5]

يعد الملك " زوسر " الذي يعني اسمه " المقدس " أول ملوك الاسرة الثالثة وقد اتسم عهده بالوحدة السياسية في ارجاء مصر القديمة وقد كتب لهذه الوحدة ان تتواصل من بعده[6]، بعده[6]، وفاز " زوسر " بالعرش عن طريق أمه " ني ماعت حب " التي كانت زوجة ملك مصر السفلى ، وانجبت منه" زوسر " إلاَّ أن زوجها قتل خلال صراعه مع " خع سخموي "

---

[1] باقر ، المصدر السابق ، ص31 .

[2] المصدر نفسه ، ص ص31–32 .

[3] احمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، (القاهرة : د.ت) ، ص46 .

[4] احمد فخري ، مصر الفرعونية – موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام 332ق.م – (القاهرة : دار ممفيس للطباعة ، 1957م) ، ص ص59–60 .

[5] تم اقتباس كل تواريخ بداية ونهاية الدول والاسر الحاكمة من نبيلة محمد عبد الحليم ، مصر القديمة (تاريخها وحضارتها) ، (الاسكندرية : د.ت) .

[6] باقر ، المصدر السابق ، ص ص32–33 .

ملك الجنوب ، فتزوجها الأخير بعد أنتصاره على زوجها المقتول ، لذا أصبحت " تي ماعت حب" ملكة مصر العليا والسفلى ، واستطاعت توريث ابنها " زوسر " الحق الشرعي للجلوس على عرش الجنوب ، وتأسيس أسرة ملكية جديدة[1] ، ومن ثمّ اصبح " زوسر " الأول يحوي في شخصه الصفة الإلهية من طريق بنوته لملك الشمال ، وبنوته للام الملكية فاستطاع حكم مصر بعد الارتفاع بنفسه الى مصاف الآلهة[2] .

أقام " زوسر " حكمه أول الأمر في " أبيدوس " ، وشهد عهده تقدماً في جميع المظاهر الدينية في مصر وعلى رأسها البناء ، يساعده في ذلك مستشاره ومهندسه ورجله الحكيم " ايمحوتب " خلال عهده الذي دام تسعة عشر عاماً[3] ، وشهد عهده ارسال حملة لتأديب بعض بدو شبه جزيرة سيناء ممن كانوا يتعرضون للحملات المصرية المرسلة لإحضار النحاس من المناجم القريبة من وادي المغارة هناك[4] .

لقد كان عهده زاهراً لم يخلفه عليه بعد وفاته احد يمكن ان يقارن به[5] ، ولم يخل النظام في مصر من الاقطاع ، فحكام الاقاليم كانوا يدينون للملك بواجب الاحترام والسيادة، ويؤدون الخدمة العسكرية ، ويقومون باعمال المنافع العمومية سخرة وكانت الوحدة تزداد قوة في عهد الملوك الاقوياء ، وتضعف في عهد الضعفاء منهم على الرغم من أن الأسرة الثانية تعد بحق أول أسرة وحدت سلطانها ، وجاءت بوحدة مصر ، ومهدت للحضارة الرائدة التي بلغت اوجها في عهد الاسرة الرابعة ولاسيما في مقرها الكائن في " ممفيس "[6] ، التي كان "زوسر" قد انتقل اليها بعد ادراكه للأهمية السياسية التي يتمتع بها موقعها[7] .ثم جاء من بعد " " زوسر " ابنه " سخم خت " الذي سمي " بزوسر الثاني " ، وقد حكم ست سنوات فقط[8] ،

---

(1) نبيلة محمد عبد الحليم ، الولادة المقدسة ودورها في احقية عرش مصر القديمة ، مجلة كلية الآداب (مج26 ، الاسكندرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1979م) ، ص57.

(2) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص110 .

(3) سامي سعيد الاحمد وجمال رشيد أحمد ، تاريخ الشرق القديم ، (بغداد : مطبعة التعليم العالي ، 1988م) ، ص66 .

(4) فخري ، المصدر السابق ، ص65 .

(5) المصدر نفسه ، ص65 .

(6) غوستاف لوبون ، الحضارة المصرية ، ترجمة : صادق رستم ، (مصر : المطبعة العصرية ، د.ت) ، ص ص18-

(7) اتيين دريوتون ، وجاك فانديه ، مصر ، ترجمة : عباس بيومي ، (القاهرة : د.ت) ، ص191 .

(8) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص66 .

شهدت سيطرة " منف " على كل مصر[1] ، التي خلفه على عرشها " سخت " ومن بعده " خابا " و" نفركا " ، أما اخر ملوك هذه الاسرة فهو " حوني " الذي يعني " الضارب " ، وقد حكم حوالي أربعة وعشرين عاماً[2] .

وتؤكد بردية تعود إلى الدولة الوسطى انه السلف المباشر " لسنفرو " أول ملوك الأسرة الرابعة[3] (2680–2500ق.م) ، اذ تبدأ هذه الاسرة بالملك " سنفرو " الذي حكم لمدة أربعة وعشرين عاماً يذكر انه ارسل خلالها حملة على بلاد " النوبة " ، فعادت له بغنائم كثيرة وسبعة ألاف أسير ، وعدداً كبيراً من الماشية وترك في وادي المغارة بيتا ، وثلاثة نقوش يظهر فيها وهو يقتل بدوياً إشارة الى معركة جرت هناك ، وأقام الحصون على الحدود الشرقية ؛ لوقف تسرب البدو الى الدلتا ، وشهد عهده ارتباط حكام الأقاليم المصرية به مباشرةً ممن تولوا ادارة اقاليمهم بمساعدة موظفين للمالية ، والقضاء ، والادارة يعينون مركزياً[4] .

وقام بحملة على " ليبيا " ، وجاء منها بأحد عشر ألف أسير ، وثلاثة عشر ألف رأس من الماشية ، وبنى لنفسه هرمين في " سقارة " و " ميدوم " ، وبنى المعابد والقلاع والمنازل التي كانت تستلزم القيام برحلات لاحضار خشب الارز من سوريا[5] ، فبقي " سنفرو " عظيماً عظيماً ومحبوباً لدى المصريين عدة قرون ، وعَدَّ المؤسس الأخير للنفوذ المصري في سيناء[6] ثم عَدَّته الأجيال اللاحقة له إلهاً حامياً للمنطقة إلى جانب "حتحور" و "وسوبد " ؛ لأعماله الكبيرة في تأمين الحدود الشرقية[7] ، أما خليفته فكان " خوفو " ، وهو الابن الأكبر لزوجته الدينية ذات الأصل الملكي وقد بقي أخوته " كاسنفر " و " نفرمحات " و " غنخ هاف " حكاماً لأقاليم البلاد[8] ، وقد تزوج " خوفو " اخته " مرى تيتس " ، واستفاد من خبرة رجال أبيه وجهوده ، فتوفر له من سعة السلطان اكثر مما توفر لأبيه ، إذ توفرت لمصر امكانات مادية وبشرية كبيرة في عهده الذي دام ثلاثة وعشرين عاماً[9] . ومن ابرز المشاكل التي ظهرت في عهد "خوفو" تلك التي نجمت عن تعدد زوجاته اذ انجبت كلٌ منهن أولاد عدة ؛ لذا

---

(1) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص192 .

(2) الأحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص67 .

(3) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص192 .

(4) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص69 .

(5) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص193 .

(6) حسين ، المصدر السابق ، ص48 .

(7) فخري ، المصدر السابق ، ص69 .

(8) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص70 .

(9) حسين ، المصدر السابق ، ص49 .

ظهر النزاع بينهم ، تساندهم فيه امهاتهم وبعض رجال البلاط لتولي العرش فدبرت مؤامرة لقتل ولي العهد " كاوعب " من قبل أخيه " رع ددف " لأن الاخير ابن لزوجة ثانية فنجح في مؤامرته وتولى العرش ، واتخذ من " حتب حرس " وهي زوجة أخيه المقتول " كاوعب " زوجة له إلاّ انّها لم تلد له ولداً وانجبت له زوجة اخرى ولداً خلال عهده الذي لم يدم إلاَّ ثماني سنوات ، اعقبه أخ له يسمى " خفرع كا " ، وقد تزوج من ابنةِ " كاوعب " و" حتب حرس " الثانية وهي " مرسعنخ الثالثة "[1] .

فتولى " خفرع " الحكم ، وكان أول من اطلق على نفسه " ابن رع "[2] خلال عهده الذي استمرت فيه الحملات الحربية الى سيناء وهذا ما لم يتم في عهد خلفائه[3] ، لاسيما ابنه "من كاورع" الذي تزوج اخته " خع مررنبتي "[4] ، فعادت احوال البلاد الى طبيعتها بعد ان ضرب على ايدي الظالمين خلال عهده الذي امتد اكثر من واحد وعشرين عاماً[5] .

ثم تولى العرش من بعده ابنه " شيسكاف " الذي خلا اسمهُ من كلمة " رع "[6] ، فقد حكم اربع سنوات ، شهدت بسعيه الى وضع حد لسلطة ونفوذ الكهنة المتعاظمين ، فترك بناء قبره على شكل هرم لصلة ذلك بعبادة الشمس ، وبنى له قبراً على شكل تابوت كبير يعرف بمصطبة فرعون في سقارة[7] .

وزاد على ما تقدم حينما أفصح عن رغبته بكسر التقاليد الدينية ، والتقرب في الوقت نفسه من العامة ؛ لاضعاف نفوذ الكهنة حينما زوج ابنته " خع ماعت " لرجل من العامة اسمه "بتاح شيس "[8] إلاّ أن عمر " شيسكاف " لم يطل ليكمل ثورته المناوئه لكهنة " رع " ، فعاد النزاع داخل البيت المالك ، حتى استولى أحدهم وهو " ددف يتاح " على العرش لمدة عامين[9].

وفي هذا الوقت الحرج من تاريخ مصر القديمة تزوجت الملكة " خنت كاواس " من أحد النبلاء على ما يظهر ، فانجبت منه " اوسركاف " مؤسس الأسرة الخامسة (2500–

---

(1) فخري ، المصدر السابق ، ص ص84–85 .

(2) حسين ، المصدر السابق ، ص49 .

(3) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص194 .

(4) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص73 .

(5) فخري ، المصدر السابق ، ص ص91–92 .

(6) حسين ، المصدر السابق ، ص50 .

(7) فخري ، المصدر السابق ، ص94 .

(8) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص74 .

(9) فخري ، المصدر السابق ، ص94 .

2350ق.م) . وبذلك يمكن القول بأن هذه الملكة شكلت حلقة الوصل بين الأسرتين الرابعة والخامسة ، وعنصراً توحيدياً ؛ لأن الناس تحدثوا عن جمالها ، وأعجبوا بدورها الذي قامت به حينما استعرت نار الفتنة في أواخر أيام الأسرة الرابعة ، ثم أنها اصبحت أماً لملكين جلسا على العرش وهذا يعني أن ثورة " شيسكاف " على كهنة " رع " قد عجلت بنهاية الأسرة الرابعة التي تطاحن افرادها فيما بينهم منذ وفاة " خوفو " ، وليحل محلها عهد أُسرة جديدة من كهنة الشمس هي الأسرة الخامسة[1] ، ويعد " اوسركاف " أول ملوك الاسرة الخامسة الذي يرجح انه وصل العرش نتيجة لحركة قام بها ، وأنه كان الكاهن الأعلى للإله " رع " ، فقد حدث في عهده تبدل مهم في مركز عبادة " رع " ، اذ سادت هذه العبادة في البلاد ، وطغى هذا الاله على الاله الـ (فرعون) الذي صار مجرد ابن لـ" رع " وهو لقب رسمي تسمى به الفراعنة منذ الأسرة الخامسة مع التأكيد على ان إله (الشمس) هو مركز الكون[2] .

ولم يدم عهد " أوسركاف " إلا قرابة ثماني سنوات تعد من أهم حقب التاريخ المصري؛ لتضامن البلاط الملكي مع كهنة الشمس ، وتأثير ديانة الشمس على العمارة[3] ، فخلفه "ساحورع " الذي حكم قرابة اثنى عشر عاماً ، أرسل خلالها اسطولاً الى شواطئ " فينقيا " في رحلة ودية وارسل حملة بحرية إلى بلاد بونت (الصومال) ؛ لاحضار البخور[4] . وبعد وفاة "ساحورع " تولى أخوه " نفرا ركارع " العرش ؛ وكان أقل طموحاً من سابقه فضلاً عن كونه شخصاً طيباً محباً للمحيطين به ، واعتاد الإعتراف بخطئه اذا ما اخطأ ؛ مما انعكس في اقلاعه عن النشاطات الحربية خلال عهده الذي لم يدم إلاَّ قرابة عشرة أعوام[5] وساهمت صفاته تلك في تقوية الكهنة واثرائهم على حساب السلطة المركزية التي بدأت بالتفكك[6] . وجاء بعده " شيسكارع " ؛ الذي حكم حوالي سبع سنوات ، تبعه " نفراف رع " ؛ الذي حكم اربع سنوات ، أعقبه بعدها " ني أوسر رع " الذي شن خلال عهده الذي دام اكثر من اثنين وثلاثين عاماً حروباً على سوريا وليبيا . ثم حكم البلاد ملك يسمى " منكاوحور " لمدة ثماني سنوات[7] ، تلاه بعدها "جدكارع اسيسى " لمدة ثمانية وعشرين عاماً اهتم خلالها بتأمين حدود البلاد ، واستغلال المناجم والمحاجر ، فأرسل حملة الى بلاد " النوبة " واخرى الى وادي

---

(1) فخري ، المصدر السابق ، ص ص94-95 .

(2) باقر ، المصدر السابق ، ص ص36-37 .

(3) السيد ، المصدر السابق ، ص179 .

(4) حسين ، المصدر السابق ، ص52 .

(5) المصدر نفسه ، ص53 وكذلك فخري ، المصدر السابق ، ص102 .

(6) المصدر نفسه ، ص103 .

(7) السيد ، المصدر السابق ، ص182 .

"الحمامات " وحملة أُخرى أو أكثر الى وادي " المغارة" مع قيام رحلات وديـة الـى جنـوب مصر ؛ لغرض الاتصال بالجنوب ، وفتح الطرق التجارية، والحصول على خيرات السـودان وبلاد بونت[1] . اما آخر ملوك الاسرة الخامسة فهو " أوناس" الذي يعد أحسـن ملـوك هـذه الأسرة ، وأعظمهم شهرة ، فقد امتد عهده ثلاثين عاماً[2] . إلاَّ أنَّ سلطان حكام الاقـاليم اخـذ بالتزايد بعد وفاته وشرعوا بتوريث مناصبهم لأولادهم وأخذوا يحملون ألقاباً ، كالقائد العظيم ، أو السيد العظيم للمقاطعة ، وخضع أولادهم اسمياً للسلطة المركزيـة ؛ لانهـم كـانوا فعليـاً مستقلين بإداراتهم[3] .

وفي نهاية الأُسرة الخامسة عين محافظ للجنوب ؛ ليشرف على حكام مقاطعات الجنوب ولم يكن يوجد محافظ للشمال ؛ لأن المقاطعات الشمالية كانت أكثر طاعة للسلطة المركزيـة، وأقرب الى العاصمة[4] .

وبانتهاء حكم " أوناس " انطوت صفحة الأُسرة الخامسة التي شهدت ضـعف الملكيـة، وعدم اقتصار الوظائف العليا على الأسرة المالكة ، فزاد ثراء كثير من الأفراد ، واضـطرب الأمن واقتربت الدولة القديمة من نهايتها[5] .

ثم تأسست الأسرة السادسة (2350–2200ق.م) على يد " تتي سحتب تاوى " بعد وفاة " أوناس " ؛ لأنه لم يترك له وريثاً ، فحمل " تتي " لقب " سارع " الذي تلقب به " جد كـارع " و " أوناس " وقد أفصح خلال عهده عن رغبته بتبني نظام كهنوت " بتـاح " فتوجـه ملـوك أسرته من بعده إلى عبادة الإله " بتاح "[6] .

ثم تولى الحكم من بعده " وسركارع " الذي يبدو أنه حكم نيـابة عن المـلكة والوصية " ايبوت " على ابنهما القاصر[7] ، وهذا ما عده بعضهم حكماً غير شرعي حتى تولى " بيبـي مري رع " او " بيبي الأول " العرش الذي ارتقت في عهده الفنون وعادت مصر إلى صلاتها مع جيرانها[8] بعد أن قبض على زمام الأمور بكل حزم ونشاط[1] ، فقد شهد عهـده ارسـاله لحملات برية وبحرية ؛ للدفاع عن مصالح مصر ولاسيّما بعـد تعـرض الحـدود الشـرقية

---

(1) فخري ،المصدر السابق ، ص ص105–106 .

(2) حسين ، المصدر السابق ، ص55 .

(3) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص80 .

(4) المصدر نفسه ، ص80 .

(5) كمال المصري ، تاريخ الفن في العصور القديمة ، ط1 (مصر : 1976م) ، ص19 .

(6) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص81 .

(7) المصدر نفسه ، ص82 .

(8) فخري ، المصدر السابق ، ص124 .

للانتهاكات والنهب ، وكان من أبرز هذه الحملات ، تلك التي كانت بقيادة " وني "[2] ، ثم جاء بعد " ببى الأول " اكبر أولاده " مري ان رع " الذي حكم لمدة قاربت عشر سنوات ، شهدت ثلاث رحلات تجارية مهمة الى الجنوب إلاّ انه توفي وهو شاب[3] . فخلفه اخوه " ببي الثاني " البالغ من العمر حينها ست سنوات فقط ليحكم البلاد لمدة أربعة وتسعين عاماً وهي أطول مدة حكمها أي ملك في مصر امتلأت بالبعثات الى البلاد الاجنبية[4] ، إلاّ انه ضعف بعد ان طال به العمر فيما كان يحيط به حكام من الشباب المتعطشين للاستيلاء على العرش[5] ، فمات "ببي الثاني " في وقت ازداد فيه نفوذ حكام الأقاليم الذين اصبح كل منهم اميراً حاكماً في مقاطعته لا يكاد يربطه بالعرش إلاّ الارتباط الشكلي وتفككت عرى السلطة المركزية ، وزادت أعباء الحكومة ومشاكلها ، وتعطلت مشروعاتها العامة وفيما تكدست الأموال لدى الموظفين ، زادت أعباء ومظالم الفلاحين ونشبت ثورة عاتية في البلاد على العرش والحكام والكهنة ، انتهت بتولي " مرن رع محتي " او " مرن رع الثاني " العرش فدام حكمه سنة واحدة اعقبته على العرش امرأة هي " نت إقرتى " لمدة عامين عمت بعدها الفوضى، وانتهت أيام الأسرة السادسة وأيام الدولة القديمة[6] .

لقد انتشرت العصابات في البلاد ، وأضرب الناس عن دفع الضرائب ، وتوقفت التجارة ، ونهب الناس مخازن الحكومة ، وتم الاعتداء على مقابر الملوك ونهبها وجرت عمليات انتقام من الأغنياء ونهب قصورهم او إحراقها ، ثم انهارت الحكومة المركزية بما سمح لعصابات البدو بمهاجمة المناطق الحدودية للبلاد ونهبها[7] ، وبذلك تكون مصر قد دخلت ضمن ما يعرف بعصر الحقبة الأولى (2200–2050ق.م) ، الذي وصل فيه التدهور السياسي إلى درجة أن سبعين ملكاً حكموا مصر خلال سبعين يوماً[8] .

---

[1] حسين ، المصدر السابق ، ص56 .

[2] للتفاصيل عن هذا القائد المصري البارز ينظر : فخري ، المصدر السابق ، ص ص117–119 .

[3] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص84 .

[4] حسين ، المصدر السابق ، ص58 .

[5] ايندلامونت ، ميدكروفت ، هبة النيل (تاريخ مصر القديمة) ، (القاهرة : د.ت) ، ص81 .

[6] فخري ، المصدر السابق ، ص116 .

[7] المصدر نفسه ، ص127 .

[8] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص198 .

ونشأت الأسرة المنفية السابعة التي أسسها " نفري كارع " لأشهر عدة ، ثم الأسرة الثامنة وهي فرع من فروع العائلة المالكة وقد اعتمدت في الغالب على مناصرة البيوت القوية في الأقاليم الذين صاهروهم ومنحوهم الامتيازات[1] .

أما الأسرة التاسعة فقد اتخذت من " اهناس " عاصمة لها ، ويعتقد ان ملوكها كانوا من أصل " ليبي " ، وإنهم دخلوا مصر عن طريق الفيوم حتى " اهناس " التي جعلوها عاصمة لهم لما لها من ماضٍ ديني وتاريخ عريق وقد ضمت هذه الأسرة ثلاثة عشر ملكاً ، من أهم مؤسسيها " خيتى واح كارع " أو " خيتي الأول " ، ومن بعده " مرى ايب رع " ، ثم "نفركارع" ، ومن بعده " نب كاورع خيتي "[2] .

ومثلما خرجت الاسرة التاسعة من " اهناسيا " ، خرجت الأسرة العاشرة منها ايضاً؛ لأَهميتها الدينية ، ولقربها من منطقة الثورة والاضطرابات في " منف " ، ولانتماء ملوك هذه الأسرة لهذه المدينة في الأصل وكان من أبرز ملوكها " مري حتحور " و" نفركارع الثاني " و " واح كارع " و مريكارع " و " خيتي "[3] .

غير أن هذه الأسرة لم تستمر هي الأخرى طويلاً ، ويبدو أن السبب في ذلك يعود الى ازدياد قوة " طيبة " فيما بدأ " نفركارع " بتطهير الدلتا من الفوضى السائدة بسبب عصيان البدو ، ثم شرع بحملة تستهدف التخلص من أمراء طيبة وحلفائهم في الجنوب فنشبت الحرب قرب " أبيدوس " التي انتصر فيها الإِهناسيون ، إلا أن الطيبين عادوا فاسترجعوا ما فقدوه، ثم ازدادت المتاعب في عهد حاكم طيبة " امنحوتب الثاني " ؛ لأنه استأنف الحرب ، وقضى على أمراء أسيوط حلفاء الاهناسيين الذين لم يبق لهم إلا القليل من مصر الوسطى ونفوذ متزعزع في الدلتا[4] .

وبعد أربعة عشر عاماً من حكم " امنحوتب الثاني " ملك طيبة بدأ الجنوب بالحرب، وتقدمت قواته ، فتمكنت من القضاء على الأسرة العاشرة ، وأخضعت مصر كلها لها، إذ أجتاحت أسيوط ثم هرموبوليس ، فاعادت مصر الى وحدتها ، وبدأ عهد جديد هو عهد الدولة الوسطى[5].

---

(1) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص122 .

(2) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص ص122-123 .

(3) السيد ، المصدر السابق ، ص220 .

(4) فخري ، المصدر السابق ، ص137 .

(5) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص124 .

الأحوال السياسية في مصر منذ عهد الدولة الوسطى حتى قيام الدولة الحديثة (2050-1570ق.م)

بدأت الأسرة الحادية عشرة (2050 – 1990ق.م) عهد الدولة الوسطى بتوحيد مصر التي انقسمت على ثلاثة أقسام هي : (أ) الدلتا التي كان يحكمها بعض الحكام المحليين . (ب) مصر الوسطى حتى أسيوط وكان يحكمها ملوك الأسرة الإهناسية . (ج) مصر العليا وتمتد من اسيوط الى أسوان ويحكمها أفراد أسرة " نتف "[1] ، وهي الأسرة التي ينتسب اليها مؤسس الأسرة الحادية عشرة " انتف الأول "[2] ، الذي اتخذ من طيبة عاصمة له وللإسرة الحادية عشرة بعد النجاح الذي تحقق بتوحيد مصر وتنظيم البلاد[3] . إلا أن حكمه لم يطل أكثر من عشرة أعوام ، فتلاه على العرش " اينوتف الثاني " الذي حكم مدة خمسين عاماً[4] على الاقاليم الخمسة الجنوبية وبدأ بالتوسع نحو الشمال ، ثم بدأ الطيبيون بمهاجمة الاقليم السادس " اقليم إيتي – بثني " حيث توجد جبانة " أبيدوس " مع أن الاهناسيين ظلوا على قوتهم ولاسيما مع بقاء تحالفهم مع أمراء أسيوط حتى تمكن " أينوتف الثاني " خلال ذلك من ضم اقليم " بثني " ، فأصبح تحت حكمه ستة أقاليم من الصعيد شملها بأحسن ادارة[5] . ولما مات " انتف الثاني " خلفه ابنه " اينوتف الثالث " على العرش الا أنه لم يحكم الا لمدة خمسة أعوام تلاه بعدها ابنه " امنحوتب الأول " الذي دام حكمه ثماني عشرة سنة[6] ، أعقبه بعدها "امنحوتب الثاني " الذي يعد من أقوى وأهم ملوك هذه الأسرة ؛ الذي سقطت اهناسيا على يده[7] .

---

[1] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص133 .

[2] السيد ، المصدر السابق ، ص236 .

[3] ميدكروفت ، المصدر السابق ، ص ص87-88 .

[4] السيد ، المصدر السابق ، ص237 .

[5] فخري ، المصدر السابق ، ص ص152-153 . وكذلك : عبد الحميد زايد ، مصر الخالدة(مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عام 332ق.م) ، (مصر : دار النهضة العربية ، 1966) ، ص326 .

[6] فخري ، المصدر السابق ، ص154 .

[7] زايد ، المصدر السابق ، ص329 .

اعلن " امنحوتب الثاني " نفسه ملكاً على مصر كلها ، فكان أول ملك من ملوك طيبة يصبح في الواقع ملك على الوجهين ، متخذاً من طيبة عاصمة للبلاد الموحدة لأول مرة ، وعُدَّ عهده الذي دام ستة وأربعين عاماً بداية للدولة الوسطى[1] .

فقد نجح خلال سنوات حكمه من احلال النظام في الجنوب ، وحاول الحد من سلطات بعض حكام الأقاليم فيما اكتفى بالزام القدماء منهم بالطاعة ، ودفع الجزية ، وحسن الولاء[2] .

وبذل " امنحوتب الثاني " جهوداً كبيرة ، لإخضاع كل من عارضه ، فحارب في الدلتا، وحارب البدو في شرق البلاد ، وغربها ، وأخضع المنطقة الواقعة جنوب الفنتين ، لذا بدأت طيبة في عهده عهداً جديداً من تاريخها لاسيما بعد توجيهه كثيراً من أموال الضرائب الوفيرة؛ لتجميلها وانشاء المعابد فيها ليكون انتصاره على اعدائه وتوحيده مصر كلها تحت سلطانه بداية حقيقية لعصر جديد اخذت فيه مصر تنهض من كبوتها[3]، ثم أتبع ذلك بارساله الحملات الى مناطق المناجم وأبرز تلك المناطق وادي "الحمامات " وبلاد " بونت "[4] ، إلاَّ انه لم يطل به الزمن فقد مات تاركاً عرشه لولده امنحوتب الثالث (سعنخ كارع) الذي واصل سياسة أبيه في تعمير البلاد وانشاء المعابد وتقدمت في عهده الفنون لاسيما فن النقش في الوقت نفسه الذي أهتم فيه بالمحاجر والمناجم خلال عهده الذي دام أثنى عشر عاماً فقط[5] .

وخلفه " سنوسرت " و " فكارع اينوتف " والملك " ايبي خنت اب رع " و" حورس جرج تاوي ان " والملك " وازكارع سجر سني " خلال مدة مضطربة قاربت خمس سنوات[6].

أما أخر ملوك الأسرة الحادية عشرة فهو " امنوحتب الرابع " الذي ساءت الأمور في عهده في مصر السفلى وبدأت القبائل بأعمال السلب والنهب المتكررة في مناطق الحدود الشرقية للبلاد فيما استغلت قبائل اخرى جاءت من الصحراء الليبية الوضع ، فحدثت

---

[1] لبيب ماهر ، الملك " نبت حتب رع " مؤسس الدولة الوسطى حوالي سنة (2070ق.م) ، مجلة كلية الآداب مج 6 ، (الاسكندرية : مطبعة جامعة القاهرة ، 1953م) ، ج1 ، ص129 .

[2] السيد ، المصدر السابق ، ص244 .

[3] فخري ، المصدر السابق ، ص ص150-156 .

[4] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص134 .

[5] فخري ، المصدر السابق ، ص ص166-168 .

[6] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص208 .

اضطرابات كثيرة ، واصبح الموقف العام في الشمال صعباً للغاية ، فيما كان حال البلاد على هذا الوصف توفي " منتوحتب الرابع " دون وريث للعرش ، فاستولى وزيره " امنمحات " على العرش ليضع نهاية لعهد الأسرة الحادية عشرة ، وبداية في الوقت نفسه لعهد الأسرة الثانية عشرة (1990–1800ق.م)[1] التي بدأت بـ " امنمحات الأول " ، الذي اتخذ عاصمة جديدة لحكمه بالقرب من " منف " سماها " اثت تاوي "[2] واهتم بالجنوب ، وشيد الحصون ، واهتم بالحدود الشرقية والغربية للبلاد ، وأقام فيها التحصينات المناسبة ، ثم حاول تنظيم الأمور الداخلية للبلاد[3] .

فقد كان الزعماء الاقطاعيون مهتمون جداً بتقوية نفوذهم ومراكزهم ، مع تواصل سعيهم ومحاولاتهم توسيع حدود مقاطعاتهم في هذا العصر[4] ، لذا كانت وراثة الأبناء لأقاليم أبائهم امراً مقيداً بموافقته الشخصية الا ان ذلك لم يؤد بطبيعة الحال الى اخضاع امراء الأقاليم تماماً ولاسيما بعد أن ازدادت شوكتهم قوة [5] ، اذ تولى " امنمحات الأول " الحكم في وسط عاصفة من التذمر والتنافس الشديد على العرش الى الدرجة التي افصح عندها مجموعة من أمراء الأقاليم عن رغبتهم باستعادة استقلالهم الداخلي ، وانفرادهم بحكم مقاطعاتهم وهو ما جعل الفرعون يواجه عنادهم هذا بقسوة ، فشن عليهم حرباً انتهت بابقائه من والاه على منصبه ، بعد أن عين الحدود بينهم وبين جيرانهم[6] .

واقام " امنمحات الأول " علاقات دبلوماسية مع بعض أمراء " سوريا " في جهود استهدفت تقوية حكمه[7] ، فيما لم ينس طيبة واعلاء شأن " أمون " ، واقامة المعابد له فيها[8] فيها[8] فقد حل " أمون " ، و " أوزريس " محل " فتاح " ممفيس و " رع " الذي دانت به الأسرات الإولى[9].

---

[1] السيد ، ، المصدر السابق ، ص245 .

[2] تقع قرب الجيزة حالياً ينظر : عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص209 .

[3] المصدر نفسه ، ص209 .

[4] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص134 .

[5] محمد بيومي مهران ، تاريخ الشرق الادنى القديم (الحضارة المصرية) ، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1984م) ، ص146 .

[6] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص134 .

[7] السيد ، المصدر السابق ، ص ص247–249 .

[8] فخري ، المصدر السابق ، ص171 .

[9] لويون ، المصدر السابق ، ص23 .

ولما كان " امنمحات الأول " يريد الاطمئنان على عرشه من بعده وجرياً على عادة ملوك الأسرة الثانية عشرة حينما اشركوا اولادهم معهم في الحكم ؛ للتمرس عليه ، وتمكينهم منه ، وتوطيد حقهم فيه من جهة ، وخشية " امنمحات الأول " من الاطماع والمنافسات على عرشه من جهة اخرى[1] ، اعلن شريكاً له في الملك مع بقاء النفوذ الأكبر بيده رغم تكليفه لابنه " سنوسرت " بقيادة بعض الحملات الحربية ؛ ليتعرف على بلاده ، ويوطد نفوذ مصر على حدودها[2] .

ولم يمت " امنمحات الأول " ميتة طبيعية ، بل أنه قتل غيلة بعد أن دبر له أفراد حاشيته في غياب ولده مؤامرة أودت بحياته ، فتقلد أبنه " سنوسرت الأول " الحكم من بعده[3]، بعده[3]، الذي تابع سياسة أبيه ، فثبت أقدامه في مصر والبلاد المجاورة وتوسع جنوباً ، وأهتم وأهتم باستغلال مناجم الصحراء[4] .

ومن أهم حملاته تلك التي قام بها على بلاد " كوش " وراء الشلال الثاني وهي المرة الأولى التي يرافق فيها ملك مصري حمله حربية بنفسه ، وبعد انتصاراته التي حققها ترك فيها حاكماً ، وجعل مقره قلعة " كمه " ، ثم اتجهت أنظاره بعد ذلك الى الواحات ، فنظمها وعين عليها حاكماً وشملت عنايته منطقة الفيوم ايضاً[5] .

ثم عهد " سنوسرت الأول " إلى سياسة اشراك الأبناء في الملك حينما اشرك في أواخر أيامه ابنه " امنمحات الثاني " الذي تولى العرش من بعده إلاَّ أنَّ " امنمحات الثاني " لم يكن نشطاً كسلفيه في المجالين الحربي والمعماري . فقد كانت الحالة الداخلية للبلاد مستقرة بفضل جهود من سبقوه وكانت له صلات ودية مع الدول المجاورة ، وكذلك كان الحال مع خلفه "سنوسرت الثاني " في ميداني السياسة الداخلية والخارجية[6] ، فقد اهتم بمشاريع الري وبالذات وبالذات في الفيوم من جهة ، وحافظ على العلاقات الودية للبلاد مع الدول الآسيوية من جهة أخرى[7].

---

[1] ابراهيم رزقانه ، حضارات ما قبل التاريخ (حضارة مصر والشرق القديم) ،(القاهرة : د.ت) ، ص163.

[2] فخري ، المصدر السابق ، ص173 .

[3] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص135 .

[4] فخري ، المصدر السابق ، ص177 .

[5] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص136 ، وكذلك : عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص216 .

[6] فخري ، المصدر السابق ، ص177 .

[7] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص217 .

إلا أن ذلك لم يكن يعني هدوء الحدود جميعاً ، فقد ثارت القبائل الزنجية الأصل التي سبق أن غزاها " سنوسرت الأول " ، ورفضت طاعة مصر ، واحتلت كل أراضي جنوب الشلال الأول وبدأت تهدد بغزو حدود مصر الجنوبية[1] .

ولما توفي " سنوسرت الثاني " ، تولى العرش " سنوسرت الثالث " الذي يعد أكبر فراعنة مصر ، وقد دام حكمه ثمانية وثلاثين عاما ، وتركزت أعماله على أمرين : أحدهما قضاؤه التام على نفوذ حكام الاقاليم . والثاني أعماله الحربية سواءً في فلسطين ، أو جنوب الوادي ، وما قام به من حروب ضد القبائل التي اغارت عليه ، وتشييده كثيراً من الحصون الحربية في تلك المنطقة . فقد وجه لحكام الأقاليم ضربة جردتهم من مزاياهم ، وخلعت عنهم القابهم التقليدية التي كانوا يورثونها لابناءهم فلم يصبحوا بعد ذلك الحين إلاَّ مواطنين عاديين كغيرهم[2] .

أما في الإطار الحربي فقد سعى الى المحافظة على النفوذ المصري في النوبة ، وأقام التحصينات القوية واضعاً نهاية للتهديد الذي تعرضت له البلاد من الجنوب من غزو زنجي ، ثم أرسل أربع حملات ضد هذه القبائل ، وشيد الحصون على الحدود الجنوبية ، وحارب في الشمال وفي فلسطين ، ووصل إلى سوريا فزادت سيطرة مصر في عهده على فلسطين وسوريا نتيجة لذلك[3] .

وفي أواخر أيام " سنوسرت الثالث " أشرك معه ابنه " امنمحات الثالث " في شؤون الملك . ولما مات " سنوسرت الثالث " تولى " امنمحات الثالث " العرش ، وطال عهده وفيه جنى ثمار حروب أبيه واصلاحاته ، فأنصرف الى أعمال الانشاء والري[4] . وورث " امنمحات الثالث " بلاد غنية مطمئنة ؛ لذا لم يواجه من الصعاب ما يشحذ به همته على الرغم من أنه أرسل البعثات ؛ لاستخراج المعادن الثمينة والمفيدة ، فبلغت عشرين بعثة خلال عهده الذي دام تسعة وأربعين عاماً[5] .

وقد أعقبه على العرش " امنمحات الرابع " لمدة تسعة أعوام كان فيها ضعيف الشخصية ، ولم يشارك خلالها بأية حملة حربية ، فانصرف إلى حياة هادئة لم يترك بعدها ولداً يرثه ، فأعقبته الأميرة " سبك نفر " بنت " امنمحات الثالث " على العرش ؛ والتي حكمت

---

[1] جان يويوت ، مصر الفرعونية ، ترجمة : سعد زهران ، (القاهرة : 1966م) ، ص96 .

[2] فخري ، المصدر السابق ، ص ص178–188 ، وكذلك : زايد ، المصدر السابق ، ص390 ، ومهران ، المصدر السابق ، ص150 ، ويويوت ، المصدر السابق ، ص97 .

[3] السيد ، المصدر السابق ، ص ص260–265 ، وكذلك : زايد ، المصدر السابق ، ص390 .

[4] فخري ، المصدر السابق ، ص179 .

[5] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص403 ، وكذلك : زايد ، المصدر السابق ، ص393 .

أقل من ثلاث سنوات[1]، اضطربت خلالها أحوال الأسرة ، وضعفت نتيجة التنافس داخل الأسرة الحاكمة والثورات التي قامت في الجنوب وفي آسيا[2] فضلاً عن تنامي دور الموظفين الذين عينوا في الأقاليم ؛ لمنافسة حكامها في سلطتهم . فقضى هؤلاء الموظفون على كل ما كان من سلطة لحكام الأقاليم ومع مرور الزمن وضعف الملوك ضعفت امكانيتهم على السيطرة على أولئك الموظفين او على الجيش ؛ مما أدى الى انهيار الدولة الوسطى[3] . يضاف الى ذلك الاضطراب الحاصل في الولايات جراء هجرات الشعوب الهندوأوربية الى وادي الرافدين وسوريا[4] .

في ظل هذه الأجواء بدأ عصر الفترة الثانية الذي استهلته الأسرة الثالثة عشرة بعد وفاة الملكة " سوبك "[5] . وقد انحدر ملوك هذه الأسرة من فئتي الموظفين والجيش اللتين ساهمت تقويتهما على حساب السلطة المركزية الى سقوط الأسرة الثانية عشرة والدولة الوسطى . وبدأ عهد الفوضى في الأسرة الثالثة عشرة (1800–1570ق.م) ، فقد سعت كل فئة الى أن يكون ملك مصر من بينها حتى اذا نجحت تصدت لها الفئة الأخرى ، وناوأت الملك حتى تسقطه، وتعين ملكاً أخر منها وهذا هو السبب في تعدد ملوك هذه الأسرة ، وفي اختلاف اسمائهم، وظهور لقب " قائد الجيش " كلقب للملك[6] .

في غضون ذلك تفككت أوصال مصر ، وتوزعت بين فئات مختلفة ، فقد كان هنالك بيت قوي في " طيبة " ، وثان في " قفط " ، وثالث في " أسيوط " ، ورابع في " شرق الدلتا "، وخامس في " غربها " . وما يهمنا من هذه البيوت هو ما يطلق عليه بالأسرة الثالثة عشرة التي حكمت في " منف " في الشمال وخلفت أثاراً كثيرة في " طيبة " وكان أول ملك معروف لنا فيها هو " سخم رع خوتا وي " الذي سمي باسم " " امنمحات سبك حتب "[7] .

وقد حكم " امنمحات سبك حتب " أربعة أعوام بين الدلتا شمالاً والشلال الثاني جنوباً[8]، جنوباً[8]، تلاه بعدها " سعنخ تاوي سخم كارع "[9] الذي استتب الأمن والسلام في عهده ، ومن

---

[1] زايد ، المصدر نفسه ، ص ص401–403 .

[2] فخري ، المصدر السابق ، ص ص180–181 .

[3] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص ص136–137 .

[4] فخري ، المصدر السابق ، ص194 .

[5] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص220 .

[6] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص142 .

[7] فخري ، المصدر السابق ، ص195 .

[8] حسين ، المصدر السابق ، ص86 .

[9] فخري ، المصدر السابق ، ص282 .

ومن ملوك هذه الأسرة " خو تاوى رع " ، و "سنفرايب " ، و " سعنخ ايب رع " و " سبك حتب الثالث " الذي تلاه على العرش الملك "نفر حتب الأول"، الذي أحيا العقيدة "الأوزيرية" لاسترضاء الشعب وارضاء عاطفة الشعور الديني لاسيما أن للإله "أوزيريس" مكانة مهمة عند الملوك بشكل خاص منذ عهد الدولة الوسطى إذ عدَّ أعظم الالهة شأناً ، ثم خلفه "سبك حتب الخامس"

ثم " سبك حتب السادس " ، و "ني خع ماعت رع " الذي خلفه ملوك آخرون[1] . والراجح حصول اضطرابات داخل البلاد في نهاية حكم الملك " ست حتب السادس " ، واغتصاب العرش على يد " واح – ايب كارع " ومع انتهاء حكم ذلك الملك تنتهي سلطة ملوك الأسرة الثالثة عشرة في المحافظة على حدود مصر الجنوبية ولم تستقر الأمور بعد ذلك ؛ فقد مرت البلاد في تلك المرحلة بحالة من الاضطرابات وكثر عدد الطامعين في العرش ، وكثر النزاع على السلطة[2].

وقد استمرت البلاد على هذا الحال حتى دخل الهكسوس[3] ، شرق الدلتا فيتضح من سيرة اخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة أنَّ الهكسوس دخلوا مصر في أواخر عهد تلك الأسرة[4]. غير ان ذلك لا يعني أنَّ من تقدم ذكرهم من ملوك هذه الأسرة الثالثة عشرة هم فقط مجمل ملوكها بل كان هنالك آخرون منهم " سمنخ كارع " و " خع سخم رع " و " نفر حتب "

---

[1] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص240 .

[2] المصدر نفسه ، ص ص240–244 ، وكذلك : هـ. فرانكفورت واخرون ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا (بغداد : 1990م) ، ص131 .

[3] أسماهم المصريون نتيجة كرههم لهم ، وما لحق بهم من أذى في بداية غزوهم لمصر " الطاعون " و "الوباء " واسموهم " شاسو " أي " الرعاة " . اما أصل كلمة الهكسوس فيعني الملوك الرعاة ؛ لأن " هيك " تعني " ملك " و "سوس" تعني " راعي " أو ان الأخيرة هو اختصار للكلمة " خسوت " التي تعني الأجانب ويسميهم اليونانيون بالهكسوس بمعنى " الرعاة " الملوك فيما أسماهم المصريون ايضاً برعاة آسيا " مينوساتي" فقد غزت هذه القبائل سوريا وفلسطين وانشأت لها دولة ، ثم استغلت حالة الضعف والاضطراب في مصر وغزوها ، واستولت على مصر السفلى لاسيما " الدلتا " ، واقاموا فيها عاصمة لهم هناك ، للتفاصيل ينظر : احمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ط2 (دمشق : العربي للاعلان والنشر والطباعة ، د.ت) ص ص73–74 . وكذلك : محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم (حركات التحرير في مصر القديمة) ، (مصر : دار المعارف ، 1976م) ص131 . وعن رحلتهم ينظر: W.N. Weech, History of the world, (Bmbay, n. d), p. 43

[4] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص240–242 .

و " نحسي "[1] . اما الأسرة الرابعة عشرة فيذكر انها كانت قد بدأت مع وجود الأسرة الثالثة عشرة الا أنها استمرت مدة أطول ؛ لأنها كانت بعيدةً عن الهكسوس في شرق الدلتا، اذ حكمت في " سخا " الواقعة غرب الدلتا ، فيما كان شرق الدلتا خاضعاً للهكسوس الذين بدأت طلائعهم تستقر هناك . أما طيبة وجزء كبير من الصعيد فقد ظلت تحت نفوذ البيوت الحاكمة هناك[2] ، وقد بلغ عدد ملوك هذه الأسرة اربعة وسبعين ملكاً[3] ، ومنهم " مر سخم رع ، نفر حتب ، ومر كاو رع سبك حتب ، وسواح ان رع ، وسنب مسوي ، وجد غخ رع ، ومنتوام ساف ، ومنخعو رع ، و حتب ايب رع ، وديدي مس الثاني "[4] .

وبينما اقامت الحكومات الوطنية حكوماتها في مصر العليا ، أقام الهكسوس ثلاث اسر هي الأسرة الخامسة عشرة والأسرة السادسة عشرة والأسرة السابعة عشرة ، التي دام حكمها خمسة قرون مستفيدين من حالة التزعزع الحاصلة في مصر[5] ، فأخذوا يمدون نفوذهم جنوباً بعد ان دخلوا الدلتا[6] ، فشمل نفوذهم الدلتا ثم الصعيد[7] ، مع ان الجزء الأعلى من الصعيد قد ترك لحكام مصريين يحكمونه على أساس الولاء لهم . في غضون ذلك أساء الهكسوس معاملتهم للمصريين ، وأهانوا معبوداتهم ، فشاع الظلم والاستبداد في البلاد الواقعة تحت سيطرتهم[8] .

ومن أبرز ملوك الهكسوس " سلاطين " الذي اتخذ من منف عاصمة له خلال عهده الذي دام تسعة عشر عاماً ، أما " ينون " فقد حكم اربعة واربعين عاماً ، وحكم " خيان " ستة وثلاثين عاماً ؛ الذي كان من القابه " ابن الشمس " و " الاله الطيب " [9] ، يضاف الى اولئك الملوك " ابوفيس " الذي حكم واحداً وستين عاماً و" يناس " الذي بلغ عهده حوالي خمسين عاماً. فيما بلغ عهد " اسيس " تسعة واربعين عاماً تقريباً ، وكان هؤلاء الملوك الستة يسعون

---

[1] فخري ، المصدر السابق ، ص196 .

[2] فخري ، المصدر نفسه ، ص198 .

[3] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص244 .

[4] السيد ، المصدر السابق ، ص290 .

[5] استيندرف ، المصدر السابق ، ص10 .

[6] أ. ج. سبنسر ، الموتى وعالمهم في مصر القديمة ، ترجمة : احمد صليحه ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987م) ، ص18 .

[7] فخري ، المصدر السابق ، ص208 .

[8] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص248 .

[9] فخري ، المصدر السابق ، ص208 .

باجتهاد الى القضاء على الشعب المصري[1] . وبلغ عدد ملوك الأسرة السادسة عشرة اثنين وثلاثين ملكاً[2] ؛ ممن كانوا أقل قوة من أسلافهم ملوك الأسرة الخامسة عشرة وهم وإن نجحوا في الاحتفاظ بنوع من السيطرة من الشمال الى الجنوب إلاَّ أنَّ سيطرتهم (الهكسوس) لم تكن قد شملت البلاد كلها الا لمدة قصيرة من الزمن ، وسرعان ما فقدوا السيطرة على مصر العليا ، وأَصبح سلطانهم لا يمتد إلاَّ على الدلتا وحدها ، وكان ذلك ضمن العوامل التي سهلت على المصريين مقاومتهم وطردهم ، من ناحية اخرى كان النوبيون قد استغلوا فرصة انهيار المملكة المصرية ، وبعد ملك الهكسوس عنهم وتمركزه في الدلتا ليؤسسوا لأنفسهم مملكة مستقلة في جنوب الشلال الأول فتأسست أول مملكة متحدة لدولة " كوش "[3] .

ويبدو ان الهكسوس قد قبلوا دفع الجزية ممن والاهم من أمراء البلاد الذين ظلوا على إماراتهم عندما غزو مصر[4] .

أما الملوك الوطنيون في الأسرة السابعة عشرة فقد حاولوا مد نفوذهم ببطء نحو الجنوب متخذين من طيبة عاصمة لهم ثم جمعوا حولهم اقاليم الجنوب بشكل تدريجي اذ تتألف الأسرة الوطنية السابعة عشرة من مائة وخمسين ملكاً كان من أهمهم : " سخم رع هرو أوب ماعت انيوتف ، وسخم رع وب ماعت " نيوتف ، و ست خبر انيوتف ، وسقنن رع تاعا الأول " العظيم " ، وسقنن رع تاعا " الشجاع " ، وواج خبر رع كامس[5] .

اما طرد الهكسوس وتحرير مصر منهم فانه يعود إلى عدم احتمال المصريين طويلاً لظلمهم . فتزعم أمراء طيبة في أواخر الأسرة السابعة عشرة حركة التحرير بعدما امتنع بعض الطيبين أولاً عن دفع الجزية[6] .

ويمكن تحديد بداية حرب تحرير مصر في أيام " كامس " الذي أعلن أمام مجلس مستشاريه ان الأمة المصرية يجب ان تتحد تحت قيادته[7] . ثم انفجرت الحرب[8] على يديه

---

(1) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص247-248 .

(2) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر نفسه ، ص ص245-246 .

(3) السيد ، المصدر السابق ، ص316 .

(4) المصدر نفسه ، ص ص316-317 .

(5) فخري ، المصدر السابق ، ص209 .

(6) السيد ، المصدر السابق ، ص320 .

(7) يويوت ، المصدر السابق ، ص103 .

(8) للتفاصيل عن هذه الحرب ينظر : جين بوترو واخرون ، الشرق الأدنى (الحضارات المبكرة) ، ترجمة : عامر سليمان ، (الموصل : مطابع جامعة الموصل ، 1986) ص ص407-412 .

حينما قاد جيشه ، وتقدم به لقتال " الهكسوس " ، فهزمهم في " هرموبوليس " ، وحرر مدينة "منف" فامتدت مملكة الجنوب الصغيرة بفضله امتداداً كبيراً نحو الشمال[1] .

حصل ذلك الانتصار والفتح على الرغم من تأليب الهكسوس حكام النوبة الخاضعين لسلطان " كامس " ضده ، واضطراره الى ترك الحرب مدة من الزمن ؛ ليردع النوبيين وهو ما تحقق له فعلاً ليعود بعد ذلك الى حربه الأساسية ضد الهكسوس ، حتى استطاع تخليص مصر الوسطى منهم إلاَّ أن العمر لم يطل به ليكمل تحرير البلاد كلها فترك ذلك لأخيه "احمس" الذي واصل جهود من سبقه فطارد الهكسوس حتى أخرجهم من عاصمة ملكهم "افارس أو – اوارس" الذين اتخذوا هذا الموضع ليسهل عليهم مراقبة املاكهم في آسيا ومصر[2]، وتعقبهم بعد انسحابهم خارج مصر حتى وصلوا فلسطين ، ثم قفل راجعاً الى طيبة متخذاً إياها عاصمة لحكمه ومؤسساً الأسرة الثامنة عشرة[3] .

ومن الجدير بالذكر انَّ النضال ضد الهكسوس لم يكن مقتصراً على الرجال فقط من الملوك بل ساهمت بعض الملكات مثل الملكة " تتى شري " وهي ام " ستمنرع " والملكة " اياح حوتب " زوجة " ستمنرع " وام ولديه ؛ التي وصفت بأنها " ربة الارض ، وسيدة جزر البحر الأبيض " فاسمها رفع الشأن في كل قطر اجنبي ، العظيمة القديرة التي دبرت سياسة القوم، واحكمت شؤون مصر ، وجمعت صفوف جيشها ، واعادت الفارين ، ولمت شتات المهاجرين، وهدَّأت قلق الصعيد "[4] .

وقد لعبت الملكة " أحمس نفر تاري " زوجة " كامس " ثم زوجة " أحمس " دوراً مهماً في حرب التحرير[5] ، التي دامت زهاء نصف قرن[6] ، حتى عبدت فيما بعد وعدَّت وابنها وابنها " امنحوتب الأول " إلهين حارسين للجبانة ، وقدمت لهما القرابين[7] .

أحوال مصر السياسية خلال عصر الدولة الحديثة (1570 – 1090ق.م)

---

(1) در يوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص ص330–331 .

(2) محمد الخطيب ، حضارة مصر القديمة ، (دمشق : مطبعة اتحاد الادباء والكتاب العرب ، 1993م) ، ص48 .

(3) حسين ، المصدر السابق ، ص90 ، وكذلك : السيد ، المصدر السابق ، ص ص229–230 ، ودريوتون، وفانديه ، المصدر السابق ، ص332 .

(4) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص258 .

(5) المصدر نفسه ، ص258 .

(6) باقر ، المصدر السابق ، ص66 .

(7) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص258 .

ويمتد عهد هذه الدولة بين الأسرة الثامنة عشرة (1570–1305ق.م) وينتهي بالأسرة العشرين فيما بعد ، ويعد " أحمس الأول " مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ؛ الذي ناضل في ظروف قاسية – كما تقدم – لمحاربة الهكسوس ، واجلائهم عن مصر ، ثم بدأ يوجه جهوده نحو بلاد النوبة ، فاسترجع المناطق التي خسرتها مصر فيها ، مما كانت تحكمه في عصر الدولة الوسطى فضلاً عن أنه قضى على الثورات التي اندلعت داخل البلاد ، ولم ينس تنظيم الحكومة ، واصلاح ما خربته حربه ضد الهكسوس[1] . فنعمت البلاد في عهده بالحرية، وأقامت مصر علاقات طيبة مع جزر البحر المتوسط وأعيد فتح المحاجر ، واستؤنف العمل لاستخراج الاحجار اللازمة لترميم المعابد وبنائها[2] .

وكذلك توحدت مصر في عهده ؛ الذي دام خمسة وعشرين عاماً بعد طرد الهكسوس، ومطاردتهم لكي لا يجرأوا على تهديد سلامة مصر مرة أخرى[3] . وتلاه على العرش ابنه " امنحوتب الأول " ، الذي عمل على استعادة وتقوية حدود مصر في النوبة بغية الحصول على المواد الخام ، ونشر الثقافة المصرية فيها مع توسيع حدود مصر الجنوبية[4] .

وفي جهد يستهدف متابعة سياسة والده في الحفاظ على المستعمرات المصرية في اسيا فإنه خرج على رأس حملة الى سوريا[5] ؛ وهي الجهود التي جعلت البلاد بحاجة ماسة لمدة من الراحة وهو ما حققه الملك " امنحوتب الأول " ، فاستعادت المدن حياتها العادية ، ونمت فيها الزراعة والتجارة ، وزادت الثروات في مصر[6] . فبدأت تظهر مظاهر الترف في الحياة، ومثال ذلك : انتقال الأغنياء من المصريين بعجلات تجرها الجياد بعد ان كانوا يحملون على محفات على الاكتاف[7] .

وعلى إثر وفاة " امنحوتب الأول " وقع نزاع على وراثة العرش ولعل سبب ذلك هو عدم ترك " امنحوتب الاول " من يرث عرشه من بعده ، ولم ينته ذلك النزاع إلاَّ بتولي "تحوتمس الأول" عن طريق زواجه من الأميرة " احمس " أبنة " امنحوتب الأول "[8] وهي

---

(1) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص149 .

(2) حسين ، المصدر السابق ، ص ص95–96 .

(3) فرانكفورت ، المصدر السابق ، ص131 .

(4) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص262 .

(5) يويوت ، المصدر السابق ، ص111 .

(6) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص149 .

(7) حسين ، المصدر السابق ، ص97 .

(8) زايد ، المصدر السابق ، ص516 .

صاحبة الحق في ولاية العرش فالذي يبدو أن الإناث لم يكن لهن الحق في الجلوس على العرش بمفردهن ؛ لذا عمد الأمير " تحوتمس الأول " ؛ الذي كان ابناً " لأحمس " من زوجة ثانوية إلى الزواج منها ، وتولي العرش باسم " تحوتمس الأول "[1] .

بعد ذلك مباشرةً وجه اهتمامه نحو اصلاح حدود البلاد الجنوبية ، فسار على رأس حملة الى الجنوب حتى وصل الى الشلال الرابع ، حينها بدأ النفوذ المصري يتسع حتى وصل الى أخر " دنقله " وأصبحت مدينة " نباتا " داخل حدوده وامتد النفوذ المصري جنوباً حتى وصل الى قبيل الخرطوم مع تعيين حاكم على هذه المملكة الجنوبية التي امتدت من مدينة – الكاب – حتى حدود مملكة السودان[2] .

من جهة اخرى جرد " تحوتمس " حملة على الليبين بعد أن أغاروا على حدود مصر الغربية ، فهزمهم وشتتهم في الصحراء ، وشن الحملات العديدة على الهكسوس في فلسطين وسوريا انتهت بانتصاره العظيم عليهم[3] ، وتابع مسيره حتى وصل نهر الفرات الذي اسماه مُعاصروه بانه " ذو المياه المعكوسة " ؛ لأنه يجري عكس اتجاه النيل[4] .

نتيجة لذلك أخذ أمراء سوريا وفلسطين يقدرون مكانة مصر ، ويدركون تفوقها ، فأرسلوا الهدايا الثمينة والجزية إلى " تحوتمس " الذي عمد الى التنازل قبل وفاته عن عرشه لابنه "تحتمس الثاني " وهو من زوجته الثانية " موت نفرت "[5] وزوجه من ابنته " حتشبسوت" حتشبسوت" إلا أنه توفي بعد مدة قصيرة من هذا الزواج ، ولم يحقق خلال هذا العهد انجازاً إلا القضاء على عصيان بعض القبائل السودانية قرب الشلال الثالث[6] ، وشنه حرباً على البدو الذين كانوا يغيرون على حدود سوريا التي سارت اليها حملات اخرى[7] ولم تنجب له زوجته واخته "حتشبسوت " غير ابنتين ؛ لذا لم يكن له ولد يرثه بعد وفاته[8] .

وعلى أثر وفاة " تحتمس الثاني " انقسم المصريون على فئتين : أيدت الأولى أنَّ "حتشبسوت " هي الوريثة الشرعية وهي صاحبة الحق الأول والاخير في العرش ، ورأت الأخرى أن العرش في مصر لا يليه إلاَّ رجل ، لذلك طرحت فكرة تولي " تحتمس الثالث "

---

(1) السيد ، المصدر السابق ، ص ص364-365 .

(2) حسين ، المصدر السابق ، ص99 .

(3) المصدر نفسه ، ص99 .

(4) فخري ، المصدر السابق ، ص227 .

(5) السيد ، المصدر السابق ، ص367 .

(6) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص150 .

(7) فخري ، المصدر السابق ، ص228 .

(8) حسين ، المصدر السابق ، ص100 .

وهو ابن " تحوتمس الثاني " من إحدى زوجاته الثانويات ، فساعده كهنة " أمون " ، وأصبح ملكاً بعد أن تزوج من " حتشبسوت " الاَّ انها أنفردت بالحكم ، تاركة زوجها منزوياً حتى وفاتها[1] .

وقد كانت "حتشبسوت" صاحبة النفوذ؛ اذ تولت ادارة الأمور وتصريفها غير أن السلمية الطويلة التي اعتمدتها مصر في ظل حكمها، واهتمامها فقط بتنظيم أحوالها الداخلية، واستثمار المحاجر، وتركها رعاية شؤون السياسة الخارجية كانت هي الاسباب التي ألبت بعض القوى ضدها ، وأضعفت من نفوذ مصر في آسيا وبالتالي التعاون على قيام تحالف قوي من دويلات آسيا بزعامة أمير " قادش " يناهض مصر ونفوذها هناك[2] .

وبينما كان ذلك التحالف يتبلور ويتقوى وضعت الملكة " حتشبسوت " التاج المزدوج على رأسها ، وتمثلت بالرجال ، وارتدت ملابسهم ، وتسمت باسمائهم وأشرفت على تجارة العطور والبخور ، وأكثرت من العمران والانشاء واصلاح ما خربه الهكسوس حتى عد عصرها بصفة عامة عصر سلام وبناء وتعمير[3] .

وبعد وفاتها عاد " تحوتمس الثالث " الى الانفراد بالحكم ، وتولى القيام بمشروعات ضخمة دعمت أُسس الإمبراطورية وقام بسلسلة الغزوات في آسيا الغربية[4] ؛ بسبب اضطراب الأحوال فيها بعد اعلان التحالف بين الآسيويين وأمير " قادش "[5] .

هذا وقد واجهت القوات المصرية في عهده القوات " الحثية " في سوريا ، وقد ثبت علاقاته بآسيا[6] كما واجه الهكسوس في معركة " مجدو "[7] ، وانتصر عليهم ، وخضع له الأمراء السوريون ، ثم نظم الأقاليم التي فتحها في فلسطين ولبنان وجزء من فينقيا[8] واستعمل واستعمل نظام الرهائن مع أمراء هذه الأقاليم[9] ، ووصلت قواته الى مدينة " قرقميش " التي هزم فيها ملك "ميتاني "[10] .

---

[1] فخري ، المصدر السابق ، ص228 ، وكذلك : ميدكروفت ، المصدر السابق ، ص130 .

[2] رزقانه ، المصدر السابق ، ص190 ، وكذلك ، يويوت ، المصدر السابق ، ص112 .

[3] حسين ، المصدر السابق ، ص ص101-103 .

[4] فخري ، المصدر السابق ، ص233 .

[5] حسين ، المصدر السابق ، ص103 .

[6] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص153 .

[7] رزقانه ، المصدر السابق ، ص190 .

[8] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص153 .

[9] حسين ، المصدر السابق ، ص105 .

[10] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص153 .

وكان " تحتمس الثالث " في سياق تحركاته في مناطق غزواته يتخذ الاحتياطات اللازمة لنصرة وحماية الجيش ، فقد كان يقضي اكثر من عام في آسيا أحياناً كثيرة ؛ لتنظيم ما استولى عليه من أقاليم وللوقوف بوجه من يفكر بالخروج على طاعته ، فامتدت امبراطوريته من الشلال الرابع جنوباً حتى نهر الفرات في الشمال الشرقي ، وكانت سائر الممالك القريبة والبعيدة تحرص على كسب وده ، وتقدم له الهدايا والعطايا الثمينة[1] كيف لا؟ وهو الذي قاد سبع عشر حملة حربية ، استردت بعدها مصر مكانتها السابقة[2] ، قبل وفاته التي حانت بعد ان قضى ثلاثة وثلاثين عاماً في الحكم[3] .

تولى العرش بعده ابنه " امنحوتب الثاني " ؛ الذي لم يتردد في اتباع خطوات أبيه، ومواصلة سياسته الحربية بعد أن نشأ نشأة عسكرية[4] فما إن مات " تحتمس الثالث " حتى أفصحت الولايات السورية الشمالية عن رغبتها بالتخلص من الحكم المصري ؛ لذا قاد "امنحوتب الثاني " حملة ضدهم كتب لها النجاح وتكررت مع اقليم " أفق " الواقع في شمال فلسطين ؛ مما جعل جميع المدن هناك تحسب له حساباً وفي مقدمتهم مملكة " ميتاني " ومدينة " قادش " في الوقت الذي تزايد فيه خطر " الحثيين " على مملكة " الميتانيين "[5] لذا أحست الأخيرة بأهمية تمتين علاقتها بمصر ، وقدمت لها الولاء ، وكذلك فعلت مملكة " خيتا " في اسيا الصغرى حينما طالبت بصداقة مصر[6] .

ولا يعني تجريد " امنحوتب الثاني " للحملات الكثيرة خلال عهده أَنَّه انقطع الى الحرب فقط بل كانت له مساهمات في مجال البناء والتعمير خلال عهده الذي انتهى عام (1420ق.م)، فخلفه " تحوتمس الرابع " وهو أحد أبناء " امنحتب الثاني " الذين كان عددهم بين خمسة أو سبعة ابناء[7] .

وقد شرع الملك الجديد بمواجهة الثورة التي اندلعت في سوريا فذهب إِليهم بحملة تمكنت من قمع تلك الثورة ، وأعادت سوريا الى سيطرته[8] ، ونزل في السودان ؛ لقمع ثورة

---

(1) رزقانه ، المصدر السابق ، ص191 .

(2) الخطيب ، المصدر السابق ، ص51 .

(3) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص153 .

(4) فخري ، المصدر السابق ، ص ص242-243 .

(5) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص278-280 .

(6) فخري ، المصدر السابق ، ص236 .

(7) حسين ، المصدر السابق ، ص ص107-108 .

(8) فخري ، المصدر السابق ، ص248 .

أخرى[1] . إلاَّ انه عاد مرة أخرى إلى آسيا ؛ لمواجهة الفتن التي أثارها " الميتانيون " ضده، فجرد ضدهم الحملات تارة ، والتقرب اليهم تارة أخرى في وقت اشتد فيه النزاع بين كهنة "أمون " وكهنة الإله " رع " بشكل واسع وواضح[2] ، فقد ظهر اسم أتون في عهد " تحوتمس الرابع " للمرة الاولى[3] .

في غضون ذلك كانت دولة " الحثيين " قد اصبحت قوة لها خطرها على مصر وأملاكها في سوريا وفلسطين ؛ لذا وجد " تحوتمس الرابع " ان من مصلحته التحالف مع ملك "ميتاني " وعقد المصاهرات السياسية بينهما فتزوج من ابنة الأخير التي تدعى " ارتاتاما "[4] وعقد صداقة مع بابل[5] . فيما عمد زعماء الدول الآسيوية الى اكتساب عطف مصر مما ساعد في استتاب الأمن في مصر والبلاد الخاضعة لها في غرب آسيا وتكديس الثروات في خزائن الدولة[6] . إلاّ أنّ النوبة ثارت ضد الحكم المصري ، فسار اليها " تحوتمس الرابع " بجيشه ، فهزمها وغنم الكثير ، إلاَّ أنَّ العمر لم يطل به فتوفى شاباً له من العمر ستة وعشرون عاماً لم يحكم فيها الا تسع سنوات[7] ، فتولى العرش من بعده ابنه "امنحوتب الرابع" الرابع" الذي كان في الثالثة عشرة من عمره لكنه لم يكن بعيداً عن أُمور إدارة الملك بعد أن أشركه والده في ذلك قبل وفاته[8] .

ولم يسر الملك الجديد على العادة المتبعة في مصر وهي زواج الملك بأخته الكبرى بل تزوج بفتاة لم تكن لها صلة بالعائلة المالكة اسمها نفرتيتي[9] وهي الأخرى كانت صغيرة السن السن حينما تزوجها " امنحوتب الرابع " ، فلم تتجاوز الثالثة عشرة حينها[10] بعد أن كان الملك بمعزل عن كل طبقات الشعب ، والزواج محصوراً بين افراد الأسرة المالكة ، أو مع الأسر الاجنبية[11].

---

[1] السيد ، المصدر السابق ، ص409 .

[2] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص153 .

[3] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص281 .

[4] فخري ، المصدر السابق ، ص249 .

[5] حسين ،المصدر السابق ، ص108 .

[6] السيد ، المصدر السابق ، ص408 .

[7] حسين ، المصدر السابق ، ص109 .

[8] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص286 .

[9] للتفاصيل عن زواج اخناتون بنفرتيتي ينظر : عبد المنعم ابو بكر ، اخناتون ، (القاهرة : د.ت) ص86.

[10] السيد ، المصدر السابق ، ص424 .

[11] مايرز ، ج.ل ، فجر التاريخ ، ترجمة : علي عزت الانصاري (مركز كتب الشرق الأوسط ، 1962م) ، ص73 .

من ناحية اخرى فان الملك الجديد قد تعمق بديانة " رع " بعد أن تولى كهنة من أتباع العقيدة " الهليو بوليتانية " تعليمه[1] ، ثم سعى الى التقرب من كهنة " منفس " فهليوبوليس ليتسنى له كسر شوكة كهنة " أمون " في طيبة بعد أن سيطروا على البلاد ، ولم يشركوا المعبودات الأخرى إلاَّ القليل على الرغم من محاولات أبيه التي رمت الى تخفيف وطأة نفوذهم . في نفس الوقت فانه ينبغي علينا عدم نسيان تأثير زوجته " نفرتيتي " ، عليه فقد لعبت دوراً أساسياً في حياته بعد وفاة والده ، يضاف الى ذلك أن " امنحوتب الرابع " كان محباً للحقيقة ، وناشداً للصدق ، مرهف الحس له أراؤه الفلسفية وهو ما جعله يرفض مفاهيم كهنة "أمون "[2] ، ويخرج إليهم بفكرة أن الإله ليس قرص الشمس[3] ، بل القوة الكامنة فيه ؛ ؛ والتي أسماها " اتون " وطالب الناس بعبادته دون شريك له ، والخضوع له وحده دون أي إله آخر وعبادته وتقديسه[4] .

وبذلك فإنّه شجع الديانة " الأتونية " ثم عدّها الديانة الرسمية للبلاد ؛ لذا توترت العلاقات بينه وبين كهنة أمون[5] فبدأوا ثورتهم عليه ومؤامراتهم ضده ؛ للقضاء عليه ، فقد عدوه شخصية حالمة وضعيفة غير مؤهلة للحكم مما زاد في حدة الصراع بين اتون والآلهة الأُخرى[6] .

من جانبه بدأ " امنحوتب الرابع " حركة قوية لمحو " أمون " من جميع أرجاء الامبراطورية المصرية[7] ، لاسيما أن إعلان الحرب على " أمون " كان ينطوي على تحويل العطايا الملكية والأموال والأراضي المقدسة إلى " أتون "[8] والاستغناء عن المعابد المغلقة

---

(1) عبد الحليم ، المصدر السابق ، ص286 .

(2) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص155 .

(3) - James Henry Brested, A history of Egypt from The Earliest to the persian conquest (U. S. A., 1905) p. 360 .
- Donald B. Redford, Akhnaton, (Cairo, 1984), p. 17 .

(4) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص150 . وكذلك : سيغموند فرويد ، موسى والتوحيد ، ترجمة : جورج طرابيشي ، ط3 (بيروت : 1979) ، ص ص27–28 .

(5) جمال المرزوقي ، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ، ط1 (القاهرة : 2001) ، ص89 .

(6) Cyril Aldred Thames and Hudson, Akhnaton pharon of Egypt, (Germany, 1966), p. 60 .

(7) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص278 .

(8) F. J. Giles, Ikhnaton legend and History, (London, 1970), p. 19 .

واستبدالها ببهو كبير في وسطه مذبح بهدف امتاع المتعبدين ؛ بقرص الشمس وهو ما يعني حصول ثورة فتية إضافة الى الثورة الدينية[1] .

ثم غير " امنحوتب الرابع " اسمه الذي يعني " أمون راضٍ " الى اسم أخ – ان – اتون ومعناه " ليسعد اتون " تعزيزاً للصلة بمعبوده ثم نقل عاصمة مصر من " طيبة " إلى عاصمة جديدة إنشأها ، وأسماها " أخت أتون " (أي مشرق أتون) وهي قرية تل العمارنة حالياً ، وينسب تأسيسها الى " أتون " وبذلك يمكننا تحديد أهم مبادئ ديانة اتون بِعدّ الاخير الإله الأوحد ، وتحريم عبادة غيره من الآلهة مع عد " اخناتون " ابناً له ورسوله الى الناس كافة[2].

ولكننا يجب ان نؤكد على مركزية الاتونية ، واقتصارها على الملك وعائلته . أما كبار الموظفين وأتباعهم فكانوا يخضعون له مكرهين لذا انهارت هذه الديانة بعد موت اخناتون[3] .

.

ثم اتهم " اخناتون " الكهنة بالسحر والشعوذة وبأنهم جنود اكثر منهم رجال دين[4]. فكان ذلك مقدمة لثورة اجتماعية سياسية اضافة الى الثورة الدينية ؛ لأن " اخناتون " اعلن عن حل الامبراطورية وفصل سوريا ؛ لأنها مصدر للفساد والشر على مصر . ولما كان " امون " غنياً وزع " اخناتون " كل أراضيه على الفلاحين[5] ، فأثرت الثورة على الفقراء وطبقات المجتمع[6] وعدَّ الجيش اوطأ طبقة في المجتمع يكسب أفراده قوتهم من الاستجداء أو يموتون يموتون جوعاً فقد وجد " اخناتون " أن الحروب تناقض إرادة الإله وان الأسلحة وسائل للطغيان[7] . ادى ذلك الى انقسام كبير في البلاد بين مؤيد للديانة الجديدة ، او معارض لها[8]

---

(1) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص294–295 . وكذلك : سبنسر ، المصدر السابق ، ص19 . وكذلك : S. R. K. Glanville, The legacy of the Egypt (Oxford, 1942), p. 112 .

(2) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص287 .

(3) زايد عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص620 .

(4) Otto Neubert, The valley of the kings, (London, 1957) , p. 179 .

(5) Neubert, op. Cit, p. 190 .

(6) Jacqmet taHawkes, History of Mankid : cultural and scientific Development, vol I, (pre History and beginning of civilization (London, 1964) p. 72 .

(7) Neubert, op. Cit, p. 190 .

لها[1] . فكون "اخناتون" له حزباً قوياً في القصر ؛ ليستطيع توجيهه ضد فئات الكهنة المطرودين ، لاسيما كهنة " امون "[2] .

في الوقت نفسه أهمل " اخناتون " الشؤون المتصلة بمستعمرات مصر ولم يلتفت الى رسائل حكامه في آسيا وبعض الأمراء الأسيويين (رسائل تل العمارنة) ؛ التي اوضحت له انهيار الجزء الأسيوي من الامبراطورية[3] ، وسجلت تلك الرسائل الصرخات والاستغاثات التي بعث بها أمراء آسيا الموالين لمصر يحذرونه فيها من عاقبة الأمر إذا لم يبادر بإرسال جيوشه، لمعالجة الأمور[4]. فنصت احدى تلك الرسائل على " ان كل بلاد الملك ستدمر وإذا لم يصل جنود مولاي في هذه السنة فإنَّ كل البلاد سوف تضيع "[5] وفيما كان هذا الملك مشغولاً بثورته الدينية وتداعياتها فقدت مصر فلسطين وبدأت الحاميات المصرية بالانسحاب من آسيا ؛ مما افقد مصر هذا الجزء من امبراطوريتها في وقت فقدت فيه الكثير من مواردها؛ مما ضاعف مصاعبها المالية والسياسية التي نجمت عن معاداة طبقات الكهنة والعوائل المعادية للفرعون الذي عمد الى تزويج ابنته من " سمنخ كارع " ، وأَشركه معه في الحكم إلاَّ انه قتل وزوجته في طيبة[6] ، بعد أن جاء لتهدئة كهنة " أمون " ؛ لذا عمد " اخناتون " " إلى تزويج أبنته الأخرى " عنخس أن اتون " الى " توت عنخ اتون " ثم أعلن الأخير خليفته له ، ولم يطل العهد " باخناتون " طويلاً إذ توفي بعد ان حكم مصر واحداً وعشرين عاماً[7] فتولى العرش " توت عنخ اتون " وهو في الثامنة عشرة من عمره[8] ، ومع ذلك فإنه فإنه لم يلبث أن أفصح عن رغبته بالانقلاب على الثورة الدينية التي أحدثها " اخناتون " وذلك بتغيير اسمه الى " توت عنخ أمون" بغية التقرب إلى كهنة " أمون " الذين أصروا على إزالة

---

[1] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص295 . وكذلك : السيد ، المصدر السابق ، ص438 .

[2] جيمس هنري برستيد ، تطور الفكر الديني في مصر القديمة ، ترجمة: زكي سوس ، (القاهرة : 1961) ، ص431 .

[3] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص295 .

[4] حسين ، المصدر السابق ، ص116 .

[5] ميدكروفت ، المصدر السابق ، ص161 .

[6] فيما يذهب " يويوت " الى القول بانه اختفى مع وفاة صهره اخناتون ، ينظر : يويوت ، المصدر السابق ، ص284 .

[7] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص298 ، وللتفاصيل عن اخناتون وثورته وعهده ينظر : محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم (اخناتون عصره ودعوته) ، (مصر : 1979م).

[8] جاردنر ، سرالن ، الثورة الدينية ، ترجمة : نجيب ميخائيل ابراهيم ، (القاهرة : 1973) ص262 .

كل أثار " اتون " ، فحطموا كلَّ ما له صلة به ، واشترطوا على الملك الجديد عدم إعادة العقيدة الأتونية ، فاصبح الملك خاضعاً لسيطرة الكهنة والموظفين[1] فيما عادت الحياة الى وضعها الطبيعي ، ونشطت حركة البناء والإصلاح[2] خلال عهد " توت عنخ أمون "[3] الذي الذي دام عشر سنوات تميزت بالإزدهار واستمرار النفوذ المصري في النوبة وشمال السودان[4] .

ولما مات " توت عنخ أمون " ، تولى الحكم من بعده (آي) الذي كان يعمل في أول أمره جندياً انخرط في سلك الإدارة والحكومة ، ثم وقف مناصراً " لسمنخ كارع " ولعب دوراً كبيراً في إدارة الأمور المالية بعد وفاة " اخناتون " ، وتولى " توت عنخ امون " العرش[5] .

إلا أن عهد " آي " كان قصيراً فقد تولى الحكم أربع سنوات فقط ، أثقله فيها كبر سنه فتلاه ، " حور محب " ؛ الذي لم يكن من العائلة المالكة ، ولكنه تدرج في الوظائف حتى أضحى قائد الجيش ، والرجل القوي في ذلك الوقت[6] . وبغية اعطاء نفسه حق تولي العرش تزوج من " موت نجمت " ابنة أخت " نفرتيتي " ، وأعلن أن عائلة العمارنة ملحدون واضعاً بذلك نهاية لكل أثار الاخناتونية ومحوها حتى أنه حرم ذكر الفراعنة " اخناتون " و"سمنخ كارع " و " توت عنخ امون " على اعتبار أنهم ملحدون[7] ، فيما وجه جل اهتمامه إلى الإصلاحات الداخلية دون الخارجية ، لاسيما التشريعات والعقوبات ، ووقع معاهدة رسمية مع الحثيين قبل وفاته وهي المعاهدة التي أشرت نهاية الأُسرة الثامنة عشرة[8] .

أنتقل العرش في مصر الى الأسرة التاسعة عشرة (1305-1200ق.م) بسهولة دون متاعب اذ تولى العرش " رمسيس الأول "[9] على الرغم من انه لم يكن صاحب حق في عرش مصر ، وانما وصل اليه لأن الناس الغوا في هذا العهد حكم العسكريين امثال " آى "

---

[1] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص298 .

[2] فخري ، المصدر السابق ، ص284 .

[3] للمزيد من التفاصيل عن " توت عنخ امون " ينظر : كريستيان ديروتس ويلكور ، " توت عنخ امون حياة فرعون ومماته ، ترجمة : احمد رضا ومحمد خليل النحاس (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1974) .

[4] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص299 .

[5] زايد ، المصدر السابق ، ص ص653-654 .

[6] للمزيد من التفاصيل عن هذا الملك ينظر : احمد بدوي ، " حور محب " ، مجلة كلية الاداب ، (مج10 ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ايار ، 1948) ج1 ، ص ص125-141 .

[7] السيد ، المصدر السابق ، ص ص452-453 .

[8] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص301-304 .

[9] المصدر نفسه ، ص304 .

ومن بعده "حور محب " اللذين لم يتركا وريثاً لهما[1] ، وهو الأمر الذي سرعان ما فكر بـه " رمسيس الأول " فوجد أن الحل يكمن في اشراك أبنه " سيتي الأول " معه في شؤون الحكـم، وبعد أن تقدم به العمر ، وغلب عليه الإحساس بالضعف والشـيخوخة ، والعجـز عـن إدارة شؤون دولته فيما مرَّ " سيتي الأول " بمراحل تؤهله لمساعدته أولاً وخلافته ثانياً ؛ لأن " سيتي الأول " كان قد أصبح قائداً لفرقة الرماة ، ثم قائداً لفيلق الفرسان ، وكبيراً للوزراء ، ثم وليـاً للعهد[2] .

ولما توفي " رمسيس الأول " تولى ولي عهده " سيتي الأول " عرشه وله مـن العمـر إحدى واربعون سنة[3] فنقل عاصمته الى " تانيس " ، بينما بقيت " طيبة " العاصـمة الدينيـة واستطاع استعادة ما فقدته الامبراطورية[4] ، فقد قام بحملة سريعة إلى آسيا أسفرت عن بسـط نفوذه على جنوب فلسطين ، ثم عاد الى شمالها ليخمد ثورة اندلعت فيها فـتمكن مـن ذلـك، واخضع فلسطين وفينيقيا وجنوب سوريا[5] ، ثم أسرع لإخماد ثورة قام بها الليبيـون وأوقـف غاراتهم على حدود مصر الغربية[6] ، وأرسل الحملات للحصول على الذهب خـلال عهـده الذي دام تسعة عشر عاماً[7] .

ولما توفي " سيتي الأول " خلفه أبنه " رمسيس الثاني " الذي كان يشارك أباه في الحكم كولي للعهد مما اكسبه دراية في شؤون السياسة والحرب[8] استفاد منها في عهده الذي دام مـا يقارب سبعة وستين عاماً واجه خلالها الحثيين قرب " قـادش " فـي معركـة غيـر فاصـلة ومواجهات اخرى مع ملك " الحثيين " وجيشه دون ان يستولي على " قادش "[9] ، ثـم ثـارت فلسطين ضد مصر فأخمد " رمسيس الثاني " ثورتها ، وأخضع فلسطين كلها لسـيطرته مـرة

---

[1] زايد ، المصدر السابق ، ص702 .

[2] حسين ، المصدر السابق ، ص126 .

[3] المصدر نفسه ، ص126 .

[4] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص304 .

[5] الخطيب ، المصدر السابق ، ص220 .

[6] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص158 .

[7] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص306 .

[8] مهران ، محمد بيومي ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (حركات التحرير) ، المصدر السـابق ، ص232 .

[9] للتفاصيل ينظر : ميدكروفت ، المصدر السابق ، ص ص179-190 .

اخرى ، وكذلك بلاد الأموريين فاستقرت له الأمور بعد ذلك في آسيا لبعض الوقت[1] التي كان يديرها من عاصمته الجديدة " بى رمسيس "[2] .

في غضون ذلك عقد التحالف (المصري – الحثي) بعد ظهور " الأشوريين " كقوة عسكرية في المنطقة كان لها خطرها على قطبي التحالف بعد ان استولى الأشوريون على ميتاني[3] .

ثم قويت العلاقات بين مصر والحثيين حينما تزوج " رمسيس الثاني " البنت الكبرى لملك الحثيين بعد ثلاثة عشر عاماً من توقيع معاهدة التحالف[4] ، ولكن على الرغم من نقل العاصمة من طيبة الى الدلتا ، وقيام مدينة لهذا الغرض باسم " بر رمسيس (اى دار رمسيس)[5] فأن الضعف اصاب الكيان الامبراطوري وفقدت مصر سوريا وأوشكت على فقدان فلسطين[6].

ويعود اسباب ذلك الضعف الذي لحق بالبلاد الى أسباب عدة كان من أهمها ادخال المرتزقة في الجيش المصري ، والابتعاد عن مركز ومعبد الاله " امون "في " طيبة " بعد نقل العاصمة التي كانت بعيدة عن مجريات الأحداث ، واستنزاف موارد الدولة على المباني الضخمة ، وتدخل أفراد الحاشية والعائلة المالكة في شؤون الدولة بعد ان شاخ " رمسيس الثاني " ، وتقدم به العمر لذا فإنه لما توفي بعد ان حكم سبعة وستين عاماً ترك لخليفته دولة أصابها الضعف وفي طريقها إلى الانهيار[7] .

اذ خلفه أبنه الثالث عشر " مر نبتاح " الذي شرع باخماد بعض الثورات ، منها ثورة في سوريا ، وضد هجمات الليبين في شمال غرب الدلتا[8] . فيما كان الملك الجديد يعاني من كبر سنه لأنه تولى عرش أبيه وكان له من العمر ستون عاماً تقريباً ، فوقف ضعيفاً أمام حاجات البلاد التي كانت تستلزم وجود ملك شاب ليعالج الازمات التي خلفها حكم "رمسيس الثاني" فانتشرت الفوضى والمنازعات المستمرة على حدود المملكة فيما ظهر عنصر جديد في

---

(1) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص158 .

(2) يويوت ، المصدر السابق ، ص134 .

(3) حسين ، المصدر السابق ، ص ص122–123 .

(4) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص158 .

(5) فخري ، المصدر السابق ، ص308 .

(6) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص159 .

(7) فخري ، المصدر السابق ، ص308 .

(8) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص311–312 . وكذلك : السيد ، المصدر السابق ، ص87 .

ساحة الصراع الاقليمي وهم شعب جزر البحر المتوسط[1] الذين تحالفوا[2] مع الليبين ، وشرعوا بالضغط على حدود مصر الغربية حتى وصلوا غرب الدلتا[3] .

في تلك الأثناء انهارت دولة الحثيين امام تحركات الشعوب الهندوأوربية التي نزلت في آسيا الصغرى وجزر بحر " ايجه " وبلاد " اليونان " وشمال " افريقيا " مما جعل مصر عرضة لخطرهم[4] .

إلا أن حكم " مرنبتاح " لم يدم اكثر من ثماني سنوات فمات ، تاركاً عرشه فريسة للاختلافات العائلية التي دامت سنوات عدة حكم خلالها ثلاثة ملوك ، تولى العرش اثنان منهم بصفة غير مشروعة ، فلما جاء الثالث محا اسميهما من كل أثر تركاه . كان أولهما "امنمس" وهو ابن " مرنبتاح " فقد تزوج من اخته " تاوسرت " ؛ ليؤكد حقه في العرش إلا أنه توفي بعد عامين تقريباً من ذلك[5] ، ثم جاء " مرنبتاح سبتاح " المعروف بذهابه الى النوبة لقمع ثورة اندلعت هناك وتعينه مندوباً فيها ولم يتول العرش إلاَّ بعد أن اقترن بالملكة " تاوسرت " ذات الأصل الفرعوني التي كانت السلطة الفعلية بيدها لا بيده[6] على الرغم من انه بقي في الحكم ست سنوات فخلفه " سيتى الثاني " الذي بدأ امراء البلاد يناوئونه ويظهرون استقلالهم عنه ، ونتيجة لضعفه سقط حكمه من دون ان يستطيع مسقطوه بلوغ العرش ، فنشبت حرب أهلية في البلاد ، وعم الاضطراب أنحاءها[7] وافتقدت البلاد للحكومة المركزية ، فيما ظهر شخص سوري اسمه " ارسو " ، فبلغ العرش ، وفرض نفسه ملكاً على مصر[8] .

وقد ابقي ارسو في الحكم حتى تمكن " ست نخت " – الذي ربما كان من نسل "رمسيس الثاني " من طرده واعاد الاستقرار والوحدة الى البلاد وعمد الى القضاء على المطالبين بالعرش مؤسساً بذلك الاسرة العشرين (1200–1090 ق.م) في مصر[9] .

مع ذلك لم يدم حكم " ست نخت " طويلاً بعد أن اشرك ابنه " رمسيس الثالث " معه في الحكم الذي قام باصلاح الإدارة والتنظيم الاجتماعي ، وشيد المعابد[1] فعدَّ من اعظم ملوك هذه

---

[1] للتفاصيل ينظر : الخطيب ، المصدر السابق ، ص227–268 .

[2] للتفاصيل عن هذا التحالف ينظر : زايد ، المصدر السابق ، ص ص742–748 .

[3] حسين ، المصدر السابق ، ص135 .

[4] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص159 .

[5] السيد ، المصدر السابق ، ص495 .

[6] السيد ، المصدر السابق ، ص499 .

[7] حسين ، المصدر السابق ، ص137 .

[8] السيد ، المصدر السابق ، ص499 .

[9] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص159 .

هذه الاسرة فضلاً عن ما تقدم فانه انقذ مصر من كثير من الهجمات على الرغم من كل الدسائس والمؤامرات الكثيرة التي كانت تدبر في البلاد بعد توليه العرش[2] .

كما شهد عهد " رمسيس الثالث " مهاجمة الليبين وحلفائهم حدود مصر الغربية، وانتصاره عليهم قرب مدينة " كوم ابو بللوا " غرب الدلتا ، وحصول اول صدام بين القوات المصرية وشعوب البحر الذين كانوا يبحثون لهم عن مناطق للنفوذ في الشرق[3] . فصد "رمسيس الثالث" هجومهم عند " زامي " وصد هجومهم البحري في الدلتا ، وانقذ " رمسيس الثالث" مصر من خطرهم الذي لا يقل عن خطر غزو الهكسوس[4] ، وتكرر هجوم شعوب البحر المتحالفين مع الليبين في العام الحادي عشر من حكم " رمسيس الثالث " على مصر فهزمهم على حدود الدلتا[5] .

ومع ذلك نعمت مصر في عهد " رمسيس الثالث " بالرخاء واستعانت بالمرتزقة من الأجانب لدعم جيشها ممن اصبحوا من الصعب السيطرة عليهم ، وانتشرت المؤامرات في قصر " رمسيس الثالث " الذي راح ضحية أحدها[6] ، بعد زيادة نفوذ كهنة الاله " آمون رع"، وتعيين بعض الأجانب في البلاط الملكي[7] لأنه اراد التقليل من الاعتماد على الوطنيين الخاضعين لنفوذ الكهنة[8] .

ونتيجة لتردي الوضع الاقتصادي للبلاد جراء الحروب والبذخ على بناء المعابد والابنية الضخمة ، ولتعدد زوجات " رمسيس الثالث " الراغبات بتولي أولادهن العرش بعد وفاة الملك أوصى " رمسيس الثالث " بالعرش قبل مقتله لابنه " رمسيس الرابع " ، ووجه وصية بذلك الى حكام الاقاليم وقادة الجيش[9] في محاولة منه لايقاف الانحلال الذي اصاب الامبراطورية المصرية ومقاومة ذلك الانحلال على الرغم من تردي الأوضاع السياسية واضطرابها في حياته[10] ، فتولى العرش من بعده ثمانية ملوك حملوا نفس اسمه وسارت

---

(1) السيد ، المصدر السابق ، ص ص503-504 .

(2) يويوت ، المصدر السابق ، ص135 .

(3) زايد ، المصدر السابق ، ص758 .

(4) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص318 ، وكذلك : لويون ، المصدر السابق ، ص31 .

(5) السيد ، المصدر السابق ، ص507 .

(6) الاحمد ، المصدر السابق ، ص160 . وكذلك : سبنسر ، المصدر السابق ، ص19 .

(7) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص319 .

(8) حسين ، المصدر السابق ، ص141 .

(9) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص322 .

(10) يويوت ، المصدر السابق ، ص135 .

الأمور خلال عهدهم الى حافة الانهيار حتى قلَّ ان نسمع عن أحدهم قيامه ببعض الانجازات والحملات، لانهم لم يكونوا رجال حرب او رجال اصلاح[1] ، فتضائل نفوذ الملوك ، بينما تزايد نفوذ كهنة " آمون " الذين اصبحت السلطة الحقيقية بايديهم فساد الفساد في الدوائر الحكومية[2] .

في خضم تلك الظروف والاجواء تولى " رمسيس الرابع " العرش المصري لمدة ست سنوات اهتم خلالها ببناء المعابد وتزيينها[3] ، ثم جاء " رمسيس الخامس " من بعده الا انه توفي بعد مدة قصيرة لاصابته بمرض الجدري[4] ، فلم يدم عهده الا اربع سنوات فقط[5] ثم تولى العرش من بعده " رمسيس السادس " ، الذي كان يقيم في الدلتا وحكم لمدة سبع سنوات فقط[6] اعقبه بعدها " رمسيس السابع " الذي اضطربت الأمور في عهده وعهد من بعده وساءت أحوال البلاد الاقتصادية ، وكثرت سرقات المقابر[7] ، لاسيما في عهد " رمسيس التاسع " حينما بدأ نجم " امنحوتب " رئيس كهنة أمون يرتفع عالياً ، وطغى على شخص الملك وسلطته[8] . فيما ازداد فقر الناس وكثرت حوادث السرقة بعد أن تدهور الوضع الاقتصادي كثيراً وزاد التوتر السياسي[9] .

أما " رمسيس العاشر " فقد شهد عهده الذي دام ثمانية اعوام اضراباً للعمال بسبب رفض كبير كهنة " آمون " صرف رواتبهم[10] ، ففي عهد " رمسيس العاشر " اصبحت قوة كهنة " امون " تعوق ما كان للفرعون الصغير السن ، لاسيما بعد وضعه تحت رعاية أحد أبناء كهنة " آمون " الذي كان يعمل في خدمة معبد " آمون " فزاد ذلك من نفوذ كبير الكهنة " امنحوتب" لدرجة أنه أرغم الفرعون على التخلي عن جزء كبير من الأوقاف العائدة للتاج لمصلحة كهنة "آمون" ، وأصبح الفرعون أداة بسيطة بأيدي كبير الكهنة[11] .

---

(1) فخري ، المصدر السابق ، ص323 ، وكذلك :
Osman R. Rostam, selected Essays on many subjects, (Bairut, 1972), p. 4 .

(2) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص323 .

(3) السيد ، المصدر السابق ، ص518 .

(4) المصدر نفسه ، ص522 .

(5) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص325 . وكذلك : حسين ، المصدر السابق ، ص142.

(6) السيد ، المصدر السابق ، ص522 .

(7) للتفاصيل عن سرقات القبور الملكية ينظر : زايد ، المصدر السابق ، ص ص779-783 .

(8) حسين ، المصدر السابق ، ص142 .

(9) السيد ، المصدر السابق ، ص522 .

(10) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص326 .

(11) السيد ، المصدر السابق ، ص526 .

وبدأ في عهد " رمسيس الحادي عشر " اتجاه جديد اساسه محاولة تنظيم البلاد ، وتطهير كافة مرافقها مما وصلت إليه من تدهور من خلال تجدد الثورات التي ادت الى هروب " رمسيس الحادي عشر " الى " طيبة " حيث استقبله " حريحور " كبير كهنة "آمون"[1] الذي عدَّ نفسه سيداً لمصر على الرغم من اعتلاء " رمسيس الحادي عشر " العرش رسمياً ، الذي ما ان توفي حتى اعلن الكاهن الاكبر لامون نفسه ملكاً منهياً الاسرة العشرين في الوقت نفسه الذي كان الامير المحلي " سمندس " يمارس سلطته الموالية " لرمسيس الحادي عشر " منذ بداية حكمه ، لذا فما ان انتهت الأسرة العشرون حتى انقسمت مصر إلى قسمين: أحدهما في الشمال بزعامة " سمندس " ، واخر في الجنوب بزعامة " حريحور "[2] .

خامساً : احوال مصر السياسية في العصر المتأخر (1090 – 332ق.م)

ويبدأ العصر المتأخر بالأسرة الحادية والعشرين (1090 – 945ق.م) ؛ التي انقسم الحكم فيها بين عاصمتين منفصلتين ، فقد سيطرت في الجنوب حكومة بيروقراطية أقامها كهنة " آمون " ممن تلقبوا بالألقاب الملكية[3] بدءاً " بحريحور " كبير كهنة " آمون " في طيبة على السلطات الدينية والدنيوية ، فيما ساءت حالة البلاد الداخلية بشكل كبير[4] فقد اعتمدوا في في تدعيم سلطتهم على مكانة " طيبة " العريقة ، وعلى سلطات " آمون "[5] .

أما العاصمة الثانية فكانت هي " تانيس " – صان الحجر – التي تسيطر على مصر الوسطى والدلتا وحكم فيها " سمندس " وقد عدَّ أصحابها انفسهم الورثة الشرعيين للأسرة العشرين بحكم قرابتهم أو مصاهرتهم لها[6] .

---

[1] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص326 .

[2] السيد ، المصدر السابق ، ص ص532–533 .

[3] الخطيب ، المصدر السابق ، ص54 .

[4] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص345 .

[5] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص171 .

[6] مهران ، حركات التحرير ، المصدر السابق ، ص274 .

ولم يمضِ وقت طويل على تولي " حريحور " العرش حتى توفي[1] ، وخلفه ابنه "بعذخي" الذي كان في وقت من الأوقات حاكماً للسودان الشمالي ، وقائداً للجيش ، فلم يدّع الملك كأبيه بل احتفظ لنفسه فقط بمنصب كبير كهنة " آمون " ، واعترف بأحقية البيت المالك في " تانيس " في الجلوس على العرش[2] .

ثم ازدادت الصلة بين ملوك " تانيس " وكهنة " آمون " فقد بدأت أسرة " سمندس " بمصاهرة أسرة الكهنة في " طيبة "[3] . وبذلك أصبحت العلاقات –شقي الوادي– ودية وتعاونية لاسيما أن الزواج والصداقة بين العاصمتين قد جعل من وجودهما المشترك أمراً طبيعياً[4] .

وعلى أثر موت " سمندس " تولى أبنه " بسوسينيس الأول " العرش الذي يعد ثاني ملوك مصر في عهد الأسرة الحادية والعشرين ، وقد تزوج من أبنتي " سمندس " اذ كانت الأولى تدعى " استمخب " ، فيما كانت الثانية تدعى " حنت تاوي " فيما تزوج أكبر أولاد " بعذخي " من ابنة " بسوسنس الأول " ماعت كارع[5] .

ولما مات بسوسينيس الاول أعلن " بينزم – بى نجم " نفسه ملكاً تاركاً وظيفة كبير كهنة آمون لابنه " ماساهرت " إلاَّ أن الأخير سرعان ما توفي فتولى أخوه " منخبررع " مكانه في عهد الملك " امن ام ابت " الذي كان يحكم في " تانيس "[6] .

وقد اندلعت خلال هذا العهد ثورة كان قوامها المرتزقة الذين هيمنوا على شؤون الجيش في أيام الأسرة السابقة والأسرة الحالية[7] . بعد أن ازداد عددهم على اثر استيطانهم في مصر ، وارتفاع شأنهم تدريجياً فقد كونوا الفرق العسكرية من بينهم حتى قامت بعد حين حروب داخلية على اثر ذلك انتهت بزوال الأسرة الحادية والعشرين مما سهل على الأسرة الليبية الأصل الثانية والعشرين (945–745 ق.م) التي كانت تسكن اهناسيا بتسلم الحكم[8] .

---

(1) المصدر نفسه ، ص274 .

(2) حسين ، المصدر السابق ، ص144 .

(3) فخري ، المصدر السابق ، ص330 .

(4) حسين ، المصدر السابق ، ص144 .

(5) مهران ، حركات التحرير ، المصدر السابق ، ص274 .عبد الحليم ، مصر القديمة ، ص347 .

(6) فخري ، المصدر السابق ، ص330 .

(7) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص172 .

(8) حسين ، المصدر السابق ، ص144 .

فتقلد رئيس تلك الأسرة " بوبيوواوا " منصب رئيس كهنة المعبد ، ثم خلفه ابنه "موسن" ، تلا ذلك اقتصار هذه الوظيفة على أفراد هذه الأسرة فقط[1] . ممن سمى حكامها أنفسهم " برؤساء المشوش " ؛ أي رؤساء الأجانب الذي استمر حكمهم لقرنين[2] متخذين من "تانيس" و "بوباسطة" مركزاً لذلك الحكم ، لاسيما " شينشق الأول " الذي تمكن من تدريب جيش كبير يذود عنه وعن مقاطعته فقد كان حاكماً قوياً وشجاعاً . إلاَّ أن جهوده التي قام بها خلال عهده الذي دام ستة وثلاثين عاماً ذهبت ادراج الرياح بسبب سوء حالة البلاد[3] ، اذ لم ينفعه تزويج ولي عهده " اوسركون " من ابنة " بسوسينيس " وتغلبه على نفوذ كهنة " آمون " في " طيبة " فانسحب غالبيتهم الى السودان ؛ ليؤسسوا أسرة ملكية في مدينة " نباتا " بالنوبة العليا ، فيما بقي بعض اولئك الكهنة في الواحات ولم تنفعه حملته على فلسطين ؛ لتوحيد مركزه في البلاد[4] ، فقد انقسمت البلاد على ثلاثة بيوت بيتين في شرق الدلتا، وثالث في غربها ، فضلاً عن وجود عدد من الأمراء الاقطاعيين في مصر الوسطى والصعيد[5]. ولم يكن عهد " اوسركون " أحسن حالاً ولا خليفته " تكلوت الأول "[6] الذي وجد أخاه "شيشنق" في طيبة قوياً معادياً له فدخل معه في صراع اشاع الفوضى في البلاد[7] البلاد[7] الا انه توفي بعد مدة وجيزة ، فتبعه ابنه " اوسركون الثاني " الذي كان يلقب بابن الألهة "باستت" في معبد " تل بسطة "[8] . فحكم البلاد وأشرك ابنه " تاكلوت " معه في الحكم لمدة سبع سنوات[9] . فلما مات " اوسركون الثاني " بعد حكم دام خمسة وعشرين عاماً انفرد ابنه "تاكيلوت الثاني " بالحكم ، وعين ابنه " اوسركون الثالث " كاهناً في طيبة[10] الذي اندلعت ضده ثورة في العام الحادي عشر من حكم " تاكلوت " فأخمدها " اوسركون " الذي كان يمارس عمله فيها ايضاً محافظاً لمصر العليا ، وقائداً للجيش ، فلما انتشر لهيب الثورة ووصل

---

(1) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص172 .

(2) مهران ، حركات التحرير ، المصدر السابق ، ص ص275-276 .

(3) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص172 .

(4) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص352 .

(5) مهران ، حركات التحرير ، المصدر السابق ، ص277 .

(6) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص353 .

(7) حسين ، المصدر السابق ، ص145 .

(8) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص353 . وكذلك : الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص173 .

(9) زايد ، المصدر السابق ، ص859 .

(10) حسين ، المصدر السابق ، ص148 .

الى مصر الوسطى ، استطاع القضاء عليها ، ثم عاد الى طيبة حيث انصرف فيها للاصلاح ومعاقبة المذنبين ، تلا ذلك اندلاع ثورة أخرى في العام الخامس عشر من عهد " تاكلوت الثاني " انتهت بالصلح بعد أن ملَّت أطراف الصراع فيها من النزاع[1] .

ثم تولى العرش " شيشنق الثالث " الذي حكم اثنين وخمسين عاماً[2] بعد أن تولى العرش وله من العمر ثمانية عشر عاماً وفي العام الخامس عشر من حكمه ثارت عليه طيبة، فأضطر خلالها كبير الكهنة " اوسركون الثالث " للفرار الى الجنوب البعيد حتى اخمدت الثورة[3].

ولما مات " شيشنق الثالث " خلفه من بعده ابنه " بامو " ، ثم " ششنق الخامس " الذي كان أخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين التي ازداد تفكك البلاد في عهدها الى درجة جعلت حكام الأقاليم يستقلون باقاليمهم[4] .

فقد انقسمت مصر على نفسها على أثر الثورات المتتالية ، وضعفت سلطة الملوك، وتقوت سلطة امراء الأقاليم . لهذا لم يجد " بادي باست " مقاومة كبيرة عندما أسس أسرة مالكة جديدة حكمت الشمال في تل " بسطه " وهي الأسرة الثالثة والعشرون (745–718 ق.م) في الوقت نفسه الذي كان هنالك ملك آخر يحكم في " صان الحجر " . ويبدو ان " بادي باست " حكم جزءاً من غرب الدلتا ، وحصل على معونة كهنة طيبة ، بينما ظل كهنة " منف " يؤيدون الملك الأخير الذي امتد نفوذه إلى شرق الدلتا ومصر الوسطى[5] .

في غضون ذلك كانت السودان مسرحاً لنهضة كبيرة وحضارة مزدهرة بنيت على اكتاف كهنة " آمون " ممن هربوا إلى السودان حتى تمكن رجل اسمه " كاشتا " من اقامة دولة قوية في بلاد السودان[6] اشتقت اسمها من اسم عاصمتها " نباتا " الواقعة جنوب " دنقله "[7] .

.

---

[1] زايد ، المصدر السابق ، ص859 .

[2] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص355 .

[3] السيد ، المصدر السابق ، ص559 .

[4] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص355–357 .

[5] فخري ، المصدر السابق ، ص344 .

[6] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص ص173–174 .

[7] الخطيب ، المصدر السابق ، ص54 .

من جهة اخرى توفي " بادي باست " بعد حكم دام سبعة وعشرين عاماً ، فخلفه ابنه "اوسركون الثالث " الذي حكم تسع سنوات تقريباً ، فساءت أحوال البلاد الداخلية في عهده، وانقسمت على امارات عدة مستقلة من الوجه البحري شمالاً الى الاشمونين جنوباً[1] .

ولما مات " اسركون الثالث " ، خلفه " تاكلوت الثالث " الذي ولى ابنته " شب ان اوبت" وظيفة كهنوتية ، ولقبت بزوجة " آمون " الإلهية ، ولم يمض وقت طويل حتى زاد نفوذ الزوجات الإلهيات الى درجة تضاءل امامهن نفوذ كبار الكهنة لمدة قرنين من الزمان[2] .

ثم تولى العرش " آمون رود " ومن بعده ابنه " اوسركون الرابع " الذي لوحظ في عهده ازدياد تفكك البلاد داخلياً في هذه الظروف التي مرت بها الأسرة الثالثة والعشرون في أيامها الأخيرة الى درجة استقلال حكام الاقاليم كل باقليمه التابع له[3] اثناء ذلك كانت القوات الاشورية تهدد حدود مصر بعد غزوها لفلسطين فيما لم تتخذ أية اجراءات من جانب مصر لدرء هذا الخطر الجديد[4] .

اما الاسرة الرابعة والعشرون فقد أسست على أثر وفاة أخر ملوك الاسرة الثالثة والعشرين " شنشق الخامس " على يد الأمير " تف تخت " أمير مدينة " صان الحجر " في الوقت نفسه الذي كان فيه ملوك اخرون في اهناسيا والاشمونيين وتل بسطة وتانيس[5] .

مما يعكس حالة التفكك والانقسام في البلاد . إلاَّ أَن " تف نخت " تمكن من اخضاع الدلتا بأسرها ، ثم مضى في طريقه فوجد استجابة من حكام مصر الوسطى ، لاسيما الاشمونين واهناسيا ، فحقق فيها نجاحاً ايضاً[6] . إلاَّ أَن " تف نخت " لم يستطع اكمال سيره وانقاذ البلاد من حالة الفوضى التي كانت عليها ؛ ففي حوالي عام (715 ق.م) حدث اول غزو لمصر من جنوبها ، اذ كان بقيادة " بعنخي " ملك بلاد " كوش " الذي كان ملكه يمتد إلى السودان والنوبة ، فنجح جيش " بعنخي " في هزيمة أعوان " تف نخت " ، وانتهى الأمر بانتصار جيوشه على الاشمونيين ، فزحف بعدها الى " منف " ، واعترف كهنة معبد " بتاح " بـ"عنخي" ملكاً ، فزار هليوبوليس حيث اعترف به كهنة الإله " رع " ملكاً ايضاً[7] .

---

[1] حسين ، المصدر السابق ، ص149 .

[2] فخري ، المصدر السابق ، ص345 .

[3] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص357 .

[4] حسين ، المصدر السابق ، ص149 .

[5] فخري ، المصدر السابق ، ص ص345-346 .

[6] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص357 .

[7] المصدر نفسه ، ص358 .

ونتيجة لهذه الانتصارات المتتالية لـ" بعنخي " ، اضطر أمراء الأقاليم وحكامها الى تقديم الولاء لـ" بعنخي " حتى إن " تف نخت " نفسه ارسل الى بعنخي طالباً العفو وهو ما اجيب عليه فقد اظهر " بعنخي " بعض التسامح معه ومع أولئك الأمراء فابقاهم في مناصبهم، فيما ابقى " تف نخت " أميراً على " صان الحجر " وبقي " بعنخي " فرعوناً على مصر والسودان الى نباتا[1] .

ولم يواجه الفرعون الجديد مقاومة إلاَّ مقاومة ابن " تف نخت " وهو " باك – ان – رنف " الذي هُزمت قواته أمام قوات الغزو[2]. ولما عاد " بخنعي " الى بلاده ثار عليه "ياك – ان – رنف" مرة اخرى[3] بعد ان اطلق على نفسه لقب حاكم القطرين وسيد الدلتا والصعيد لمدة عشر سنوات[4] ، لذا جرد " بعنخي " حملة بقيادة ولي عهده " شباكا " ؛ لاخضاع " باك– باك– ان – رنف " فهزم الاخير وانتهت معه الاسرة الرابعة والعشرون في مصر[5] . فتشبث ابنه "بكوريس أو يوخاريس" بالحكم حتى أخضعه شباكا ايضاً ، وقضى على استقلال " بكوريس " في مصر بعد أن تولى " شباكا " العرش أثر وفاة أبيه ، وجعل من " منف " عاصمة له ، ثم هادن " سرجون الثاني " ، وتبادل معه الهدايا خلال عهده الذي دام ستة عشر عاماً[6] . وبذلك تكون مصر قد توحدت مرة اخرى ولكن تحت حكم اسرة نوبية[7] وبدأ عهد اسرة جديدة هي الأسرة الخامسة والعشرون التي كانت مؤلفة من ملوك " نوبيين " حكموا مصر لمدة نصف قرن[8] . فقد حكم " شباكا " نحو ستة عشر عاماً استولى خلالها على الدلتا ونصب نفسه الفرعون الأوحد من " مروى الى البحر المتوسط "[9] ثم جاء من بعده على عرش " نباتا أخ له من أبناء " بعنخي " اسمه " شبتكو " (701–689 ق.م) الذي جاء الى مصر ومعه أخ شاب في العشرين من عمره اسمه " طهارقه " الذي كان مولعاً بالحرب وفيه صفات من أبيه وهمته، فيما عاد أمراء الدلتا الى سلطتهم القديمة بعض الشيء وتجددت

---

(1) المصدر نفسه ، ص358 .

(2) فخري ، المصدر السابق ، ص346 .

(3) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص174 ، وكذلك : حسين ، المصدر السابق ، ص151 .

(4) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص359 .

(5) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص174 .

(6) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص359 ، وكذلك : فخري ، المصدر السابق ، ص354 .

(7) لوبون ، المصدر السابق ، ص32 .

(8) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص174 .

(9) يويوت ، المصدر السابق ، ص583 .

عداواتهم فيما بينهم لذا سعى "طهارقه" إلى تهدئة الحال في وقت بدأ فيه الخطر الآشوري يتزايد على مصر[1] . فيما لم يكن " شبتكو " قادراً على اعادة القوة الى السلطة المركزية لتهيئة مصر لمواجهة الغزو الآشوري الذي بدا وشيكاً لاسيما بعد وصول الجيوش الآشورية الى حدود مصر أكثر من مرة[2] . فقد ازداد الخطر الآشوري بعد موت " سرجون الثاني " ، وخلافة " سنحاريب " له، وثورة بلاد الشام ضد الآشوريين التي استغلها " طهارقه " فارسل قوات مصر لمساعدة الثوار ضد الآشوريين رغبة منه بإيقاف التوسع الآشوري[3] . فعادت الحملة الآشورية الى بلاد أشور بسبب انتشار الطاعون بين صفوفها ، وقتل " سنحاريب " ، وخلفه ابنه " اسرحدون " فيما مات " شبتكو " بعد حكم دام أثنى عشر عاماً ، فخلفه " طهارقه " الذي توج في " منف " على الرغم من ان مقر اقامته كان في " صان الحجر " وكان يبلغ من العمر حينها خمسة واربعين عاماً[4].

فأهتم " طهارقه " بالاصلاحات الداخلية ، ثم وضع طيبة والصعيد تحت امرة أحد رجاله وأقام في شمال مملكته خوفاً من " الآشوريين " الذين حرض طهارقه الفلسطينيين والفينيقيين ضدهم مما استدعى حضور " اسرحدون " بنفسه للتغلب عليهم ، ومواصلة المسير الى مصر التي دخلها من سيناء ثم دخل " منف " ، واستولى عليها[5] فيما انسحب " طهارقه " جنوباً تاركاً الوجه البحري تحت سيطرة " اسرحدون " الذي نظم الأمور فيه وضمه الى املاكه[6] ؛ لذا اعترف جميع حكام البلاد بسيادته على مصر ومنهم أمير " طيبة " إلاَّ أن "طهارقه " عاد بعد سنوات ، فاسترد "منف" وهزم حاميتها الاشورية مما اضطر " اسرحدون " لقيادة حملة أخرى لاخضاع مصر ثانية لكنه توفي قبل ان يتم له ذلك فخلفه " اشور بانيبال " الذي ارسل جيشاً طرد " طهارقه " من " منف " فانسحب الاخير الى " طيبة " التي سقطت هي الاخرى بأيدي الاشوريين ومع ذلك بقي كهنة " منف " يعترفون " بطهارقه " حاكماً للبلاد[7]؛ فقد عين أخته " شب توبت " بدل الأميرة " امنديس " رئيسة لكهنة " آمون " ، ثم أشرك معه في الملك ابن " شباكا " الأمير " تانوت آمون " ، وعينه حاكماً على الصعيد بينما استقر هو في

---

[1] فخري المصدر السابق ، ص355 .

[2] حسين ، احمد ، المصدر السابق ، ص153 .

[3] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص359 ، وكذلك : فخري ، المصدر السابق ، ص356 .

[4] السيد ، المصدر السابق ، ص583 .

[5] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص360 .

[6] حسين ، المصدر السابق ، ص ص153-154 .

[7] فخري ، المصدر السابق ، ص ص357-358 .

" نباتا " التي مات فيها بعد عام واحد فخلفه " تانوت آمون "[1] الذي لبى دعوة أهل الصعيد، فجمع جيشاً سار به الى الشمال حتى وصل " طيبة " حيث استقبل بالفرح والترحاب ، ونظر اليه الناس على انه المنقذ من الآشوريين[2].

فسار بجيشه ومن تبعه من أمراء الدلتا حتى وصل " منف " إلاَّ أنه اضطر للانسحاب إلى طيبة أمام الآشوريين اذ سقطت " طيبة " مرة أخرى بأيديهم ، فلم يحاول " تانوت آمون " استعادتها مرة أخرى ، وعاد إلى " نباتا " على الرغم من اصراره على كونه الملك الحقيقي خلال حكمه الذي دام ثماني سنوات[3] . فأخذت طيبة منذ ذلك الحين بالتدهور والاضمحلال والاندثار فأشرت عودة " تانوت آمون " إلى " نباتا " نهاية الحكم النوبي لمصر[4] وعدَّ عصر تسلط الاجانب من الليبين والنوبيين والاشوريين على مصر من أظلم عصور التاريخ المصري[5] .

إلاَّ أن ذلك لا يعني هدوء الوضع بالنسبة للاشوريين بل سرعان ما ثار أمير " سايس " وهو من سلالة " تف نخت " على الحكم الآشوري ، ففشلت ثورته وأُسر ثم أعيد إلى "سايس" التي نشأت فيها الأسرة السادسة والعشرون (663-525 ق.م) التي اتخذت من " صان الحجر" عاصمة لها[6] .

ويعد " بسماتيك " الأول مؤسس هذه الأسرة ، ويرجح أنه من سلالة " تف نخت " ، وقد كان ملكاً على غرب الدلتا من البحر المتوسط إلى " منف " ، ولكن باعتباره مولى اشورياً[7] حاول كسب ثقة أمراء الأقاليم ، وأبقى " منتوحات " أميراً على طيبة وكذلك كبيرة الكاهنات ، ثم أرسل أبنته لتصبح زوجة الهية لآمون وعهد لبعض الأمراء من أنصاره بإقطاعيات قي الصعيد ، ونظم السلطة الداخلية استعداداً لمواجهة الآشوريين[8] ، وتحالف مع ملك " ليديا "[9] الذي أمده بجيش ليكون عوناً له في اقصاء الاشوريين عن مصر وهو ما تم له له فعلاً وتابعهم في فلسطين ثم شرع بتوطيد مركزه فيها ، فهادن مملكة " نباتا " ، وتوقف عن

---

[1] حسين ، المصدر السابق ، ص154 .

[2] مهران ، حركات التحرير ، المصدر السابق ، ص313 .

[3] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص361 .

[4] حسين ، المصدر السابق ، ص155 .

[5] استيندرف ، المصدر السابق ، ص110 .

[6] الخطيب ، المصدر السابق ، ص54 .

[7] مهران ، حركات التحرير ، المصدر السابق ، ص317 .

[8] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص363 .

[9] يويوت ، المصدر السابق ، ص183 .

عدائه الصريح مع الآشوريين بعد وفاة حليفه ملك ليديا " جيجس " ، فاستقرت البلاد وازدهرت التجارة والفنون[1] خلال ما تبقى من عهده الذي دام أربعة وخمسين عاماً[2] . وحدَّ خلالها البلاد مرة أخرى فعاد إليها الرخاء ، وأصبحت مملكة قوية[3] ، ثم خلفه ابنه " نيكاو الثاني" الذي سعى الى بسط سلطانه على الامارات الآسيوية بعد انشغال آشور بشؤونها الداخلية، ثم تجاوز ذلك إلى التحالف معهم[4] فاستطاع اخضاع فلسطين وباقي المدن السورية إلى الفرات. إلاَّ أنه هزم في (قرقميش) امام قوات (نبوخذنصر) ، واضطر للإنسحاب بعد هزيمته أمامها إلى الدلتا حيث شرع ببناء اسطولين أحدهما في البحر المتوسط والآخر في البحر الأحمر[5] .

ولما مات " نيكاو الثاني " بعد حكم دام خمس عشرة سنة خلفه أبنه " بسماتيك الثاني"[6] الثاني"[6] الذي سحق القوات النوبية قبل مسيرها الذي خططت له لغزو مصر[7] ، وأصبح لمصر في عهده الذي دام ست سنوات ثلاث حاميات رئيسة ورثها عنه ولده " واح اب رع " المعروف باسم "ابريس " الذي أدى دعمه للفلسطينيين إلى حملة قادها " نبوخذ نصر " لاخضاع الفلسطينيين وهو ما تم فعلاً[8] .

ثم استنجد الليبيون بالملك " ابريس " لينقذهم من سطوة اليونانيين على بلادهم ، فأنجدهم بجيش مصري كاد يغدر به اليونانيون المقيمون في ليبيا مما أحدث ثورة في مصر فحاول "ابريس" تهدئتها بارسال " احمس الثاني " وهو أحد قواده ، إلاَّ أنَّ الجنود المصريين بايعو " أحمس " الذي تقدم بهم الى مصر فوقع أسيراً بيد " ابريس " الذي أطلق سراحه ، وجعله شريكاً له في الحكم[9] إلاَّ أن " أحمس الثاني " عاد فأستنجد باليونانيين وشن حرباً على " ابريس " فقتله وانفرد " أحمس الثاني " بملك مصر[10] .

---

[1] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص363 .

[2] مهران ، حركات التحرير ، المصدر السابق ، ص324 .

[3] ميدكروفت ، المصدر السابق ، ص217 .

[4] حسين ، المصدر السابق ، ص157 .

[5] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص364 .

[6] فخري احمد ، المصدر السابق ، ص368 .

[7] يويوت ، المصدر السابق ، ص187 .

[8] مهران ، حركات التحرر ، المصدر السابق ، ص368 ، وكذلك : السيد ، المصدر السابق ، ص608 وللتفاصيل عن العلاقات المصرية الفلسطينية في النصف الأول قبل الميلاد ينظر : خالد طه الدسوقي ، العلاقات المصرية الفلسطينية في النصف الاول من الالف الأول قبل الميلاد ، المجلة التاريخية المصرية ، (مج 23 ، مطبعة الجبلاوي ، 1976) ص ص13-14 .

[9] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص365 .

[10] لوبون ، المصدر السابق ، ص36 .

وقد أخضع " أحمس الثاني " خلال عهده الذي دام حوالي أربعة وأربعين عاماً بعض المدن في جزيرة " قبرص " ، وهاجم البابليين في فلسطين ، وعاشت مصر في عهده بازدهار ورخاء[1] . إلاَّ أنَّ الأجواء عادت للتعكر بسبب ظهور قوة جديدة في الشرق كانت تدعى "فارس" التي تزعمها " كورش " ومن بعده " قمبيز " فقد استولى " كورش " على ليديا وبابل ثم خلفه " قمبيز " الذي استولى على باقي دويلات آسيا الصغرى ، وأخذ يستعد لمهاجمة مصر. في تلك الأثناء ، مات " أحمس الثاني " فخلفه أبنه " بسماتيك الثالث " الذي توجب عليه مواجهة الجيوش الفارسية إلاَّ أَنه هزم أمامها في " بلوزيوم " ، وانسحب الى " منف " فتبعه " قمبيز " الذي أضطره للاستسلام[2] فعدَّه " قمبيز " ملكاً تابعاً له إلاَّ أن الاخير سرعان ما تخلص منه بدعوى التآمر عليه[3] ، ثم استولى على " طيبة " وبذلك انتهت الأسرة السادسة والعشرون ، ووقعت مصر فريسة للغزو الفارسي[4] .

فتأسست في ذلك الوقت الأسرة السابعة والعشرون ((525–404 ق.م)) إلاَّ أنها كانت أسرة فارسية[5] فبدأ " قمبيز " بالتخطيط لتوسيع ملكه من خلال عزمه على ارسال حملة حملة لتدمير " قرطاجة " وهي الحملة التي لم يكتب لها المسير ؛ لعدم حصولها على مساعدة الفينيقيين البحرية فيما كانت وجهة الحملة الثانية واحة " سيوه " وهي الحملة التي هلكت في الصحراء دون ان تبلغ غايتها ، واستهدفت الحملة الثالثة بلوغ " نباتا " فكتب لتلك الحملة المسير واللقاء بجيش " نباتا " وهزيمتها الكبيرة بعد أن خارت قواها نتيجة التعب والخوف والجوع ، لذا قرر " قمبيز " العودة إلى بلاده تاركاً الوالي الفارسي " ارياندس " ليحكم مصر نيابة عنه[6] .

وبعد موت " قمبيز " خلال رحلته إلى بلاده ثارت في ليبيا ثورة فشل الفرس في اخمادها ، ثم ثار المصريون على " اريانديس " ، فقرر خليفة " قمبيز " " دارا الأول " اخماد تلك الثورات بالتودد للمصريين فجاء بنفسه لاصلاح ما أفسده " اريانديس "[7] .

---

(1) مهران ، حركات التحرير ، المصدر السابق ، ص335 .

(2) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص366 .

(3) يويوت ، المصدر السابق ، ص198 .

(4) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص366 .

(5) حسين ، المصدر السابق ، ص162 .

(6) مهران ، حركات التحرير ، المصدر السابق ، ص ص351–354 وكذلك : فخري ، المصدر السابق ، ص ص375–376 .

(7) بديع محمد جمعة ، العلاقات المصرية الايرانية في عهد داريوس الكبير (522–486 ق.م) ، مجلة الشرق الأوسط ، (مطبعة جامعة عين شمس ، 1976) ، ع3 ، ص ص71–72 .

إلاَّ أن المصريين عادوا للثورة مرة أخرى في الدلتا ضد الفرس في عهد " ارتكسر كيس الأول " ثم تكررت تلك الثورة في مصر بمساعدة اليونانيين الذين أرسلوا اسطولاً كبيراً لذلك الغرض فوصل الى " منف " ، وهزم الفرس فيما حوصر من بقي منهم لمدة عام ونصف[1].

وقد نجح المصريون في استعادة حصون " منف " من الفرس إلاَّ أن الملك الفارسي أخمد الثورة وأسرَّ زعيمها إلاَّ أن ذلك لم يحل دون تجدد الثورة تحت زعامة " آمون حر " أمير " سايس " فحاول الفرس تهدئة الأمور بعد إخماد تلك الثورة بتعيين بعض الولاة المصريين ومنهم أبناء زعماء الثورة إلاَّ أن الاخيرة عادت للإتساع بعد موت " ارتكسركيس الأول " ، وتولي أبنه دارا الثاني وهنا تنتهي الأسرة السابعة والعشرون فيما كانت مصر تكافح لتحرير نفسها من الفرس[2] .

اذ لم يتوقف المصريون عن محاولة التحرر من السيطرة الفارسية ومن يعاونها ؛ ولذا اندلعت ثورة عامة عام ((410 ق.م)) بقيادة " آمون حر " أمير " تايوس " ضد اليهود المقيمين في " الفنتين " لتحيزهم للفرس رغم ايواء مصر لهم ، واطلاق حرية العبادة لهم فيها. وامتدت تلك الثورة لست سنوات ثم طرد الفرس بعدها نهائياً من مصر . وبذلك يكون " آمون حر " المؤسس والملك الوحيد في الأسرة الثامنة والعشرين ((404–398 ق.م)) التي اتخذت مدينة " سايس " عاصمة لها[3] .

فاعترفت مصر كلها له بالسيادة وعدَّته منقذاً لها من الطغاة[4] . إلاَّ أن الحكم عاد فأنتقل من بعده إلى أسرة جديدة هي الأسرة التاسعة والعشرون ((398–378 ق.م))[5] التي أسسها "نفريتيس الأول "[6] ، وأتخذت من مدينة " منديس " عاصمة لها من دون حرب[7] ، أي أي أن الأنتقال تم دون نزاع على العرش .

فأهتم " نفريتيس الأول " بشؤون البلاد الداخلية بعد أَن حاول مساعدة " اسبرطة " في صراعها ضد الفرس بالمؤن ، أو بالمساعدة في انشاء اسطول بحري مؤلف من مائة سفينة تحطمت في " رودس " على يد قائد " اثيني " كان يعمل بخدمة الفرس ، فلم يطل العهد

---

(1) فخري ، المصدر السابق ، ص378 .

(2) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص368 .

(3) المصدر نفسه ، ص369 ، وكذلك : حسين ، المصدر السابق ، ص162 .

(4) فخري ، المصدر السابق ، ص381 .

(5) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص369 .

(6) حسين ، المصدر السابق ، ص167 .

(7) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص369 .

"بنفريتيس الأول " حتى مات ؛ لذا خلفه الملك " اكوريس " الذي حاول تقديم المساعدة لاثينا وقبرص خلال صراعهما مع الفرس كما فعله سلفه حتى استسلمت قبرص للفرس[1] .

ولما مات " كوريس " خلفه " بساموبتس " الذي حكم لعام واحد[2] ومن بعده " نفريتيس الثاني " الذي حكم أربعة أشهر ، ثم استولى على العرش أمير قوي لعب دوراً كبيراً في أيام "اكوريس" هو " نخت نيف " الذي أسس الأسرة الثلاثين ((378-341 ق.م))[3] خلال الاضطراب الداخلي الذي عاشت فيه الأسرة التاسعة والعشرون في أواخر أيامها ، فدخل في بداية عهده صراعاً مع الجالية اليونانية ممن اظهر أفرادها تذبذباً اثناء نزاع مصر مع الفرس، واثباتهم عدم جدارتهم بالثقة في أيام " كوريس " ، فدام حكمه ثماني عشرة سنة[4] .

فخلفه "جدحر" الذي أعاد الصلة باليونانيين ، وعقد حلفاً مع اسبرطة عام (361 ق.م)، وكون جيشاً لم يسبق تكوينه منذ أيام الدولة الحديثة . فقد كان يطمح الى مهاجمة الفرس إلاَّ أن هذا الجيش كان يعاني من مشكلة التنافس على القيادة[5] . فتولى بنفسه قيادته ، ونازل الفرس في بلاد الشام حتى تمرد عليه أبنه " نختنبو الثاني " مستغلاً غياب أبيه في الشام ، واستيلائه على العرش ، ومبايعة عمه له على الرغم من أن " جد حر " قد تركه ليكون نائبه في مصر ، وعلى الرغم من الاضطرابات التي واجهت الملك الجديد فانه استطاع التغلب عليها ، واستقرت الأمور له وازدهر الفن في عهده ازدهاراً واضحاً[6] .

غير أَن الفرس غزوا مصر مرة اخرى عام (343 ق.م) بقيادة الملك " ارتكسر كسيس الثالث " فاحتل " منف " فيما انسحب " نختنبو الثاني " الى الصعيد[7] ، ثم استكمل الفرس احتلال مصر بأسرها فتجددت الثورات المصرية ضدهم لاسيما بعد تولي " خباشا " وهو أحد أمراء الدلتا حركة المقاومة واعلانه لنفسه ملكاً على البلاد ، واعتراف كهنة " منف " به ملكاً فقاد الثورة طيلة ثمانية اعوام[8] .

---

(1) حسين ، المصدر السابق ، ص167 .

(2) فخري ، المصدر السابق ، ص ص381-382 .

(3) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص370 .

(4) السيد ، المصدر السابق ، ص635 .

(5) مهران ، حركات التحرير ، المصدر السابق ، ص392 .

(6) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص371 .

(7) ياروسلاف تشرني ، الديانة المصرية القديمة ، ترجمة : احمد قدري ، (مطبعة هيئة الاثار المصرية ، د.ت) ، ص21 .

(8) فخري ، المصدر السابق ، ص384 .

في غضون ذلك وصل الاسكندر الاكبر الى حدود مصر بعد انتصاره على القوات الفارسية في معركة " اسيوس "[1] وهي الموقعة التي شهدت مشاركة المصري " تاف نخت " الى جانب الاسكندر ، فاستنجد بالأخير لينقذ مصر مما تعانيه من ويلات[2] بعد أن تولدت روح ناجمة عن الإحساس بالخطر العام ، ووضع مصالح البلد فوق مصالح الافراد[3] ، ، فسار الاسكندر إلى مصر التي دخلها دون مقاومة ؛ لعدم وجود قوة لدى الوالي الفارسي يعتد بها، فرحب المصريون به ليكون منقذاً لهم[4] . وذلك في حوالي عام (332 ق.م)[5] الذي الذي تفادى أسباب تذمر المصريين من الفرس فأحسن معاملتهم ، وقدم القرابين للآلهة المصرية ، وتوج نفسه ملكاً على مصر حسب التقاليد المصرية في " منف " و" هليوبوليس " وزار معبد "أمون"، وأسس الإسكندرية[6] . ثم اعلن كهنة " آمون " أن الاسكندر هو ابن " آمون " متبعين بذلك سنة الملوك المصريين[7] .

---

[1] حسين ، المصدر السابق ، ص177 . وكذلك : باقر ، المصدر السابق ، ص83 .

[2] فخري ، المصدر السابق ، ص385 .

[3] فرانكفورت ، المصدر السابق ، ص132 .

[4] فخري ، المصدر السابق ، ص385 .

[5] زايد ، المصدر السابق ، ص970 .

[6] باقر ، المصدر السابق ، ص83 ، وكذلك : عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص372 .

[7] باقر ، المصدر السابق ، ص83 .

كان الدين منفذاً للخيالات ، وميداناً مناسباً تُجرى فيه محاولات لتغيير الظواهر المحيطة بالانسان ؛ لذا فإنّه صادر على الدوام عن رغبة في تحقيق منفعة ، أو عن رهبة من المجهول والأخطار[1] .

وبالتالي فقد دفعت الطبيعة البشرية الانسان الى خلق معبودات أعطى لكل منها أشكالاً واسماءً ، وصفات مختلفة . مندفعاً في هذا السياق اندفاعاً لا إرادياً[2] .

وعليه كان الدين في مصر مبنياً على عبادة عدد كبير من الآلهة التي كانت تمثل مناطق الاضطراب في العلاقات البشرية التي جاءت بها الحوادث الطبيعية ، وتقسيم الأعمال حسب السن والجنس والحرفة[3] .

ويمكن القول : بأنَّ عزلة مصر الطبيعية عن البلدان الأخرى أدت إلى بروز احساس بالانفصال عن غيرها تركز في الذات ، فاستطاعت مصر القديمة أن تنمي فيه خليطاً من العناصر المتباينة[4] ، وكان من هذه العناصر السماء ، والمطر ، والليل ، والعتمة ، والشر ، والشمس في وجوهها المتعددة ضمن اليوم الواحد ، او ضمن الفصول الأربعة ، وهي عناصر بدأت من حيث العدد باثنى عشر عنصراً . إلاَّ إنها تزايدات مع علو شأن الحضارة المصرية، وتقدمها ، وتعقد الافكار ، والتفاصيل وغيرها[5] .

فقد نشأ في مصر نظام ديني متكامل في عصور ما قبل السلالات . فالدويلات التي أنقسمت لها مصر آنذاك كانت لها أعلام خاصة هي : رموز لحيوانات ، ونباتات ربما مثلت أقدم المعبودات المصرية[6] . في الوقت نفسه فان وجود مثل هذه الرموز المتعددة يقدم الدليل على عبادة المصريين القدماء لآلهة متعددة[7] ؛ لإرتباطهم بطبيعة بلادهم ، وما يحيط بها من ظواهر كونية ، أو طبيعية ، ومحاولتهم تفسيرها ، وتجسيدها بهيئة آلهة . كما اعتقدوا بوجود قوى ، أو أرواح كامنة في هذه المظاهر تفوق في قدرتها قدرات البشر . ومهما اختلفت الديانات ، وتباينت فهي – بصورة عامة – تفترض وجود هذه القدرة التي أشرنا اليها سابقاً،

---

(1) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم (مصر من فجر التاريخ الى قيام الدولة الحديثة) ، ط3 (مصر : مؤسسة المطبوعات الحديثة ، 1960) ، ص59 .

(2) ادولف ارمان ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة : عبد المنعم أبو بكر ، (مطبعة مصر ، د.ت) ص ص4-5.

(3) كارلتون كون ، قصة الإنسان ، ترجمة : محمد توفيق حسين ، وعبد المطلب الأمين ، (بغداد د.ت) ص314 .

(4) فرانكفورت واخرون ، المصدر السابق ، ص47 .

(5) كون ، المصدر السابق ، ص315 .

(6) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص92 .

(7) فيلسيان شالي ، موجز تاريخ الأديان ، ترجمة : حافظ الجمالي ، ط2 (دمشق : 1994) ، ص49 .

والتي يسعى الإنسان – دائماً – للتقرب منها عن طريق عبادات ، وطقوس معينة ، تقام في أماكن مخصصة .

فلم يكن للديانة المصرية خصائص مميزة تصب في مذهب معين من مذاهب عبادة الحياة ، او الطبيعة ، او مذهب الحلول[1] ، بل كانت تجمع بين هذه المظاهر جميعاً وان غلبت عليها السرية وتعارضت احياناً مع بعضها البعض[2] .

ومن الصعب معرفة ظروف وخصائص الحياة الثقافية ، والفكرية ، والعقائدية، والروحية لقدماء المصريين . اذ لم تكن الديانة المصرية ثابتة على الدوام ، كما ان الظروف الاجتماعية قد اثرت على الدين بشكل كبير جداً وبالعكس قادت هذه الظروف إلى تغير الروح، والشكل الخارجي للديانة . فيما بقيت أسسها ثابتة دون تغيير .

فالديانة المصرية – في الواقع – نتاج عام للعديد من تيارات لاهوتية ، وسياسية مختلفة فضلاً عن عدم وجود أي سلطة مسيطرة بشكل كافٍ طوال التاريخ المصري القديم، لكي تختصر كل العقائد ، وأن يتم توحيدها ضمن إطار لاهوتي[3] ، أو فكري شامل يتم فرضه على كل المصريين بمختلف انتماءاتهم الاقليمية ، و الطبيعية[4] . إذا ليس هناك نظام ديني واحد – كما تقدم – بل أنظمة عدة وآلهة متعددة وهي التعددية التي انعكست في تنوع التكوين السياسي لمصر ، فهي مقسمة إلى اجزاء عديدة ، فلكل منها إله ونظام مختلف[5] .

الآلهة

من أجل الوقوف على أساس الديانة المصرية ، وتفرعاتها لابد من الحديث أولاً عن الآلهة بأنواعها ، وأشكالها المختلفة وعلى النحو الآتي :

---

[1] يطلق على مذهب الحلول او الوجود باللغة الانكليزية Panthesim وهي كلمة مشتقة من كلمة Pan أي إتحاد وكلمة Theos أي الإله ومعنى ذلك الإتحاد بالإله أو إتحاد الإله بالمخلوقات وحلوله فيها ، ينظر : طه الهاشمي ، تاريخ الاديان وفلسفتها ، (بيروت : 1963) ص46 .

[2] ابراهيم ، المصدر السابق ، ص60 .

[3] علم اللاهوت : هو العلم الذي يوضح القواعد ، ويحاول الإجابة عن المسائل المطلقة ، ومسائل الحقيقة، وهو لا يعني البحث عن المعرفة ولكنه يعني السعي وراء المعرفة من اجل مصالح دينية . فهو يعتمد على طبيعة الدين ، كما إنَّه يحدد العلاقة بين المعبودات وعبيدها ، ينظر : محمد أحمد محمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ، (الاسكندرية : د.ت) ، ص8 .

[4] المرزوقي ، المصدر السابق ، ص75 .

[5] Joseph Kaster and Allen Lane, The Litrature and Mythology of Ancient Egypt (U.S.A. 1968), p.34 .

1- الآلهة المحلية :

انطلاقاً من أنَّ الديانة المصرية كانت حصيلة لعدد كبير من العقائد الشعائرية القبلية المستقلة بعضها عن البعض الآخر ، لاسيما أنَّه كان لكل مدينة معبودها الخاص بها ، ولأنَّ الآلهة المحلية تُعدَّ أساس الديانة المحلية المصرية ، فهي أقدم المعبودات التي بقيت ضمن إطار العبادة حتى نهاية عصر الفراعنة في مصر رغم تمايزها فيما بينها من حيث الموقع، والاسم ، والأعياد[1]، وبالتالي فإنه لابد من تقديم هذه الآلهة على غيرها من حيث الترتيب .

وقد كان سكان المدينة المعينة يعبدون إله مدينتهم ، ويعدونه أعظم من آلهة المدن الأخرى[2] لاسيما أن الإله المحلي كان يوصف بالإله المطلق ، والعالي في اقليمه على غير الوصف الذي يوصف به خارج نطاق وجوده في اقليمه . اذ ليس للإله العالي أية سلطة خارج نطاق اقليمه ، ووجوده العلوي[3] .

أما في حالة الحروب فإنَّ الإله هو الذي ينهزم ، وليس القبيلة ؛ لذا فإن الحاجة ظهرت لوجود آلهه أخرى لاسيما المحلية منها[4] .

فقد كانت الآلهة المحلية مرتبطة بمقاطعاتها لدرجة فقدان بعضها لاسمه الخاص، وتسميته باسم تلك المقاطعة ، أو المدينة التي يسيطر عليها[5] ، على الرغم من أنَّ هنالك القليل من الآلهة المحلية التي كانت قد حصلت على نفوذ أكبر .

اذ كان الاستقلال السياسي ، وتشرذم الأقاليم المصرية في عصور ما قبل التاريخ يسير جنباً الى جنب مع التفوق الديني لكل منها ، فكل اقليم له معبوده الخاص به ، يحمل اسمه الذي يظهر بشكل حيواني ، أو مادي ، مع إنَّه يمكن القول بإنَّ الديانة المصرية في مراحلها الأولى كانت شأنها شأن الحياة الروحية للجماعات البشرية في المراحل البدائية منها– ديانة فيتشية[6]

---

[1] ابراهيم احمد رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، (القاهرة : دار مصر للطباعة ، د.ت) ، ص83 .

[2] رزقانه وآخرون ، المصدر نفسه ، ص83 .

[3] Margaret A. Murray, The Splendour that was Egypt A Genaral survey of Egyption culture and civilization (London, 1949), p.124 .

[4] Loc. Cit .

[5] من ذلك أنَّ إله ادفو كان يذكر باسم إله ادفو ، وآلهة الكاب كانت تدعى سيدة الكاب . ينظر : الخطيب ، المصدر السابق ، ص90 .

[6] الفيتشية أو الوثنية fetishism كلمة مشتقة من الكلمة ((fetish)) اللاتينية التي معناها الشيء الذي يحترم ويقدس . وهي اصطلاح يرمز إلى عبادة الرموز المادية الجامدة من الحجر والخشب ، والعظم ، والقوقعة، التي ساد الاعتقاد بإنَّ لها قوة خفية . ينظر : ياروسلاف تشرني ، المصدر السابق ، ص255 ، وكذلك: الهاشمي ، المصدر السابق ، ص46 .

فالمعبود المحلي ، هو إله المدينة ، وحاميها[1] ، صاحب ذلك محافظة المصريين على كلّ اساسيات العقيدة القديمة ، ودمجوا معها كل ما أمنوا به من معتقدات ؛ نتيجة لتطورهم الطبيعي ، وللظروف المتغيرة التي عاشوا فيها إذ إنَّ أغلب المعلومات المتوفرة عن ديانة المصريين القدماء مأخوذة من دراسة تطبيقاتهم ، وممارساتهم الدينية[2] .

ومن مظاهر هذه الديانة اعتمادهم الأعمدة ، أو ساريات الأعلام للتعبير عن المعبودات الأولى ، إذ إتخذ المصريون عند بدء اختراعهم للكتابة[3] شكل هذه الساريات كعلامة هيروغليفية[4] ؛ للدلالة على المعنى العام للإله المقدس[5] .

ومع مرور الوقت أصبح بالامكان التأكيد بأن عدد الآلهة المصرية التي ذكرت أسماؤها في النصوص القديمة يتراوح ما بين ألفين الى ثلاثة الألف اله ، فلكل مدينة ، أو قرية ، أو مزرعة ، أو مجموعة مساكن إلهها المحلي كان لبعضها اكثر من إله واحد . وافترض المصري القديم أنه يأكل ويشرب ويلبس[6] وهذا ما يطلق عليه باسم مبدأ الحيوية او التشبيه .

إلاَّ إنَّه أصبح من المستحيل اعطاء قائمة بالآلهة المصرية فيما بعد ؛ لأن عددها استمر في التزايد ، مما جعل الاتفاق عليه أمراً من قبيل المحال ، لاسيما أنَّ الكثير من الآلهة قد اتخذت أشكال حيوانات مختلفة[7] .

---

[1] تشرني ، المصدر السابق ، ص ص11-12 .

[2] Barbara Mertz, Temples, Tombs and Hieroglyphs (The story of Egyptology), (London, 1964), p. 123 .

[3] عبد القادر محمود عبد الله ، الكتابة الابجدية في مصر القديمة (أول اهتداء لمبدأ الابجدية) ، ط1 (الرياض: 1995) ، ص3 .

[4] وهي كتابة تصويرية عرفت بالخط المقدس ، اما الخط الهيراطيقي فهو خط الكهنة وفيه تبسيط واختصار للرموز المصرية الهيروغليفية نشأ قبل عام 2500 ق.م ، ثم الخط الديموطيقي وهو خط العوام ، أو الجمهور وقد بدأ الكتابة فيه نحو القرن الثامن قبل الميلاد ، ينظر : عبد الله ، عبد القادر محمود ، المصدر نفسه ، ص8 .

[5] تشرني ، المصدر السابق ، ص12 .

[6] السير. واليس بودج ، الساكنون على النيل ، ترجمة : نوري محمد حسين ، ط1 (بغداد ، مطبعة الديواني، 1989) ، ص202 .

[7] كفرس النهر ، والتمساح ، والأسد ، والثور ، والضفدعة ، والكبش ، والارنب ، والفهد ، والقطة ، وابن آوى ، والذئب ، والقنفذ ، والطيور أمثال : النسر ، والصقور ، والسنونو ، والوز . اضافة إلى الزواحف، مثل : السلحفاة ، والعقرب ، والأفاعي ، والخنفساء ، والحشرات ذات الأرجل الطويلة ، والجرادة إضافة إلى السمك – كما تقدم – . ينظر : بودج ، المصدر نفسه ، ص ص159-160 .

ومضت الصعوبة هذه الى استحالة التمييز بين هذه الآلهة التي ارتبطت مع مملكة الحيوان ما لم يتم الحصول على الرموز الهيروغليفية المناسبة على رؤوسها[1] ، فقد شاع الاعتقاد بإنَّ الآلهة تتجسد بشكل حيوانات : كالأبقار ، والماعز ، والقطط ، والأسود ، والفئران، والأفاعي ، وحتى انواع معينة من الأسماك[2] .

لذا اتخذت أغلب أشكال الآلهة المحلية في الأصل شكل الحيوان[3] ، وهو أمر لا يبدو غريباً اذا ما علمنا أنَّ الفكرة الكامنة وراء ذلك هي عبادة الحيوانات ، اضافة إلى أنَّ الآلهة الأخرى تتجسد في الحيوانات متخذة أشكالها[4] .

فعلى نحو عام يلاحظ من دراسة الديانة المصرية أنها قد اتخذت شكلاً عاماً يتفق مع الحياة الهادئة ، والنمط البيئي الذي فرضته الطبيعة والمناخ[5] .

على انَّ ما تقدم لا يعني أنَّ جميع الحيوانات تحظى بالقدسية بل يتم اختيار فرد واحد من كل نوع لكونه يمتاز بصفات خاصة يتميز بها عن غيره من أفراد نوعه ، على عكس ما أصبح عليه الأمر في العصور المتأخرة في الحضارة المصرية ، فقد شملت بالعبادة والتقديس جميع ما كان يعبد من الحيوانات فاذا ما مات الحيوان المعبود كفن بالكتان والحصير ثم يدفن في أماكن مختارة بين مقابر الموتى[6] .

وتعود أسباب صعوبة الفهم الشامل للأفكار الجوهرية التي تشكل أساس دين المصريين القدماء إلى عاملين : أولهما التركيب الطبقي لمصر ، والذي حاول المحافظة على عقائدهم الدينية من خلال استعمال اللغة الديموطيقية ، وثانيهما : امتلاك كل مدينة إله خاص مع مجموعة من الكهنة وهذا يفسر الفروق في العقيدة الدينية واشكال عدة من العبادات التي تحمل الاسم نفسه [7] .

فقد أحدث الدين البدائي الكثير من التغيرات ؛ نظراً لزيادة قدرة استيعاب التصنيف الطبقي للمجتمع ، وطبيعة العلاقة بين الآلهة بعضها البعض ، وبينها وبين الافكار الاساسية التي مثلت نظاماً لا يفهمه إلاَّ نفر محدد من الصفوة[8] .

---

(1) Pierre Motet, Eternal Egypt, (London, 1964), p. 336 .

(2)Neubert, op. Op. Cit, p. 154 .

(3) مرجريت مري ، مصر ومجدها الغابر ، ترجمة محرم كمال ، (مصر : 1957) ، ص209 .

(4) باقر ، المصدر السابق ، ص90 .

(5) الأحمد ، وأحمد ، المصدر السابق ، ص54 .

(6) رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص83 .

(7) K. Baedeker, Egypt Hand book for Travellers, (London : 1885), p. 12 .

(8) Loc. Cit .

فالعدد الكبير من المشاهد الدينية الموجودة بين الصور الممثلة على الآثار ، والنصب القديمة في مصر مدهشة ؛ لأنَّ كل صورة في أعمال المصريين تقدم لنا شكلاً لإله معين يتلقى الصلوات ، والطقوس ، والعبادات من الناس إلى درجة تجعل المرء يعتقد بإنَّ هذه البلاد كانت مسكونة –على الاغلب– بالآلهة ، وأنَّها كانت تحتوي على عدد كافي من الناس ، والحيوانات؛ لاشباع رغبة الآلهة في العبادة[1] .

ومع كل ما تقدم فإنَّ ما يبدو عليه الإنسان المصري يفيد بإنَّه لم تكن لديه في الزمن اللاحق أية فكرة واضحة عن نفسه مقارنة مع فكرته عن الآلهة الداخلة في التسلسل الطبقي في الدولة أو الهوية المحددة للآلهة الأكثر أهمية فلهذا يمكن القول : بأنَّ مصر قد شهدت في مصر ما قبل التاريخ[2] تعدداً للآلهة ، فقد كان لكل مجموعة في مصر إلههـا الخاص بها، لاسيما أنَّ مصر آنذاك لم يكن لها حكومة واحدة ، وفيما كان هذا الإله المحلي ، أو ذاك يهيمن على مصالح شعبه الخاصة ، مع احتفاظه بأهمية أكبر ، أو أقل بما يتناسب مع نمو أو تدهور المجتمع الذي يسود عليه ، لاسيما مع وجود نزوع طبيعي لبعض الناس للتحول من منطقة إلى أخرى ، مما يتسبب في تشويه خواص الآلهة حتى في الازمنة البعيدة ، فالإنسان الذي يبتعد من قرية إلى اخرى قد ينسى إلهه المحلي الذي عبده مما خلق اعتقاداً يفيد بانتقال الآلهة مع جماعتها من العباد إلى أيَّ مكان ترتحل إليه تلك الجماعة[3] .

وعلى الرغم من تأكد حقيقة ثابتة تفيد بإنَّ مصر لم يكن لها في العهد الأول وحدة دينية[4] ، فإنَّ العادة جرت أنّ يتمثل الإله بصورة مادية ، وكان الاكثر شيوعاً هو أن يصور الإله بهيئة حيوان إذ كان " ابيس– Apis – الثور" و" خنوم – Khnum – الكبش " و"انوبيس Anubis –ابن آوى "وتفنوت اوشو Tefnt–shu – الاسد "و" سوبك– sobek (التمساح) " و" جت – Get – الثعبان " و " حوريس – Horus – الصقر " و " تحوت –

---

(1) G. Maspero, The Dawn of civilization Egypt and chaldea . (London: 1901), p. 81 .

(2) مدلول تعبير ما قبل التاريخ اصطلح مؤرخو الحضارة على تقسيمها الى مرحلتين : المرحلة السابقة لمعرفة الكتابة ويطلقون عليها اسم (ما قبل التاريخ) ، ثم المرحلة اللاحقة لظهور الكتابة ويطلقون عليها اسم (التاريخ) . وهم يقصدون بذلك أنَّ المعلومات عن عصر ما قبل التاريخ مستمدة من آثار الإنسان وحدها ، وأما المعلومات عن عصر التاريخ مستمدة من آثار الإنسان بالاضافة إلى مادة الإنسان نفسه من معلومات عن ، تاريخه ، وحضارته . ينظر : رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص8 .

(3) Williams, op. Cit, p. 225 .

(4) استيندرف ، المصدر السابق ، ص23 .

Thot – ابو منجل " و " تحوت – Thot – القرد " و " حتحور – Hathor – البقرة "[1] . وقد حملت هذه المعبودات إلى جانب معبودات حيوانية كثيرة أخرى أسماء عديدة تختلف باختلاف أماكن تقديسها في البلاد[2] .

لذا كان من الطبيعي أن يكون استقرار شكل بعض المعبودات شيئاً استثنائياً ، وغير اعتيادي .

فمع هذا التلاحم المختلط لآلهة عدة ؛ ازدهرت الآلهة الحيوانية داخل اجساد وأطراف الكائنات الحية الاعتيادية ، وحصلت لنفسها على مزايا ، ونعوت ، وأنشطة بشرية ، فعبَّدت طبيعتها الثنائية الطريق لنزعتين متقابلتين : أولهما : النزعة المحافظة المصرية الموجهة ضد قمع وكبح الفروق الفردية ، فقد استمر وجود الحيوانات ، ولم يتوقف نظام تعددية المعبودات . وثانيهما : تلك النزعة القوية نحو الاحادية حيث لم يتم اعلان إله واحد للمدينة ، بل دعمت هويته بإلهة مدن أخرى عديدة[3] .

وأول نقطة يجب التركيز عليها هنا هي : تشعب الآلهة المحلية ، فقد كان لكل من الاثنين والأربعين مدينة أو منطقة مصرية إلهها الرسمي على الرغم من احتمالية مشاركة مدينتين أو اكثر لبعضهما البعض بإله واحد[4] ، مع ما يضاف إليه من صفات قد تخرجه من طبيعته الأولى وصفاته الأصلية[5] .

وبغض النظر عن هذه الملامح الخارجية لهذه المعبودات فإنَّ من الصعب –إلى حد ما– تحديد طبيعتها ، أو صفاتها الفردية بوضوح تام ، لاسيما أنَّ الوثائق المحررة للدولة القديمة قد صمتت عن مثل هذا التحديد ، وربما أمكن معرفة ذلك من وثائق متأخرة عن عصر هذه الدولة اذ يمكن استخلاص بعضها من نصوص الأهرام[6] التي بدأت بالظهور منذ نهاية

---

[1] تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، (بغداد : مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، 1992)، ص ص60–61. وتعد البقرة من أقدم الآلهة في مصر ، فهي في البداية كانت على هيئة بقرة اعتيادية ، ثم أصبحت آلهة السماء ، وفي النهاية امتزجت مع " ايزيس " بحيث اصبح من الصعب التمييز بينهما . ينظر : .
Murray, op. cit, p. 180

[2] تشرني ، المصدر السابق ، ص14 .

[3] Sir Alan Gardiner, The Egypt of the pharaons . (An Introduction), (Oxford, 1961), p.p 214-216 .

[4] Montet, op. cit, p. 136 .

[5] رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق / ص84 .

[6] هي خليط من التعاويذ ، أو التمائم السحرية والكثير منها – على الرغم من ترجمتها – لا تزال غامضة نوعاً ما في معانيها ، والهدف من هذه النصوص ، هو : ضمان سرية وأمان الملك ووجوده في الحياة الأخرى ، فقد ساد الاعتقاد بالامكانية السحرية للكلمة المنقوشة لضمان ذلك ينظر :

الأسرة الخامسة[1] . يضاف الى ذلك تسرب عدد كبير من المتناقضات إلى الديانة المصرية القديمة ؛ بسبب اتساع دائرة الصفات التي تنسب لكل إله .

والى جانب الرموز الحيوانية تركت الطبيعة انطباعاً آخراً لإشكال من الآلهة تتقمص الأشجار ، والنباتات ، بالإضافة إلى عقائد أرتبطت بأشكال مادية غير حية شأنها في ذلك شأن العقائد المتصلة بالحيوانات ، فقد كان هناك اعتقاد بإنَّ شجرة الجميز مأوى للإلهتين " نوت " و" حتحور " ، وكذلك الحال بالنسبة لشجرة السرو التي تجسد روح الإله " مين "[2] ، وكان وجود أيَّ شجرة من هذه الأشجار في مكان ما يجعلها موضع تقديس ؛ لأنَّ روح الإله التي تعد رمزاً له كانت تسكن فيها[3] وإنَّ الشجرة التي كانت مرتبطة بعبادة " اوزيريس " كانت تعد رمزاً لعبادة الأشجار[4] ، كما عدَّت بعض الأشجار ، لاسيما الفخمة منها قاعدة ، أو مثوى لبعض المعبودات ومستقراً لها ، وبالتالي فإنها تنفع الناس ببركتها ، مثل : شجرة الجميز الواقعة قرب مدينة منف[5] .

كما ساد الاعتقاد بإنَّ أرواح الموتى القادمة من المدافن على شكل طيور تجد في ظل الجميزة الوارفة حاجتها من الطعام ، والشراب مما تقدمه الآلهة الخيرة التي تقطن هذه الشجرة[6].

فقد كان الإله مثل الروح على هيئة طائر " با " ، وهو : عنصر حي يسكن الجسم مدى الحياة ، كما كان له قرين " كا " يمثله المصريون على هيئة ذراعين مرفوعين ، وكانت وظيفة هذا القرين أن يمد الجسم المادي بالحياة والقوة ، وحمايته بعد الموت . فالكا يسكن مع الجسم في القبر ، وتمنحه الحياة بالقرابين التي يقدمها أهل المتوفى له على مائدة قربانه . أما "البا"

Cyril Aldred, Egypt to the End of the old kingdom (London, 1965), p. 101 .

[1] تشرني ، المصدر السابق ، ص47 .

[2] الشجرة التي توجد مرسومة مع الإله "مين" هي الخس التي تعد رمز النماء والقوة التناسلية عند هذا الإله، ينظر : سليم حسن ، مصر القديمة (في عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الاهناسي) ، (مصر : مطبعة كوثر ، د.ت) ، ج3 ، ص218 .

[3] المصدر نفسه ، ص218 .

[4] Sir E.A.Wallis Budge. The Dwellers on the Nile, (London, 1926), p.149 .

[5] تقع في أول الصعيد على غربي النيل ، واسمها القديم " مافه " أي مدينة الثلاثين ، ينظر : محمد رمزي ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة 1945 ، ط2 (القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، 1954) ، ج1 ، ص422 .

[6] تشرني ، المصدر السابق ، ص24 .

فهو : الروح التي تصعد إلى السماء بعد وفاة الإنسان غير أنَّ الآلهة كانت تتقمص أشياء مختلفة جداً في وقت واحد سواءٌ الحيوانات ، أو الاحجار ، أو الأوتاد ، أو الخشب[1] .

هذا وكان للآلهة عالم غير عالم الأشباح ، أو الأرواح الذي انفصلت عنه ، وقد لعبت هذه الأرواح أو الأشباح " الجن " دوراً هاماً وعظيماً في مظاهر الديانة المصرية[2] .

ومن بين هذه المظاهر الدينية التي تتجلى فيها هذه الأرواح أو الأشباح ، هي : الحيوانات الأليفة والمتوحشة[3] اذ كان قتل أي حيوان من النوع المقدس يعد ضرباً من الفسوق والعصيان والكفر بالإله ، ويعاقب قاتله بالقتل . إلاَّ أنَّ هذا الأمر لا يلبث أنْ يبدو غريباً عندما نرى أن اصطياد الاسد يتم في طول البلاد وعرضها ، وكذلك الحال مع التمساح في الأماكن التي لا يقدس فيها[4] يضاف إلى ذلك فإن أهمية الإله المحلي تتناسب مع نمو وتدهور المجتمع المجتمع الذي يهيمن عليه[5] ، ولأنَّ الأبقار والقطط والكلاب كانت مستثناة من الذبح فإنَّ الذبح الذبح كان من نصيب الخراف والماعز والثيران[6] .

إذ ترسخت في أذهان الفلاحين المصريين الخصائص المميزة للثور والبقرة ، فالثور له القدرة الانتاجية والقوة الاخصابية ، بينما ألهمت البقرة عنايتها الفائقة بوليدها ، وحنوها عليه مفهوم تقديسها كرمز للأمومة[7] . وعلى الرغم من اقتران صفة الألوهية بالحيوانات عند المصريين الا انهم عدَّوا الاخيرة تعبيراً عن افكار الهية[8] .

أما العقائد المرتبطة بأشكال مادية غير حية فهي ظاهرة بالغة القدم في تاريخ الديانة المصرية شأنها في ذلك شأن العقائد الحيوانية أو النباتية ، فقد ارتبطت هذه الأشياء المادية بالمعابد أو الملك الحاكم ، ففي مدينة هليوبوليس Heliopolis[9] كان هناك عمود أو نصب مقدس يسمى : " يون Yon " ، إضافة الى حجر مقدس ، هو : " بنبن Benben " على شكل

---

(1) حسن ، المصدر السابق ، ص ص220-221 .

(2) حسن ، المصدر السابق ، ص217 .

(3) المصدر نفسه ، ص217 .

(4) المصدر نفسه ، ص219 .

(5) Williams, op. cit, p. 220 .

(6) حسن ، المصدر السابق ، ص219 .

(7) المرزوقي ، المصدر السابق ، ص73 .

(8) John. H, Clifford, The standard History of the world by Great Historians, (New York , 1907), p. 102 .

(9) وتعني باليونانية " مدينة الشمس " ، وهي : الأقليم الثالث عشر من الوجه البحري ، ينظر : تشرني ، المصدر السابق ، ص260 .

مسلة[1]. وهنالك نصب أو عمود أخر ، هو : الـ " جد . Djed " المرتبط بالإله "أوزيريس" وعموداً اخر خشبي له تاج في شكل زهرة البردي تعلوه بدوره ريشتان ، وهو الرمز العادي المقدس للمعبود " اوخ Ukh " إله مدينة القوصية ، ويبدو أنَّه لم يكن في الأصل سوى نصب ارتبط على نحو ما مع العقيدة المحلية للآلهة " حتحور " هناك[2] .

كما عدت الكثير من رموز السلطة والقوة ، كالصولجان ، والعصى ، وعلامات الملكية بمثابة أشياء مقدسة ، ولربما تعود قدسية اللحية[3] الإحتفالية للملوك الى رمزيتها لقوة مقدسة غامضة . كما يعد الدرع الذي يحمل سهمين متقاطعين الرمز المادي المقدس للالهة " نيث Neith " ذات الطبيعة الحربية[4] .

أما الحجر ذو رأس الثور ، فهو رمز شائع لعبادة الحجارة ، فقد كانت حجارة الشمس في معابد السلالة الخامسة في سقارة[5] تعد الأداة الاساسية لعقيدة الكهنة في هليوبوليس، والاضاحي المقدمة لها[6] .

فيما عدت جبال " بخو Bahau " في مصر و " مانو Manu " رموزاً أيضاً فالأولى ترمز إلى شروق الشمس ، والثانية إلى غروبها[7] .

في غضون ذلك كان المصري القديم ينظر إلى هذه العناصر الطبيعية ، على إنَّها متحدة في جوهرها ، ولعل أول دليل على الجوهر الواحد للعناصر الطبيعية ، هو مبدأ الابدال، أو التبادل ، أو التمثيل[8] . فقد كان من السهل على العنصر الواحد أن يحل محل العنصر الآخر ؛ اذ كان المتوفى يحتاج الخبز كي لا يجوع في العالم الأخر ؛ لذا كان بعضهم يتعاقد في حياته مع بعضهم الآخر على تقديم أرغفة الخبز إلى قبره بانتظام ؛ كي لا تعود روحه وتأكل الخبز ، ولعدم الإيفاء بذلك ؛ كان يصنع نموذج خشبي للرغيف يوضع في قبره، أو يصور على جدران القبر ، أو يكتفي بكتابة كلمة " خبز " . أما التمثال الذي كان يقام للإله

---

[1] قد يكون ذلك السبب في عد المسلات بعد ذلك رمزاً للشمس المشرقة ، ينظر : المرزوقي ، المصدر السابق ، ص73 .

[2] تشرني ، المصدر السابق ، ص25 .

[3] وهي لحية صناعية تعود إلى عهد الأسرة الأولى ، ينظر : تشرني ، المصدر نفسه ، ص25 .

[4] المصدر نفسه ، ص ص25-27 .

[5] إحدى قرى العياط بمديرية الجيزة ، ينظر : رمزي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص272 .

[6] Budge, The Dwellers of the Nile, p. 149 .

[7] Loc. Cit .

[8] فرانكفورت وآخرون ، المصدر السابق ، ص80 .

فإنَّه لم يكن يماثله في شكله ، وإنما هيئ ليكون مكاناً له فقط ، فيما يبقى هو على ذاته غير أنه كان يتقمص في كل مرة شكلاً يختلف بإختلاف الغاية من ظهوره[1] .

وقد حصلت تغيرات فيما يخص المعبودات ؛ لأنَّ الناس أدركوا بضرورة أن تكون لهم حصة مع الآلهة في أقتسام مسؤولية حياتهم ، وعيشهم . كما تغيرت صورة الآلهة من الشكل الحيواني الى الشكل الإنساني مع رأس طير أو حيوان[2] .

ولربما يعود هذا إلى التطور في مفاهيم ومظاهر الديانة المصرية القديمة ، عندما قطعت الحضارة المصرية أشواطاً في تطورها ، وأفضى هذا التطور إلى ازدياد القوى التجريدية لدى البشر ، فأصبحت القيم المعنوية أعظم تأثيراً ، وأن كان منها ما تمثل في صورة إنسانية في النهاية.

لذا فان وضع الآلهة في هذه الصورة يعد علامة تحدد المرحلة الأخيرة لهذا التطور، غير أن هذه الصورة لم تشمل الآلهة ولم تتأثر بها إلا الطبقات العليا والمتعلمة من السكان فقد إرتفعت الى مصاف المفاهيم الإنسانية لآلهتها ، بينما نجد العامة الأكثر بدائية من المزارعين اكثر احتضاناً للمفاهيم الحيوانية ، والنباتية ، أو المادية القديمة[3] .

ويبدو أن اضفاء الأشكال ، والصفات الإنسانية قد بدء منذ وقت مبكر ، منذ نهايات عصور ما قبل التاريخ ، وبداية عصر الاسرات ، إذ إننا نجد رسم في صلاية اردوازية[4] ترجع إلى عهد الملك " نعرمر " ، يمثل : معبوداً ذا وجه بشري له أذني بقرة، وربما كان هذا الرسم يدل على الآلهة " حتحور " . كما وجدت ثلاثة تماثيل للإله " مين " منحوتة في شكل بشري ، يظهر فيها اسم " مين " بهيئة بشرية ، ممسكاً بيده اليمنى سوطاً مرفوعاً[5] .

وفي عهد الملك " برإيب سن " من الأسرة الثانية كانت الآلهة " ودجت Wedjeyet" تمثل على الأختام بوجه وجسم بشريين ، وكذلك الإله " آش Ash " رغم أن رأسه كان يظهر احياناً على هيئة بشرية ، وعلى هيئة رأس شبيه برأس الحيوان المقدس للإله ست[6] .

---

(1) فرانكفورت وآخرون ، المصدر نفسه ، ص ص80-81 .

(2) C.O. Bernard, The Native Egyptian, (The Historical Essence of an outstanding Early culture), (New York: 1979), p. 16 .

(3) المرزوقي ، المصدر السابق ، ص74 .

(4) وهي عبارة عن لوحة من الحجر تنحت بشكل خاص ، وعليها مناظر مرسومة بالحفر من الجانبين ، ويغلب أن يكون في وسطها دائرة محفورة على أحد وجهيها ، يظن انها كانت تستعمل لسحق الالوان المستعملة في الزينة ، وهو الأمر الذي لا يزال موضع اختلاف بين العلماء ، ينظر : دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص37 .

(5) المصدر نفسه ، ص37 .

(6) تشرني ، المصدر السابق ، ص29 .

وكان للعادات الفكرية المحافظة في الديانة المصرية القديمة دورٌ جعل من الصعب التخلي عن كل الخصائص الحيوانية كرموز لمعبوداتهم ؛ لذلك كان الإله يصور عادة برأس حيواني مع جسد بشري[1] . هذا وتنسب الى هذه الهيئات المركبة من الالهة جانب واحد ، أو أكثر من الجوانب المهمة في حياته[2] . فقد مارست ثلاثة وظائف ، هي : الحماية من المعروف والمجهول ، والنجاح في جمع وانتاج الغذاء ، وتوسيع واستمرارية الجنس البشري[3].

إلاّ أنَّ أهم وظيفة للإله نحو عباده هي منحهم ، أو حرمانهم من الاشياء الضرورية للحياة العامة . أما الملوك فكانوا يطلبون منه الحياة ، والصحة ، والثبات ، والنصر، والسعادة[4] .

ولربما جعل الخوف والحب المصريين يضيفون الكثير من الأرباب إلى طبقات أربابهم الكثيرة[5] وهو ما دفعهم أيضاً للسهر على تربية ورعاية الحيوانات المقدسة كلٌ نوع على حدة ، مع توارث هذه العادة داخل الأسرة[6] .

اما ظهور الصور نصف بشرية فيمكن أن يعلل بأن الإله يحب ويكره ويحمي ويعاقب ، ويعطي ويأخذ ؛ لذا لابد أن يظهر الإله لهؤلاء على هيئة آدمية ، فهي مواصفات لا تنطبق

---

[1] ومثال ذلك " سوبك Sobek " الذي عبد على هيئة تمساح ، أو على هيئة رجل برأس تمساح . أما " ست Seth " فعبد على هيئة انسان برأس حيوان غريب يشبه الكلب ، وعبدت " سخمت Sakhmet " على هيئة امرأة برأس لبوة ، وعبد " سوكر Soker " برأس صقر وجسم أدمي وعبدت " عشتار Ishtart " على هيئة امرأة برأس لبوة وعبدت " محيت ورت Mehit Weret " ، وهي : بقرة السماء بصورة امرأة برأس بقرة تلد الشمس ، وعبد " آبيس Apis " بصورة جسم انسان ورأس عجل فيما مثل المصريون " أنوبيس Anubis " على هيئة انسان برأس كلب ، أو رأس ابن آوى ، أما " باخت Pakhet " فقد جعلت على هيئة امرأة برأس لبوة ، أو على هيئة قطة وغير ذلك كثير للتفاصيل ينظر : تشرني ، المصدر السابق ، ص ص231-233- وكذلك: دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص ص76-98 .

[2] الدباغ ، المصدر السابق ، ص ص103-104 .

[3] John A. Wilson, The Burden of Egypt (An Interpretation of Ancient Egyption culture, (chicago : 1951), p. 28 .

[4] حسن ، المصدر السابق ، ص216 .

[5] السيروااليس بودج ، الديانة الفرعونية (أفكار المصريين القدماء عن الحياة الاخرى) ، ترجمة : يوسف سامي اليوسف ، (عمان : دار منارات ، 1985) ، ص120 .

[6] هردوت ، يتحدث عن مصر ، ترجمة : محمد صقر خفاجة (دار القلم : 1966) ، ص ص167-168 .

على تمساح ، أو كبش ، أو صقر مع وجود الاف الروابط التي تلزمهم بالبقاء على التقليد القديم ذي المظهر الحيواني ، فاختاروا الوسط بين الحالتين[1] .

وجسم بعض الالهة بهيئة بشرية مذكرة او مؤنثة[2] ، ولربما كان السبب في ذلك ، هو التطور الحاصل في الديانة ، مع وجود نصب كبيرة لهذه الالهة في الحياة ، لاسيما مع التغيير التدريجي في صفات وطبيعة العديد منها .

ومع تعاقب القرون على مصر ، أصبح الدين قريباً من الحاجات الكبرى للسكان[3] ، فإلى جوار الآلهة الحيوانية والبشرية والمادية ، مجد المصريون القدماء أنواعاً من أنصاف الآلهة والارواح[4] التي لم يكن لها معابد، ولم يوجد لها تصاوير في القبور والمعابد إلاَّ نادراً. نادراً. وهي المعبودات التي يقدر قدر الانسان ومصيره بين يديها[5] ، رغم امكانية تغيير هذه الاقدار. اما من خلال الأفعال ، أو إرادة الإله ذلك ، فالإنسان لا يمارس أعماله إلاَّ من خلال رضا الآلهة وموافقتها ، فقد سادت الآلهة في الحياة ، وأصبحت جزءً من طبيعتهم ، فصورت عظيمة قوية وفي الوقت نفسه ، فإنها كانت طيبة رحيمة ، ونبيلة وعادلة ، وعالمية شاملة ، وهذا هو السبب الذي لم يجعل المصريين يحددون صفات كل الآلهة المختلفة ، وتعريف مجال نشاطها الحيوي ، ونفوذها في علاقاتها فيما بينها ، أما اكثر الأشياء التي أزعجتهم فهي: عدم القدرة على رؤية الآلهة رغم احتفاظهم بصور لها في بيوتهم ، وحملهم إياها في الطرقات

---

[1] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص10 .

[2] ومثال ذلك : " آتوم Atum " الذي يعني اسمه (التام أو الكامل) فان صورته كانت على شكل ملك يلبس التاج المزدوج لحيواناته المقدسة (الاسد – النمس – الثعبان) ، " امون – Amon " الإله " الخفي " يظهر على هيئة رجل يلبس تاج تعلوه ريشتان ، " بتاح Ptah " يتخذ شكل إنسان بدون تحديد واضح لاعضائه عبد على انه إله خالق ورب كل الصناعات والفنون ، للتفاصيل ينظر: تشرني ، المصدر السابق ، ص ص233–248 وكذلك : دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص ص68–76 .

[3] Tom Little, Egypt, (London : 1958), p. 32 .

[4] مثل " حعبي Hapi " أي : النيل وقد وصف اوصاف عدة ولقب بأبي الألهة ، وهو لقب مستعار من الإله "نون" رب الماء الازلي ، صوروه بشخص مرتوي الجسم نصفه انثى ، والنصف الآخر ذكر ، وتعلو رأسه حزمة من أوراق البردي ، ويقدم منتجاته إلى الآلهة الكبرى ، ينظر : أرمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص18 ، وكذلك : دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص81 .

[5] ومنها : " شوي Shoy " من فعل Sho يعني يقدر، تقدمه إليه سبعة الهات أو حتحورات عند مولده ، " حقت Heket " لها رأس ضفدعة ، وهي تنفخ في المولود روح الحياة ، " مسخنت Meskhenet " التي تشرف على الوضع – والألهات السبع " حتحور " ؛ وهن يحددن ما قدر للمولود و " تاروت Thoueris " تحمي النساء الحاملات ويقوم " بس Bes " بالدور نفسه كما يشرف أيضاً على الموسيقى ، والرقص ، والزينة ، ينظر : تشرني ، المصدر السابق ، ص68 ، وكذلك : دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص81 .

والمدن فكانوا يلبسونها الثياب ويطعمونها الطعام كل يوم وكأنها حقيقية ، رغم معرفتهم بأنها صور للآلهة الحقيقية التي كانت متواجدة مع الناس سابقاً على الدوام[1] ؛ لأن الطبيعة تركت أول انطباع على النزعة الدينية ، فكانت التعددية العظمى في الاله (مبدأ الشرك)[2] ، وكذلك تمتعها بصفات بشرية روحية ومادية ، كالصورة والاعضاء ، والرأي ، والأكل ، والشرب ، والسكن في البيوت (المعابد) ، وهو شعور ناجم عن الاعتقاد بوجود قوة وأرواح في جميع الظواهر الطبيعية . إلاَّ أن الروح الخالدة بقيت لدى الآلهة باستثناء الإله " اوزيريس Osiris" ؛ لأنَّه إله الموتى وقاضي العالم السفلي[3] .

وعندما نرى التطور قد اكتمل ، وأصبح في جوهر الديانة ، نجد المميزات نفسها دون تغير . إذ لم يكن للآلهة الأجنبية مكاناً مستقراً في مصر ، ولم تغير فيها الأحداث السياسية ، أو الاضطرابات ، ولا الأقوام الوافدة الى مصر كغزاة محتلين على الرغم من وجود إشارات؛ لوجود آلهة أجنبية بجانب الآلهة المصرية[4] .

ففي عهد الأسرة الثامنة عشر شيد الفراعنة امبراطورية وصلت حدودها الى ضفاف الفرات . حيث وجد المصريون هناك دويلات المدن السامية التي كانت خاضعة للنفوذ البابلي القوي ، وتمتعت بدرجة عالية من التحضر ، فعرفوا نتيجة هذا الاتصال الالهة

---

[1] James, Baikie, The Ancient East and its story (London: n. d), p. 51 .

[2] على الرغم من ظهور عقيدة (التفريد – Henotheism) ، وهي مرحلة متوسطة بين الشرك والتوحيد لأنه يتضمن الاعتقاد بوجود إله واحد ، دون منع الاعتقاد بآلهة اخرى ، أي أن ظاهرة تعدد الالهة تبقى جنباً الى جنب مع عبادة اله معين يخصه القوم بالتكريم اكثر من غيره . اذ أفرد (اخناتون) عبادة خاصة لقرص الشمس (آتون) ورأى فيه مظهر الإله الواحد ، بينما احتفظ المصريون بآلهتهم الاخرى ينظر : تقي الدباغ ، آلهة فوق الارض (دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الشرق الادنى واليونان) ، مجلة سومر ، (مج23 ، بغداد: 1967) ، ج1 ، ص103 .

[3] تشرني ، المصدر السابق ، ص181 .

[4] مثال ذلك : الاله النوبي " ديدون – Dedun " الذي ذكر مرات عدة كجالب للبخور ، والذي قدم من النوبة منذ عصر الأسرة السادسة ، وأيضاً الإله " أش – Ash " ذو الأصل الليبي ، وكان موجود منذ الأسرة الثانية أثناء رحلاتهم الى خارج البلاد رأوا في بعض الآلهة الاجنبية ما يطابق آلهتهم ، فأطلقوا عليها بعض أسماء آلهتهم ، مثل: " حتحور " إلهة السماء بقولهم " حتحور سيده بيبلوس " أحد الآلهة في الميناء السوري ، وكانت ترعى البحارة ، وقد حصلت على شعبية في مصر ذاتها ، وفي سوريا وفلسطين ينظر : تشرني ، المصدر نفسه ، ص ص181–182 .

السامية[1] في الوقت نفسه الذي نقل فيه المصريون عبادة آلهتهم الى فلسطين وسوريا من خلال العديد من الموظفين والجنود المصريين الذين نقلوا للعمل هناك[2] .

2- آلهة الأقاليم

كان للتطورات والأحداث السياسية التي مرت بها المدن أثار واضحة في المعبودات المحلية ، فبنشأة الأقاليم علا شأن معبود عاصمة كل اقليم ، وأصبح هو المعبود الرسمي للاقليم كله ، والمتسيد على معبودات المدن الأخرى التي يشتمل عليها الأقليم . ومما لاشك فيه إنَّ بعض معبودات هذه المدن كان يغلب على أمره ويفقد أهميته[3] . وإن الآلهة العليا وصلت الى مكانتها من خلال الهيمنة ، والبروز السياسي الذي تمتعت به المدن التي كانت الآلهة موجودة فيها أصلاً كمعبودات محلية .

لذا يمكن الإفتراض بأنَّ أولى خطوات المصريين ، لاسيما الكهان منهم لتحقيق الربط بين معبوداتهم ، كانت قد بدأت عندهم منذ أن أدت دوافع السلم والحرب بقراهم وبلدانهم القديمة المتفرقة إلى التضامن مع بعضها البعض على هيئة أقاليم عدة خلال مراحل متقاربة من تاريخهم القديم[4].

فيما بقيت مكانة الإله ومجال نفوذه ، مرتبطة بأهمية مدينته[5] ، فقد يرتفع الى مصاف المعبودات العليا ، أو ينزوي بين المعبودات الثانوية تارة أخرى[6] وعليه يمكن القول بإنَّ قوة كل إله تتحدد في نطاق قريته أو مدينته او داخل المعبد ذي العلاقة . كما أن هنالك القليل منها حصل على نفوذ أكبر مع زيادة في أهمية مدنها المحلية فتطور بعضها إلى آلهة اقليمية ، أو حتى وطنية أو قومية .

---

[1] ومنها " بعل – Baal " أو " بعلت – Ba,alat " وهو من الآلهة الكنعانية له قوة الخصب والمطر والالهة " عنات – Anat " ، وهي عذراء محاربة لها صفات عشتار ، وهي الهة الحب والحرب عند البابليين وسماها السومريون باسم " اينانا ". وأيضاً الإله " قادش – Kadesh " و " كسرت Kesret " ينظر: الأحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص213 . وكذلك : باقر ، المصدر السابق ، ص252.

[2] تشرني ، المصدر السابق ، ص189 .

[3] رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص84 .

[4] عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، (القاهرة : 1967) ، ج1 ، ص303 .

[5] George Stindorff and Keith C. seele, when Egypt Ruled the East, (chicago ; 1942), p. 142 .

[6] Williams, op. cit, p. 220 .

وفي سياق هذا التطور حجبت او ضمرت بعض المعبودات لحساب الآلهة الأكثر أهمية فمع مرور الزمن تم التوحيد بين الكثير من المعبودات بدرجات متفاوتة ، تتراوح بين المزج التام واختفاء أحدها كلياً في كيان أخر[1] ، أما الاسباب التي أدت الى ذلك فهي :

أ- غلبة روح المحافظة على القديم الموروث في أمور الدين والعبادات .

ب- غلبة روح التسامح التي احترمت تعدد المعبودات ، وحرص الفراعنة على عدم تركيز السلطة الدينية في ايدي كهنة معبود واحد .

ج- اتجاه المصريين إلى افتراض وجود روابط الأبوة والبنوة والزيجة بين أربابهم المتقاربين في الصفات وأماكن العبادة .

وخلال العصور التاريخية القديمة تغير اسم الإله الأكبر للدولة مرات قليلة ، مما ادى الى تغير العواصم وأربابها ، وكذلك الحال مع تغير الأسرات الحاكمة ، وتعصب بعضها لمعبود مسقط رأسها ، والإتجاه الشخصي والفكري للفرعون أحياناً ثم ازدياد نفوذ كهنة معبود معين على من سواهم[2] .

وتوازي عوامل التبديل هذه روح التقاليد في الافكار الدينية المصرية التي تقتبس الجديد مع إنَّها تحافظ على المعتقدات القديمة ، فعندما تعرضت الأمة إلى المصائب العديدة تركز الايمان بألهة الأقدمين (الحيوانات المقدسة) ، فيما خرج الإله من المحن القومية أعظم شأناً مما كان ؛ لأنَّ مصيره لم يرتبط قط بأي نظام سياسي ذلكم هو " اوزيريس " الذي أصبح مع "ايزيس" و " حوريس " معبوداً عاماً[3] .

---

[1] فقد امتص " بتاح " إله منف على سبيل المثال المعبود " سوكر " إله جبانة سقارة فأصبح " بتاح-سوكر ". وهناك اسلوب اخر لجأ إليه كهنة الآلهة القديمة للحفاظ على كيانها، وذلك بإدخالها عضواً في ثالوث الهي مقدس مع آلهة رئيسة بجعل دورها بينهم دور الزوج أو الزوجة أو الابن – كثالوث منف المؤلف من "بتاح" و " سخمت"و"نفرتم" وكثالوث طيبة والمؤلف من " آمون " و " موت "و" خنسو" ، أو يؤلف بشكل زوج وزوجتين كثالوث " إلفنتين " المؤلف من " خنوم " و " عنقت " و " ساتت " . أو يؤلف بينهما من أم وابنين كثالوث المقاطعة السابعة في الصعيد وهو مؤلف من " حتحور " و " سماتاوي "و" إيجى"، ينظر: تشرني،المصدر السابق، ص34 .وكذلك: رزقانه وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، المصدر السابق، ص84 .

[2] فعندما انعقدت الهيمنة للإله " حور " في بداية الاسرات ، انعقدت الأولوية للإله " رع " منذ أواسط الدولة القديمة ، ثم انتقلت الرئاسة إلى " آمون " في الدولة الوسطى و" آمون رع " في بداية الدولة الحديثة ، ثم الى "آتون" في عهد اخناتون ، وعادت بعده الى " آمون رع " حتى نهاية العصور الفرعونية ، ينظر : صالح ، الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، المصدر السابق ، ص304 .

[3] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص ص86-90 .

لذا أثرت الأحداث الكثيرة التي استهدفت الشعب المصري طوال تاريخه على ديانته، إلى جانب التشابه والتطابق بين الآلهة ، فهذه الفوضى لم تزد الأمر الا سوءاً ولو كان دمج الآلهة السالف الذكر قد نفذ كلياً ، لأدى إلى محو تعدد الآلهة[1] .

وبما أن نشأة العقائد الدينية أول أمرها كانت متفرقة ومستقلة ، كانت مصر مقسمة الى امارات صغيرة قوامها الاقاليم التي نشأت في فجر التاريخ وكان لكل اقليم معبوده الخاص[2].

3- الآلهة الكونية

كانت العناصر الكونية ومظاهر الطبيعة في مصر أهم ما تعلقت به قلوب المصريين وأخيلتهم ، فرأوا في الشمس والقمر ، والارض والسماء ، والماء والهواء ، آلهة يرهبون جانبها ويقدسونها حيثما تكون ، دون الحاجة في بداية الأمر لرمز يكنى عنها ، أو معبد يشيد لعبادتها على غير ما كانوا يصنعون مع المعبودات المحلية[3] .

كما كان السمو من عالم الأرض والطين والحجارة إلى أفاق السماء العليا ، يعد نتيجة للتقدم الحاصل في الفكر الديني[4] لدى الإنسان المصري ، لاسيما وإنَّ هذه الظواهر تؤثر على حياته اليومية ، حتى أنّه تصور بأنّها تمثل الصورة الخارجية لإرواح عظيمة لآلهته ذوات ارادات تقوم بأمر الطبيعة[5] .

ونتيجة لمعرفة الناس ، واعتمادهم على الأرض ، وحاجتهم إلى اعالة أنفسهم خلال امتهان الزراعة ، ورعي الحيوانات ، والصيد ، فقد أدرك سكان النيل اعتمادهم على أشعة الشمس وعلى مياه الفيضان السنوية . كما ظهرت عقيدتان دينيتان : أختصت الاولى بإله

---

[1] ادولف ارمان ، وهرمان رانكه ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة : عبد المنعم ابو بكر ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، د.ت) ، ص ص279-280 .

[2] احمد بدوي ، في موكب الشمس ، ج1 ، ص117 .

[3] رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص87 .

[4] بدوي ، المصدر السابق ، ص125 .

[5] ول وايريل ديورانت ، قصة الحضارة (الشرق الادنى) ، ترجمة : محمد بدران ، (بيروت : دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت) ، ج2 ، ص156 .

الشمس (أمون–رع) ، والأخرى تمثل أوزيريس[1] ، وهما العقيدتان اللتان يمكن وصفهما على النحو الآتي:

1- العقيدة الشمسية

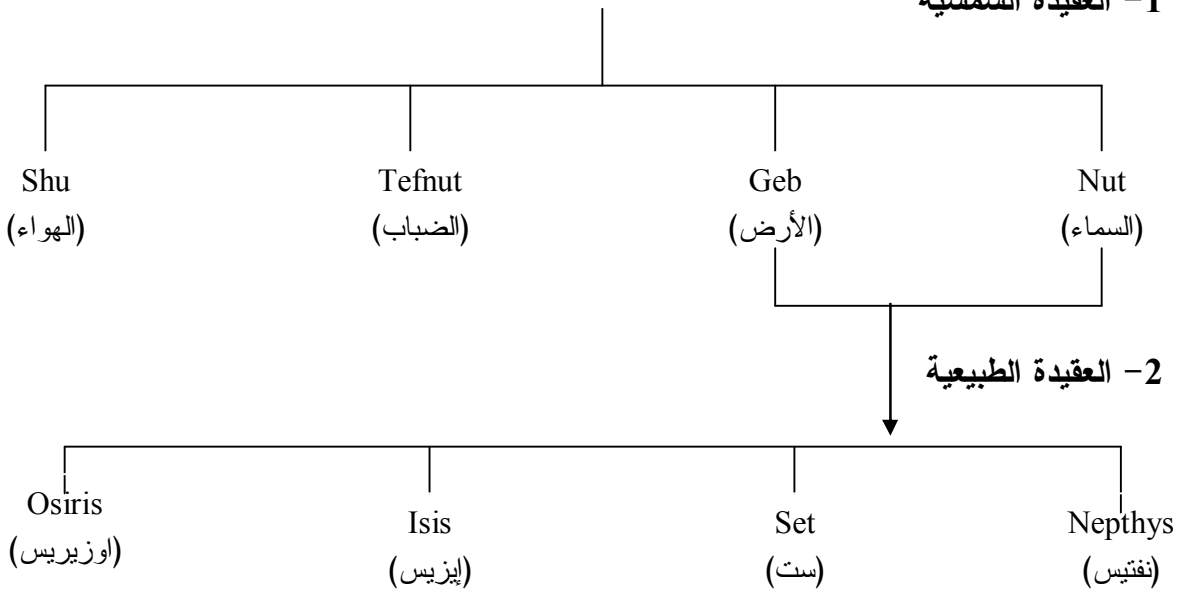

فقد عبد المصريون القدماء الإله الشمس بأشكال وأسماء متعددة[2] فـ " رع " ، هو: الإله الخالق ، والشمس معاً ، والذي يعتقد بأنَّه يبحر في السماء كل يوم في سفينة شبيهة بالقوارب التي ترتحل في أعلى وأسفل النيل[3] . ولأنَّ المصريين عدو السماء بحراً هائلاً ترتحل فيه الشمس والنجوم نحو الغرب[4] كل يوم ، فقد اعتقدوا بوجود نيل آخر يعودون من خلاله الى نقطة بدايتهم[5] ، وإنَّ الإله " رع " الذي ظهر في المملكة الوسطى صانعاً لكل الاشياء . وآلهة أخرى مثل " آتوم – Atum " و " حورس – Horus " ما هي إلا أشكال للإله " رع " ، وإنَّ الشمس كانت هي الرمز المادي للإله " الشمس "[6] ، ثم ظهرت تسمية (آمون – رع)[7] ، وبرزت على الرغم من أنَّ الإله " أوزيريس " كان أقدم منها في مصر تبع

---

(1) Jill Kamil, The Ancient Egyptians a popular Introduction to life in the pyramid Age, (Egypt: 1988), p. 24 .

(2) " رع " و " آتوم " و " خفري " أو " خفرع " و " هوراختى " أي حورس الافق ، ينظر : باقر ، المصدر السابق ، ص ص88–89 .

(3) Kamil, op. cit, p. 24 .

(4) مملكة الموتى تقع في الغرب ، والدخول إليها يكون من جهة الغرب . كما يعتقد قدماء المصريين، ينظر: ارمان ، ورانكه ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، المصدر السابق ، ص283 .

(5) Nubert, op. cit, p. 153 .

(6) E. A. Wallis Budge, The Nile, (London, 1910), p. 255 .

(7) Williams, op. cit, p. 220 .

تبع ذلك الإعلان بإنَّ الإله " رع " ، هو أبو " أوزيريس " وان " أوزيريس " هو الابن فقط[1] .

فيما عدَّ ملوك السلالة الخامسة أنفسهم أبناء للإله " رع " وقدمت له القرابين[2] . فقد كانت ديانة " رع " ، هي الديانة الرسمية للبلاد خلال عهد هذه الأسرة ، حتى دخل اسم "رع" في كثير من أسماء ملوك الأسرة الرابعة[3] .

وقد اتخذت كثير من الآلهة شخصية إله الشمس ، واتحدت به[4] ، ولعل مرد ذلك يعود يعود إلى أنَّ الشمس هي أقدم شيء قدسه المصريون بمختلف أشكالها : شمس الشروق "خبر"، والظهيره (رع) والغروب (أتوم)[5] .

وتخيل المصري القديم الشمس على هيئة عجل ذهبي تلده أمه بقرة السماء في الصباح، وينمو أثناء النهار ، حتى يصبح ثوراً سموه " كاميفيس ثورامه " ؛ لأنه يلقح أمه البقرة حتى تلد في اليوم التالي شمساً جديدة . أما عندما يتخيل المصري السماء امرأة فإنّه يتحدث عن طفلها الشمس الذي ينمو في النهار ويصير رجلاً كهلاً في المساء ، ويختفي في الدنيا السفلى فيما تصور الشمس بشكلها الهرم كأنه جسم الانسان اطلقوا عليه " اتوم "[6] .

هذا وكان لإله الشمس قارب صنع من الذهب بنته الآلهة بنفسها ، وتشرف على تسييره النجوم ، فيما تصاحب الألهة العظمى الشمس فيه . واعتقد المصري ان هنالك ثعباناً يلتف حول قرص الشمس الذي يحمله الإله على رأسه ، فهو يحرق أعداءه بأنفاسه النارية ، أما أعداء الإله فهي ؛ السحب التي يمزقها " رع " ، كما يمزق الثعبان " ابوفيس " الوجه المناقض للثعبان "الصل" الذي يحمي الإله الشمس[7] .

وبطبيعة الحال فإنَّ الإله ينجو من كل مكروه حتى يصل الى الغرب فترحب به آلهة الغرب ، ثم يترك الإله العالم السفلي صباحاً ، فهو يغتسل أولاً في بحيرة " ايارو " حتى يزيل عن نفسه ذلك اللون القاتم الذي اكتسبه أثناء الليل ، ويتقدم متحلياً بملابسه الحمراء إلى باب السماء ، ثم يظهر في ذلك الجبل الخرافي المدعو " بش " ويهب كلَّ الكائنات الحياة

---

(1) Budge, The Nile, op. cit, 255 .

(2) Steindorff, op. cit, p. 142 .

(3) مثال ذلك : " ددف رع " و " خفرع " و " منكاورع " ، ينظر : رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص91 .

(4) مثلاً : " مين رع " و " سبك رع " و " خنوم رع " و " منتورع " و " آمون رع " ينظر : رزقانه وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر نفسه ، ص92 .

(5) Amelia B. Edwards, A thousand Miles up the Nile, (London: 1899), p. 495 .

(6) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص19 .

(7) المصدر نفسه ، ص23 .

والسرور. فيما ترتل كل المخلوقات أناشيد تمجد الإله ، وأضاف المصريون إلى ذلك تمثيلهم ما يحدث للشمس بصور شتى[1] .

وكانت عبادة الإله " رع " عبادة مطلقة على كل الآلهة الاخرى ، فقد كان مقدساً من قبل الفراعنة ، وموظفيهم ، ونبلائهم ، وكهنتهم الرسميين[2] .

وكان هنالك ميل قوي لتحقيق الإنسجام بين العقيدة الشمسية هذه ومع العقيدة للحيوانات. فقادت الرغبة في دمج الفكرتين إلى أفكار متناقضة حول الإله " رع " ، والجد الأعلى له[3] . وهي أفكار لا تنسجم مع الواقع المرئي الواضح لإله الشمس ، أو مع وجود أي أي إله أخر تتحدد صفاته بشكل واضح اذ عُدَّ " حورس Horus " " ابن اوزيريس " ، والمنتقم

لأبيه من الشرير " ست Set " بإنَّه الإله " رع "[4] .

ولعل من الصواب القول بإنَّ الشمس كانت تهيمن على مصر ، فالسماء الصافية والخالية من النجوم جعلت من شروق وغروب الشمس شيئاً واضحاً ، مع ادراك المصري لوجود مصدر للحياة في الشمس ؛ لذا جعلها إلهاً أعلى ، وخالقاً لكل الأشياء .

أما أولاد " رع " ، فهم أربعة وقد خلقوا منه جميعاً : " جب – Geb " ، و " شو – Shu " ، و" تفنوت – Tefnut " ، و "نوت – Nut " ، التي تزرع أقدامها على " جب – Geb " ، ودفعها اخويها " شو – Shu " و " تفنوت – Tefnut " إلى السحاب وهكذا أصبحت " جب " الأرض و" نوت " السماء ، وأصبح " شو " و " تفنوت " الغلاف الحيوي[5] .

كما كان يرمز إلى آلهة السماء " نوت " بأشكال مختلفة : منها بقرة كبيرة ، أو سيدة تنحني بجسدها فوق الأرض مستندة على ذراعيها وساقيها[6] .

وعلى الرغم من أنَّ إله الارض " جب " قد وضع بذرته في أخته " نوت " ، وإنّه يُعد أمير الآلهة ، فإنّه اضطجع منذ ذلك الحين تحت قدمي " نوت " ؛ إلا أنَّ الإله " شو " إله

---

[1] فهي في المساء تدخل فم آلهة السماء ، ثم تعبر جسمها ليلاً ، وتولد في الصباح ، وهنالك فكرة تقول بإنّها اذا ما اختفت في الغرب تظهر من جديد في الشرق . ولكي تصل الى هذا الشرق عليها أن تعبر النهر ، ينظر: ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر نفسه ، ص ص23–24 .

[2] E. A. Wallis Budge, The Book of the Dead (England : 1922), p. 21 .

[3] Weech, op. cit, p. 39 .

[4] William, Henrg, op. cit, p. 221 .

[5] Leonard cottrell, The Mountains of pharaon 2000 years of pyramid Exploration, (London : 1956), p. 258 .

[6] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص50–51 .

الهواء فتقهما عن بعضهما ووضع نفسه بينهما ورفع السماء ، وصارت ترتكز على ذراعيه[1]، استناداً إلى أنَّ السماء ، هي الآلهة الأم التي تساعدها الأجساد الالهية ، ويرتحل من خلاله إله الشمس كل يوم .

وشخص المصريون القدماء الأرض ، وعبدوها بهيئة إله ، وليس إلهة وكان هذا الإله من آلهتهم العظيمة ، فقد كانت الغلة تنمو على أضلاعه[2] ومن خلاله يجري النهر العظيم (النيل) وهو الإله " حابي – Hapi " إله النيل والحبوب والخضرة والخيرات[3] .

وعندما اكتملت عناصر العالم الأساسية لم يبق إلا تعميره وهو ما رمز له بآلهة البشر "ايزيس – Isis " ، و " ازيريس – Osiris " ، و " ست – Set " ، و " نفتيس – Nepthys"[4] .

فقد كان الإله " اوزيريس " من الآلهة المهمة المتعلقة بقوى الأرض ، ولا يعلم أصل هذا الإله بالضبط ، ولعله من أصل أجنبي دخل مصر عن طريق الدلتا[5] ، وربما من الشرق، الشرق، فهو يحمل اسماً " سامياً " وفيما بعد ظهر إله آخر من الشمال ، هو : " بتاح – Ptah " الذي يعني اسمه الفاتح ، وهو اسم سامي صرف[6] وكان للإله " اوزيريس " علاقة بالاله العراقي "تموز" لكونه يظهر مع الغله ويموت بموتها[7] .

ولقد لقب " اوزيريس " بالملك الميت ، وابنه " حورس – Horus " الذي ولدته الآلهة "ايزيس" اخت " اوزيريس " وزوجته ، فيما فسحت الديانة الشمسية السائدة في عصر الأهرام المجال لعبادة الإله اوزيريس الذي كان إله الجماهير في الحياة الدنيا ، وحكم الموتى في عالم الأرواح تحت الأرض[8] .

أما الإله " رع " فإنّه يخلص أتباعه من الموت ، فيرفعهم أحياءاً إلى السماء ، أي أنّه يجعلهم بمثابة آلهة خالدين ، والمقصود هنا بالأتباع الفرعون ، وحاشية بلاطه واقربائه فقط؛ لأنَّ هذا الأمر لا يتاح لهم إلاَّ عن طريق اسرافهم في البناء والعمارة ، وهو الأمر الذي حول

---

(1) حسن ، المصدر السابق ، ص229 .

(2) باقر ، المصدر السابق ، ص92 .

(3) محمد صابر ، مصر تحت ظلال الفراعنة ، (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية : د.ت) ، ص665 .

(4) ضياء محمود ابو غازي ، رع في الدولة القديمة ، (اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب جامعة القاهرة : 1966) ، ص139 .

(5) باقر ، المصدر السابق ، ص92 .

(6) H.R.Hall, The Ancient History of the Near East from The Earliest Times to The Battle of salamis, (London : 1927), p. 85 .

(7) باقر ، المصدر السابق ، ص92 .

(8) المصدر نفسه ، ص93 .

سواد الشعب الى اتباع ديانة " اوزيريس " ؛ لأنَّها كانت العزاء الوحيد لهم ، والأمل اليتيم لهم بعد الموت[1] وهو ما سيتضح من خلال الأسطورة التي قامت عليها عبادة الإله "اوزيريس" .

الى جانب ذلك أولى المصريون اهتماماً كبيراً بالقمر ، وسموه " عين حورس " ، التي كانت تصغر رويداً رويدا ، ثم لا تلبث أن تنمو بشكل عجيب حتى تكتمل ، وأصبح الطائر "إيبس" هو نفسه إله القمر ، بل الممثل الليلي " لرع " الثور بين النجوم[2] .

اعقب ذلك ان اصبح " توث Thoth " إله القمر ، ومرسخ نظام العالم ، والروح الحارسة للهيروغليفين والكتبة والدارسين ، فقد كانت هنالك أفكار مختلفة حول القمر[3] .

وعرف المصري عن النجوم أنها تسبح فوق اليم الموجود في بطن " نوت " ، فقد كانت آلهة السماء هذه تلدها من جديد في كل يوم ، وفي الصباح تدخل هذه النجوم من فم هذه الآلهة . وحين تنوعت النجوم[4] أصبحت تمثل الموتى الذين حمل كل منهم مصباحه ، وأخذ يتجول في السماء[5] .

وعليه فإن نشوء الأفكار الدينية على ما يظهر كان يميل نحو بعض الارتباطات المحلية، والقوى الخارقة (الكونية) ، فقد ساهم اللاهوت القديم في ذلك من خلال تعزيز شعبية وسمعة الآلهة من خلال ارتباطها بالعقيدة الشمسية ، والتي يمكننا ملاحظتها من خلال النظريات التي ارتبطت بخلق الكون والإنسان .

---

[1] باقر ، المصدر نفسه ، ص93 .

[2] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص25-26 .

[3] Neubert, op. cit, p.p. 158-159 ,

[4] ومنها التي لا تنعدم وتبقى مرئية دوماً ، والتي لا تستريح لأنها تصاحب الإله الشمس في قاربه ، و" نجم الصباح " التي تعد من النجوم المقربة لإله الشمس ، فهو الذي يحيى الإله " الشمس " واسمه " ساحو " ، ونجم " الأبرق " من مجموعة الشعرئ اليمانية و"سبد" الذي كان يظهر في نهاية شهر " تموز " ، وهو بشير بحصول الفيضان ويشير الى السنة الجديدة ، وكانت روح الميت تعيش بين جيش من النجوم بعد أن اصبح " النجم ساحو " الجوزاء إله الموتى " أوزيريس " . اما الشعرئ اليمانة " سبد " فقد اصبحت " ايزيس " زوجته وابنهما هو " حورس " الذي اتخذ له مكاناً في السماء بالقرب من الرب الأكبر . ينظر : ارمان ، ديانة مصر القديمة، المصدر السابق ، ص26 ، وكذلك : حسن ، المصدر السابق ، ص228 . وللمزيد من التفاصيل عن النجوم وعلاقتها بالآلهة والموتى ينظر موضوع عقائد ما بعد الموت عند المصريين القدماء من هذه الاطروحة .

[5] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص27-28 .

1- آلهة الخلق ونظرياته

اعتقد المصري القديم إنَّ الإله قد أوجد بكلمة منه كل أسباب وأشكال الحياة ابتداءً من أبسط الأشكال إلى أعقدها ، لاسيما آخر أشكال الحياة ألا وهو الإنسان الذي اعطاه الخالق روح الحياة والقدرة على حكم كل المخلوقات الأخرى في الارض التي تعد أدنى منه فكرياً وروحياً تلا ذلك اعطاء الانسان الشروط الأساسية فيما يتصل بالتزاماته سواء نحو المعبود ، أو عالم الخلق أمامه ، أو نحو المجتمع الانساني الذي يعد جزءاً منه إذ تعد هذه الشروط العوامل الحاكمة لوجوده ، والتي يجرى تحديدها بحسب طبيعة العلاقة بينه وبين الخالق الذي هو أعلى منه ، والذي جاء به إلى الوجود ، وهي المرحلة المتقدمة التي لم يصل إليها الانسان من خلال تطور فكره بسهولة ، بل تطلب منه مدة طويلة استلزمها للملاحظة الدقيقة للظواهر الطبيعية نفسها من جهة ، ولبلوغ تطوره الفكري من جهة أخرى[1] .

وقد رسخت فكرة مفادها أن الآلهة قد خلقت العالم ، وهنالك إله قديم جداً وبدائي هو الذي يخلق الآلهة الأُخرى التي تمثل العديد من القوى الاجتماعية والسماوية . كما استطاع رجال الدين والفكر " اللاهوتيون " في مصر تقديم وجهات نظر مختلفة في أربع مراكز حضارية مختلفة عن تفسير النشأة الأُولى للخليقة[2] .

أ- نظرية هليوبوليس – Helioplis :

كانت مدينة " Ionu " تقع بالقرب من أسفل الدلتا الإقليم الثالث عشر حيث شروق " رع " إله الشمس التي اصبحت مقراً ضخماً لمقابر " رع " الإله الاول لمصر واسمها هليوبوليس أي مدينة الشمس ، وهي التسمية اليونانية ، ويشار إليها في الانجيل بالكلمة " on"[3] .

وقد وضع كهنة " رع " نظرية الخلق منذ زمن بعيد يدل على ذلك وجود اشارات لتلك النظرية في نصوص الأهرام[4] وعلى وفق اللاهوت كان لإله الشمس " رع " اسمين هما : "أتوم" الذي يعني الكامل ، أو التام ، أو المطلق . و " خبرى " أي : الذي جاء إلى الوجود وتعزى اليه ثلاث صفات رئيسة فهو الموجود بذاته ؛ لأنه هو الذي جاء الى الوجود بنفسه،

---

(1) Kaster, op. cit, p. 45 .

(2) مهران ، تاريخ الشرق الادنى القديم (الحضارة المصرية)، المصدر السابق ، ص243 .

(3) Kaster, op. cit, p. 49 .

(4) Loc. Cit .

وهو " الأقدم أو الأزلي" كما إنه " الأوحد المتفرد بذاته " . وعلى هذا النحو فهو الحاكم على كل الآلهة الأخرى[1] ، فهو أول من ظهر الى الوجود ، ثم عمل على ايجاد الآلهة الأخرى ليكونوا اتباعاً له ، فكان أول ملك للكون[2] .

ومن الكيان المائي اللانهائي ظهر منه روح أزلي خالق هو " آتوم " الذي لم يجد مكاناً يقف عليه ، فوقف على " تل " بعدِّه أول شكل من أشكال الأرض الجافة ، ثم صعد فوق حجر " بن بن benben " في هليوبوليس وهو على هيئة مسلة كرمز للشمس[3] أبو الآلهة جميعاً[4].

وظل اتوم[5] على هذا الحال حيناً من الدهر ، بعدئذ فكر في أنْ يخلق له زملاء فحمل من نفسه[6] فنتج عن هذا الحمل الاله " شو shu " والالهة " تفنوت Tefnut "[7] .

وقد جسَّد " شو " الهواء أو الأثير ، بينما مثلت " تفنوت " الرطوبة ، وبهما بدأ العالم المنظم ؛ لأن " شو " كان يعد معطي الحياة ، أو القوة الخالقة التي اعتمدت عليه في كل عناصرها ، وقد فصل السماء عن الارض[8] .

وما ان تم خلق هذين الإلهين حتى ولد من اتحادهما إله الأرض " جب – Geb " ، وآلهة السماء " نوت – Nut " ثم تزوج " نوت وجب " فولدا أربعة آلهة ذكوراً وإناثاً مناصفة

---

[1] المرزوقي ، المصدر السابق ، ص77 .

[2] باقر ، المصدر السابق ، ص109 .

[3] وكذلك رمز للهرم واضرحة ملوك مصر في المملكة القديمة وتحتل " البن بن " مكانة مهمة في علم الأساطير المصرية . ينظر : Kaster, op. cit, p. 49 .

[4] مهران ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الحضارة المصرية ، المصدر السابق ، ص243 .

[5] حيث اصبح اعظم من أبيه " نون " أي الهوة الازلية والمحيط الكبير ، ينظر : الأحمد ، وأحمد ، المصدر السابق ، ص96 .

[6] بالبصق أو بالاستمناء ينظر : دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص83 .

[7] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص104 .

[8] عندما فصل الإله " شو " السماء عن الارض ، ملأها نوراً وهواءً ومنذ ذلك الحين بدأت الحياة ؛ لذا يسمى " شو " في نصوص التوابيت والنصوص الدينية بـ " عنخ " بمعنى الحياة . ينظر : تشرني ، المصدر السابق، ص ص252–256 .

هم : " اوزيريس ، وايزيس ، وست ، ونفتيس " . وهكذا تكونت مجموعة مؤلفة من تسعة الهة يشار إليها بكلمة " Ennead " اليونانية وتعني جماعة التسعة[1] .

وفيما جاء اخر زوجين من هذه المجموعة بمجموعة آلهة مصر[2]جعل " اللاهوتيون " في هليوبوليس " أتوم " مظهراً من مظاهر الإله " رع " ، وان الاثنين قد اندمجا معاً في مركب الهي واحد هو " رع – اتوم "[3] .

اما السبب في اختلاف تسمية إله الشمس فهو اختلاف الأماكن التي يعبد فيها ، واختلاف نفوذه ، وأثره باختلاف الظروف السياسية في مصر آنذاك[4] . وعلى الرغم من ذلك ذلك فقد اعتمدت تعاليم هليوبوليس في تفسير خلق العالم على طريقة مادية[5] .

ب– نظرية الاشمونيين (خمنو) " هرمويوليس "

مع بروز مدينة الأشمونيين كمقر لعبادة الإله " تحوت " اتجه كهنتها للترويج لمذهب جديد ينافسون به مذهب هليوبوليس[6] . فيما كانت طائفة المعبودات التي خلق منها العالم على على حسب هذا المذهب تتألف من ثمانية آلهة تتكون من أربعة الهة ، وأربع الهات هم : " نو "و"هيهو" ، و" كك " ، و" نونو " ، أما الالهات هنَّ " نوت "و" هيهوت "و" كيكيت " و " نونت " . وقد مثلت الآلهة على هيئة رجال لهم رؤوس ضفادع . فيما مثلت الإلهات على هيئة نساء لهن رؤوس ثعابين[7] .

وهنالك اعتقاد يفيد بإنَّ هذه الآلهة قد خرجت من فم الإله " تحوت " ، فصاروا به تسعة أما الثامون فيرجع إلى كلمة " شمون " المصرية القديمة التي تعني ثمانية[8] . وإنّ المعالم الأولى للحية قد ظهرت فوق التل " نون " الموغل في القدم ، وحددوا مكانه في مواقع مختلفة

---

(1) Kaster, op. cit, p. 49 .

(2) المرزوقي ، المصدر السابق ، ص78 .

(3) المصدر نفسه ، ص78 .

(4) عبد الحميد سالم ، الحضارة المصرية في العصور القديمة ، ط1 (الاسكندرية : مطبعة صلاح الدين ، 1934) ، ص35 .

(5) رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص92 .

(6) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص58 .

(7) استيندرف ، المصدر السابق ، ص ص39–40 .

(8) انطون زكرى ، الأدب والدين عند قدماء المصريين ، (مصر : مطبعة المعارف ، د.ت) ، ص74 .

من مصر حيث سكنت الضفادع والثعابين وهي من الكائنات التي تتفق مع ما يغمر هذا المكان من ظلام ورطوبة[1] .

وتتفق نظرية الأشمونيين مع نظرية عين شمس في أن العالم كان محيطاً مائياً اسمه "نون" ، ولكنها تختلف عنها في أنّ إله الشمس هنا لم يخلق نفسه ، وإنّما انحدر من ثامون مكون من أربعة أزواج خلقت بيضة وضعتها فوق مرتفع على سطح " نون هرموبوليس". ومن هذه البيضة خرجت الشمس التي ولدت في هرموبوليس . وليس في هليوبوليس ؛ لذا فإنّ للأولى حق السيادة[2] .

وطبقاً لفلسفة الأشمونيين اللاهوتية فإنّ قوام هذا الأزل يتمثل في أربعة خواص هي : "العمق العظيم" ، و "اللانهاية" ، و "الظلام المخيم" ، و "اللارؤية"[3] .

ج- نظرية منف – Memphis :

عندما رسخت الأسرة الأولى عاصمتها في منف ، كان من الضروري تبرير النشوء المفاجئ لهذه المدينة ، والاهمية المركزية البارزة ولاسيما أنّ هذه المدينة لم تكن ذات شأن ديني مهم رغم قربها الكبير من مركز عبادة الإله " رع " في هليوبوليس . فهي لا تبعد عنها إلا قرابة 37كم . فلزم تبرير مركزها الديني الجديد من خلال جعلها عاصمة للمملكة الموحدة[4] لذا عمد كهنتها إلى تحوير بعض أساطير الخليقة ، وتخصيص دور مهم وبارز لإلهها " بتاح "[5] .

ومن أجل ذلك فإنّهم أرجعوا كل آلهة مصر إلى " بتاح " ، ونادوا بوجود ثمانية أشكال مختلفة " لبتاح " ، وأطلقوا على الإلهين الثاني ، والثالث من هذا التاسوع " بتاح – نون " الحياة الازلية وزوجته " بتاح – ناونت " ، وقد انجبا الإله " اتوم " . ومعنى ذلك أنه اصبح "اتوم" اقل شأناً من الإله " بتاح "[6] . فكل ما اتصف به " آتوم " من خصال كان قد استمدها من " بتاح " . بل إنَّ شفتيه ، وأسنانه التي يصف بها " شو وتفنوت " كانتا استعيرتا من بتاح.

---

[1] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص105 .

[2] مهران ، تاريخ الشرق الادنى القديم الحضارة المصرية ، المصدر السابق ، ص ص250-251 .

[3] المرزوقي ، المصدر السابق ، ص77 .

[4] باقر ، المصدر السابق ، ص111 .

[5] المصدر نفسه ، ص111 .

[6] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص106-107 .

كما سلبت قدرة " آتوم " على الخلق والابداع ، فقلبه ولسانه هما من بتاح[1] كما تم الادعاء بإنّ الاله " بتاح " ، هو : المبدئ الاول ، وهو المهيمن على بقية الآلهة الخالقة الأخرى[2] .

اذ تعبر الفلسفة المنفية في عملية الخلق بأنَّ الأخير قد تم في الأصل من اللسان والقلب؛ لانهما صورة " لاتوم " إلاَّ أنَّ بتاح الاعظم حيا الآلهة وأرواحها الفعالة بالحياة بفيض من قلبه ولسانه[3] اللذان توحدا منذ البدء في " حورس " و " تحوت " ، واللذان هما " بتاح " بعينه الذي يقف تاسوعه المقدس منه كالاسنان . وهو تاسوع هليوبوليس ، بذور اتوم والشفاه التي هي أصابعه ، لأن اتوم كان قد ولد من بذرته ، ومن اصابعه[4] .

أما تاسوع هليوبوليس ، فهي الشفاه في فم " بتاح " الذي نطق بالأسماء الأُولى للأشياء فبالكلمة المقدسة التي استقرت في القلب ، ثم نطق بها اللسان ، خلقت كل الآلهة ، واستكمل التاسوع[5] فمقومات " بتاح " هي اتوم الذي يعد فكره وحوريس قلبه ، وتحوت لسانه[6] .

وفكرة الخلق هنا ليست مادية ، وإنّما بحس فكري حيث يفكر الإله " بتاح " بعناصر الكون بعقله " القلب " ويأتي بها الى الوجود من خلال كلمته ، او مقولته الأمرة (اللسان)[7] . فيما تقدمها نظريات الخلق الأخرى باطار مادي صرف[8] .

وقد هيأت معابد أخرى لصالح آلهتها نظريات عن خلق الكون على غرار نظريات عين شمس ، والاشمونيين ، أو بخلطها معاً احياناً . كما حصل في ارتقاء إله طيبة " آمون – رع" ليصبح إلهاً للدولة[9] .

2- خلق الإنسان والوهيته :

---

(1) المصدر نفسه ، ص106 .

(2) المصدر نفسه ، ص107 .

(3) المرزوقي ، المصدر السابق ، ص78 .

(4) تشرني ، المصدر السابق ، ص56 .

(5) المصدر نفسه ، ص56 .

(6) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص85 .

(7) James B. Pritchard, The Ancient Near East (An Anthology of Texts and Pictures, (London, 1958), p. I .

(8) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص85 .

(9) المصدر نفسه ، ص85 .

لم تكن هناك خطة محددة عند أصحاب المذاهب المصرية القديمة حول خلق الانسان. بل صدرت عنهم آراء متفرقة منها : رأي قديم شائع رد أصحابه خلق الإنسان إلى أرباب عدة[1] .

ولا يوجد نص واضح عن كيفية خلق البشر ، فهنالك نصوص تسمي الإله الشمس بإنّه: هو الذي خلق البشر ، ويوجد نص اخر قال بخلق الانسان على صورة الاله ، وإنَّ الإنسان : هو حصيلة الخلق ، فقد جاء بالصدفة من الدموع التي أراقها " رع " ، وأنَّ الإله بتاح بدأ عملية الخلق بدون استعمال وسيلة مادية ، وإنّما بإدراك عقله ، وبالكلام بلسانه . وتقول النصوص أنّ هذا ما كانت تعنيه الأساطير القديمة بإنَّ كلّ الأشياء المخلوقة ، ومنها البشر هي مظاهر على قلب ولسان " بتاح "[2] .

أما بالنسبة لتأليه البشر فقد كانت هنالك العديد من المعتقدات التي راجت حول أشخاص معينين في ظل السلطات المقدسة للفرعون . إذ إن الفرعون هو الشخص المهم الوحيد الذي يتقاسم اطفاله ، والمنحدرون من عرقه ، وأفراد طبقته قدسيته[3] ، على اعتبار أنّ هنالك علاقة بين الإله والفرعون والذي تسكن فيه روح الإله أي روح الخالق واهب الحياة فالملك هو: ممثل الإله ، وله قوة تقديم فاعلية الخصب ، والنمو للشعب ، والأرض ؛ لذا فالإله يحيا بين الناس ، ويعيش ، ويتمشى بينهم من خلال هذا الملك ، ويرى بعيونهم[4] ، بعدَّه ابناً للإله نفسه إذ إن هنالك إشارة في بعض النصوص عن ذلك تفيد بإنّ " رع " هو الأب الفعلي للفراعنة وإنهم أخذوا واحداً من الألقاب الخمسة ، وهو لقب " ابن رع "[5] ؛ لذا فأنّ " رع " ، هو الإله الإعظم الذي انحدرت منه كل الآلهة الأخرى . وعليه فإنّ هذا اللقب " ابن رع " يضعهم في مستوى آلهة التاسوع كما أعلنوا أنّهم ورثة رع في سلطانه المستمد من الحق الإلهي على مصر[6] .

---

[1] فردوه إلى إله أسموه " خنوم " ، وصوروه جالساً على دولاب الفخار لتشكيل الاجنة ، ثم جعلوا له شريكة أسموها أحياناً بـ "مسخنت" فيما عزوا الخلق الى ثلاث ربات أحياناً أخرى ، هنَّ : "حقتْ ورننتْ ومسخنت". يضاف إلى وجود رأي يذهب إلى أنّ خلق البشر قد تأتى عن رغبة أرادها الإله وأمر بها اللسان ينظر : مهران ، الحضارة المصرية ، المصدر السابق ، ص264 .

[2] Kaster, op. cit, p. 50 .

[3] Aldread, op. cit, p.p 106-131 .

[4] Jill Kamil, Luxor A Guide to Ancient Thebes, (New York : 1943), p. 164 .

[5] Murray, op. cit, p. 183 .

[6] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص91 .

وقد بلغ المصريون القدماء في استعمالهم لمثل هذه الألقاب مع الملك ، فقالوا عنه أيضاً: إنّه " الشمس الحية " الذي اذا تحدث كان " اتوم هو الذي يتحدث من فمه " وأصبحت صورة الصقر في الكتابة المصرية " كمخصص للإله وللملك "[1] .

كما كان نقاء الدم الشمسي هو العنصر الأساس للحق الشرعي ، ولكي يصونه الفراعنة فإنّهم اثروا أن يتخذوا على الدوام من إحدى شقيقاتهم ، أو اخواتهم غير الشقيقات زوجة عظمى ، أو ملكة وعد المولود البكر من هذا الزوج وارثاً منتظراً يرتقي العرش عند موت والده[2].

طبقاً لذلك فإنّ الآلهة هي التي خلقت البشر ، الذين ينطوون في تكوينهم على قبس إلهي وليس من المستحيل عليهم أن يصبحوا هم أنفسهم آلهة حال مماتهم[3] . وأنه ليس بالضرورة أن تكون الروح خالدة ، فهي ليست مستثناة من فشلها امام القوى البشرية[4] .

فإذا ما هرم الملك ، وضعف جسده ، فإنّ الروح ستضعف داخله بطبيعة الحال .

وإذا ما مات فإنّ مشكلة ستظهر مفادها كيف يمكن عبادة الروح ؟ ولمنع هذا القدر كان يجب ابتكار وسيلة لإخراج الروح من موطنها الكبير السن ، واسكانها في جسد اقوى بنية، وأصغر عمراً . ولعدم إمكانية الملك الإله أن يموت موتاً طبيعياً ، فقد توجب قتله وهذا يتم من خلال ممارسة كل طرق القتل والتعذيب والطقوس الدينية ؛ لقتل الملك الإله وهي طرق ثلاث إما :

1- بإراقة الدماء

2- بحرقه ، ثم جمع رماده ، ونثره على أجزاء الجثة ، ودفنها في أماكن مختلفة من البلد . اذ ساد الاعتقاد بضرورة ضمان التقاء بقايا الميت الاله ، والتصاقها بالارض . فقد أكد

---

[1] كان الملك يلقب " بحورس " وهذا اعظم الألقاب . أما لقبا مصر العليا ، وملك مصر السفلى فليس هما إلا لقبان يشيران إلى وظيفته الدنيوية ، ينظر : ارمان ، ديانة مصر القديمة، المصدر السابق، ص ص61-62 .

[2] يشترط ان يكون المولود من دم إلهي ، وهو نسل الملك الجالس على العرش من قبل الإله ، يوضع البذرة – بذرة الطفل في رحم امه – بعد أن يتقمص الإله شكل الملك ، ويقترن مع الملكة الوالدة ، إذ حدث مع زوجة الملك " تحوتمس " التي ولدت الملكة " حتشبسوت " وقد أكد الاله " بتاح " للملك " رمسيس الثاني " في عهد الأسرة التاسعة عشرة إنّه تقمص صورة " تيس منديس " واقترن بأمه فولدته ، ينظر : ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر نفسه ، ص ص64-66 . وكذلك : دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص92 ، وكذلك : فخري ، المصدر السابق ، ص292 .

[3] تشرني ، المصدر السابق ، ص63 .

[4] Margaret, op. cit, p. 164 .

التقليد العائد الى عصر الزراعة أنّ الحياة تؤخذ من الأرض ؛ لأنّ الإله هو واهب الحياة[1] .

كما كانت هناك اسباب كثيرة وراء اعتقاد المصريين بأنَّ حاكمهم " اله " . فقد اعتقدوا أن الآلهة أرسلت أحد اعضاءها لحكم مصر[2] .

ويبدو أن مكانة الفرعون ومنزلته بين افراد الشعب – لاسيما العامة – التي تبين أنّه القوة الموحدة للبلاد في وطن وشعب واحد ، وإنّه الروح المحركة لهم . كانت أحد أسباب اعتقاد المصريين بألوهية الملك .

فالملك هو الشخص الوحيد الذي لا يشك أحد في خلوده ؛ لأنه كإله سيلتحق بالآلهة في السماء بعد الموت . فيما كان السكان يتمنون الخلود لأنفسهم من أجل خدمة الملك[3] .

وإلى جانب الملك قدس اعظم موظفيه في البلاد " منصب وزير الملك " لذا تم تقديس وزير الدولة " كاجمني – Kgemni "[4] في نهاية الدولة القديمة ، فنجد أفراد من اتباع عقيدته يحملون جميعاً اسم " جمن – Gemen " وهو اختصار " كاجمني " ورغم ذلك لم يكن يطلق عليه لفظ إله ، وربما كان شيئاً قريباً من القديسين . وهناك عقيدة وزير أخر من نفس العصر هو " إزي – Isi " الذي استعمل هيكل مقبرته لعبادته ، كإله في سقارة حتى عهد الإسرة الثالثة عشرة وانتعشت عقيدته لقرون عدة في مدينة إدفو[5] .

هذا وقد تم تأليه كل من " ايمحوتب – Imhotep " ، وهو وزير ، ومعماري الملك "زوسر" العظيم في الأسرة الثالثة ، أو " امنحوتب بن هابو – Hapu's son و Amenhotep " وهو وزير الملك " امنحوتب الثالث " وهو من الأسرة الثامنة عشرة[6] .

وبذلك يمكن أن نخلص إلى أنّ تطور فكرة الدولة ، وإلهية الفرعون قد انعكست على كبار موظفيه ، حتى أصبح لهم جانب من التقديس .

---

(1) Murrag, op. cit, pp. 164-165, Elizabeth payne, All about the pharons, (London, 1966), p. 31 .

(2) Ibid, p. 31 .

(3) Ibid, p. 30 .

(4) كان وزيراً للدولة في عهد الملك " تيتي " أول ملوك الأُسرة السادسة ، وقد دفن في هرمه المشيد في سقارة، وهي إحدى قرى منف في الوجه البحري ، وتقع مقبرته إلى جانب مقبرة الملك في "منف في سقارة". ينظر : تشرني ، المصدر السابق ، ص ص263–268 . وكذلك : فخري ، المصدر السابق ، ص113 .

(5) تشرني ، المصدر السابق ، ص63 .

(6) المصدر نفسه ، ص63 .

مع كل ما تقدم فإنّ الملك الإله كان هو الشخص الوحيد الذي يمكنه التحدث مع أخيه الإله ، لاسيما " هابي – Hapi " إله النيل ؛ لضمان وصول الماء الجيد للنيل ، والغزير سنوياً. فأصبح من أهم وظائف الفرعون أن يقوم في " حزيران – يونيو " من كل عام برحلة نهرية ؛ للوصول إلى حدود مصر العليا حيث تتبع من هناك مياه النيل ، ويحصل عندها على وعد من أخيه اله النيل " Hapi " بتوفير الماء في الوادي مرة أخرى[1] .

ونتيجة للأهمية الكبيرة التي احتلها الملوك في الإلوهية بالإضافة الى أهميتهم كحكام دنيويين فإنّ مكانتهم بقيت في المقدمة ، وفي كثير من المعابد كانت تماثيل الملوك تتقدم في الأهمية على تماثيل الآلهة[2] .

ويمكن ان نعزو ذلك إلى أنَّ الدين كان يتبع مقدرات العائلة المالكة ؛ لأنَّ الدين كان يقدم بمظاهر مختلفة بين حقب المملكة القديمة ، والوسطى ، والحديثة . فقد كان الملك المؤله يعبر عن تقديسه لحاميه المزدوج " آمون – رع "[3] . وكانت له مكانته بين الآلهة وافراد مجتمعهِ وأولهم الكهنة[4] .

يضاف الى ذلك واجباته التي أعطته المكانة المرموقة ، فهو مكلف بإشاعة عدل "رع" وكان عليه بناء المعابد وتحمل واجباتها وتقريب القرابين[5] .

هذا ولم يكن المولد[6] من دم إلهي ، وحق الابن البكر كافيين ، رغم أهميتها للجلوس على العرش الشرعي . بل كان من الضروري ان يهب إله الشمس وظيفته عن طريق التنصيب المقدس ، وان يجعل من ابنه خلفاً له ، فقد كان الإله يضع في هذا الاحتفال التاج المزدوج على رأس الملك ، ويربط حورس وتحوت النباتين الرمزيين للوجهين القبلي والبحري تحت عرشه ، وتكتب الالهة " سشات "اسمه على ورق الشجرة المقدسة ، وكلما تطلع شمس جديدة يطلع الملك عندئذ ليبدأ حكمه[7] .

---

[1] Payne, op. cit, p. 33 .

[2] George Rawllinson, History of Ancient Egypt, (London, 1881), p.162 .

[3] Loc. cit, .

[4] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص93.

[5] المصدر نفسه ، ص93.

[6] للتفاصيل عن الولادة المقدسة ، ينظر : عبد الحليم ، الولادة المقدسة ودورها في احقية العرش ، المصدر السابق ، ص ص57–62.

[7] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص93.

وعند وفاة الملك فإنَّه يلحق بأبيه الشمس ، ويقام له بجوار قبره معبد تستمر فيه عبادته؛ لأنه اله متوفى[1] .

أما في أواخر الدولة القديمة ، فقد برزت اللامركزية التي قللت من إلوهية الفرعون، وقدسيته التي كان يحاط بها ، في نفس الوقت الذي علا فيه شأن النبلاء وحكام الاقاليم ، ثم أصبحت فكرة المساواة مقبولة من الناحية النظرية[2] .

3- الأساطير

الأسطورة : قصة حقيقة عند بداية ظهورها ، ثم تضاف إليها بعض التفاصيل ، فتبدو بعد ذلك خيالية وان احتوت الاسطورة على عنصر الحقيقة فلم يستطع الرجل البدائي أن يصل الى تفسيرها بالطرق العلمية فصاغها في أسطورة[3] .

لذا يجب أن نأخذ الأسطورة بعين الجد ؛ لأنها تكشف عن حقيقة مهمة وان تعذر اثباتها. ولكن ليس للأسطورة وضوح النص النظري ، وعموميته إذ أنّ انكشاف الحقائق للانسان قديماً كان قائماً على العلاقة المتبادلة بينه وبين الطبيعة ، وأنّ قص الاساطير كان بديلاً عن القيام بالتحليل والاستنتاج[4] .

وفي عقائد المصريين لا يوجد رأي واحد ، أو اسطورة واحدة حول بداية الأشياء ، وإنما توجد جملة أراء وأساطير مختلفة[5] .

فقد نشأت تصورات عدة عن أصل الكون اندمجت بطرق عدة في توليفات مطولة صيغت على اساس محلي عبر العصور[6] . فكان اكثر الاعتقادات انتشاراً يفيد بأن الإله المحلي هو بادئ السماوات والأرض كما اعتقدت كل مدينة أنّ معبودها هو خالق الكون[7] فيما كان لكل طائفة من الكهنة نظرية خاصة عن كيفية هذا الخلق .

وتدور أساطير الشمس والخلق حول أصل العالم ، وتكوينه وأنّها خاصة بعالم الآلهة، وهي كلها ترجع في أصلها إلى فكرة إنسانية[8] .

---

(1) المصدر نفسه ، ص93 .

(2) مهران ، الحضارة المصرية ، المصدر السابق ، ص121 .

(3) عبد المعطي شعراوي ، أساطير اغريقية (أساطير الآلهة الصغرى) ، ط1 (القاهرة : 1995) ج1 ، ص7

(4) فرانكفورت وآخرون ، المصدر السابق ، ص ص17-18 .

(5) باقر ، المصدر السابق ، ص109 .

(6) الخطيب ، المصدر السابق ، ص98 .

(7) استيندرف ، المصدر السابق ، ص28 .

(8) الخطيب ، المصدر السابق ، ص102 .

وبعد أن أصبحت للمصريين أساطير عن كيفية مجئ العالم الى الوجود ، وكيفية اتساع السماء فوقه ، باشر الناس في نسج القصص حول الآلهة ، وكيفية تعاملها مع الناس وبالعكس.

ويمكن أن تتضح الصورة من خلال العرض الآتي لأهم هذه الأساطير :

أ- أُسطورة دمار البشر :

كانت النقطة الأساسية تدور حول رحيل الألهة بعد ان كانت موجودة بين الناس ، ومعهم على الدوام ، ولولا ذنوب الناس ، وأشرارهم وثورتهم ، لكانت الآلهة باقية على الارض[1] .

فقد كان إله الشمس " رع " هو أول الآلهة جميعاً ، وأول من ظهر من أعماق البحار وحكم الأشياء كلها ، والناس ، والآلهة جميعاً . وبعد أن تقدم به العمر ، وصفوه بالعبارة الاتية: " أصبحت عظامه من فضة ، واصبح لحمه ذهبياً "[2] .

لذا أخذ الناس يعصون أمره لشيخوخته ، وأصبحوا أشرار القلوب ، حتى أنّهم خططوا للثورة والعصيان عليه ففطن لأغراض الخلق ، وقال مخاطباً أتباعه " آتوني عيني " ، أي: المعبودة " حتحور " ، والمعبود " شو " ، والمعبودة " تفنوت " ، وكل الأباء ، والأُمهات المقدسة الذين كانوا بصحبتي حينما كنت لا أزال في المحيط الأزلي " نون – نن " ، وآتوني ايضاً بالإله " نون " نفسه ، ومعه كل خدمه ، وليكن حضورهم إلى هنا خفية ؛ حتى لا يراهم بنو الإنسان[3] .

وبعد أن أطلع مجلس الآلهة على ثورة البشر هذه نصحه الإله " نون " بقوله : " يا بني رع انت أيها الإله الذي فاق أباه عظمة ، وفاقت قدرته قدرة من خلقوه ، ابق هادئ البال على عرشك ، فالخوف منك عظيم ، لو أنّك القيت مجرد نظرة نحو من تأمر عليك[4] .

واقترحت عليه الآلهة أن يرسل عينه ، التي هي الشمس متقمصة مظهر المعبودة "حتحور" ؛ لكي تسحق المتأمرين . وبالفعل استعرضت هذه الآلهة قوتها ضدهم ، مما اكسبها لقب "سخمت" أي : " القوية " ثم عادت ، وهي مصممة على الذهاب إليهم مرة اخرى واستئصالهم تماماً حينها أدرك " رع " الشفقة على الشر فوجه رسله الى جزيرة " الفنتين " لاحضار قدر كبير من فاكهة حمراء اللون ، يطلق عليها اسم " ديدي – Didi "[5] التي يبدو

---

[1] Baikie, op. cit, p. 51 .

[2] Loc. Cit .

[3] استيندرف ، المصدر السابق ، ص34 .

[4] استيندرف ، المصدر السابق ، ص ص34-35 .

[5] تشرني ، المصدر السابق ، ص61 .

أنها مادة صبغية ذات لون أحمر ، واعطوا هذه الفاكهة للإلـــه ذي الظفيـــرة فـــي " هليـــو " ، فطحنها على حين قامت خادماته بتحضير الجعة من الشعير ، وخلطوا بعد ذلك فاكهة الديـــدي مع الجعة ، فنتج عن ذلك سائل يشبه دم البشر[1] .

وفي صباح اليوم الذي قررت فيه " حتحور " الذهاب لتدمير البشر ، أمر " رع " بـــأن تصب الخمر في الحقول ، وعندما قدمت الآلهة " وعبت " منها ، اصبحت ثملـــة تمامـــاً ممـــا جعلها تغفل عن ضحاياها ، فأمكن انقاذ البشر من مصير رهيب بفضل تـــدخل الإلـــه الأكبـــر "رع"[2] .

ب- أسطورة أوزيريس :

تعد عبادة أوزيريس من أهم العبادات المصرية ؛ لانتشارها بين جميع طبقات الشـــعب من أعلاه الى أدناه وهي : أكمل مثال للإله المتجسد في الإنسان[3] .

هذا ويمكن دراسة العلاقة بين الإله والإنسان ، ونمـــو العبـــادة مـــن شـــكلها البـــدائي والوحشي الى اسمى المثل الدينية العليا القديمة . من خلال دراسة عبادة أوزيريس فقـــد كـــان اوزيريس هو الابن البكر لإله الأرض " جب – Geb " وآلهة السماء " نوت – Nut " ، وكان بهذه الصفة وريثاً لدولة تشمل الارض كلها[4] . في وقت كانت فيه مصر بلاد للشرور ، حتى أنَّ الناس كانوا يؤذون بعضهم بعضاً إلى أن ابعدهم ملكهم عن ذلك ، وعلمهم طريقة العـــيش وكيفية استعمال الكتابة ، وعزف الموسيقى ، وكيف يكونوا بشراً بدلاً من أن يكونوا وحوشـــاً في الارض ، وفي العالم كله ، فقد علم الجميع ان يكونوا أخياراً وحكماء ، ومهرة إلا أن اخاه " ست – Set " لم يكن مثل اوزيريس ، فقد كان يكره كل ما هو جيد ، ويكره حتى " أوزيرس " لأنّه يحب الخير[5] .

وقد تزوجت " إيزيس " من " أوزيريس " الذي جاب العالم مصلحاً ، وعادلاً لبني البشر من خلال الموسيقى ، والشعر والخطابة[6] . وفيما كان " أوزيريس " يرتحل ويعلم الناس شرع

---

[1] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص76 .

[2] تشرني ، المصدر السابق ، ص61 .

[3] مري ، المصدر السابق ، ص225 .

[4] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص78 .

[5] Baikie, op. cit, p. 52 .

[6] Clifford, op. cit, p. 97 .

شرع "ست – Set " بجمع أصدقائه الأشرار في مصر ممن وجدوا في حكم " اوزيريس " القوة الصارمة الكابحة لأفعالهم الشريرة ، فخطط اثنان وسبعون منهم لقتله[1] .

وعند مجيئه أقام " ست – Set " وليمة لأخيه ؛ احتفاءً به بعد عودته من سفره ، ثم دعا الاثنين والسبعين رجلاً ، واحضر " Set " صندوقاً ذو شكل عجيب ، وعرضه على ضيوفه ليروه ، وذكر لهم أنه سيقدمه هدية إلى من يدخل فيه ، ويثبت مطابقة الصندوق، وملائمته لحجم من يدخله[2] ، بعد ان ذكر لهم أنه مليء بالجواهر الثمينة التي يصعب على من يراها ، أنّ لا يتمنى الحصول عليها ، وبعد أن حاول كل الرجال تجربته ، لم يطابق أحداً إلا جسد أوزيريس[3] الذي ما أن استقر في داخل الصندوق ، حتى قتل فيه وأغلق عليه ، ورمي في أحد مصبات النيل من فروع الدلتا ، فحمله النهر إلى البحر ، وطاف الصندوق في البحر ، حتى رسى في جبيل[4] على ساحل " بيبلوس – Byblos " فيما وصلت جثته إلى موضع تحت شجرة ما أن أحست بجسد الإله تحتها حتى ايعنت ، وأغلقت فروعها على جسده بحيث لا يمكن رؤيته لذا تساءل الناس حول جمال الشجرة حتى سمع حاكم المدينة بالخبر، فأعجب بها وأمر بقطعها ، وزراعتها في باحة قصره وفي داخلها جسد أوزيريس[5] .

اما ايزيس فأنها ما ان علمت بمقتل زوجها حتى شرعت بالبحث عنه في كل مكان في الأرض تاركة ابنها " حورس " برعاية الآلهة " بوتو – Buto " لكي لا يجده عمه الشرير "ست – Set " فيقتله ، ثم إنها جاءت الى مدينة بيبلوس ومن قبيل الصدفة أخذتها الملكة إلى قصرها كمربية لابنها الذي كان ضعيفاً ومريضاً ، فأولته إيزيس الرعاية اللازمة حتى شفى الطفل ، واصبح قوياً ، غادرت بعد ذلك جبيل عائدة الى مصر ومعها الصندوق . ولدى وصولها أهوار الدلتا كان ست[6] يصطاد قرب الموضع فعثر على الصندوق ، وأخرج منه الجثة فقطعها إلى أربعة عشر أو ستة عشر قطعة ، بعثرها في جهات مختلفة من وادي النيل، فأخذت إيزيس تبحث عن قطع جثمان زوجها ، وكانت كلما وجدت جزءاً منه دفنته في الموضع الذي تجده فيه ، فدفنت رأسه مثلاً . في " ابيدوس " ، ورقبته في " هليوبوليس " ،

---

(1) Baikie, op. cit, p. 54 .

(2) باقر ، المصدر السابق ، ص ص94–95 .

(3) Baikie, op. cit, p. 54 .

(4) باقر ، المصدر السابق ، ص95 .

(5) Baikie, op. cit, p. 56 .

(6) Baikie, op. cit, p. 56 .

وهكذا فعلت في الأجزاء الأخر ما عدا عضو التناسل الذي رماه " ست – Set " في البحر فابتلعه نوع من الأسماك[1].

لذلك ادعت مدن كثيرة في مصر أنها مدفن " لاوزيريس " تبع ذلك تجمع الآلهة ثانية، وتوحدهم ، وبقوة تعاويذ " ايزيس " السحرية ، نهض اوزيريس ثانية من الموت ، وفي تلك الايام كبر ابنه " حورس " ، وتحدى " ست – Set " لينتقم لأبيه وفي النهاية حصلت معركة كبيرة انتصر فيها " حورس " فيما حاول " ست – Set " اتهام " اوزيريس " امام مجلس الآلهة، ولكنهم أعلنوا في النهاية بأن " اوزيريس " هو صاحب الحق ، ووصفوه بالعادل، وجعلوه قاضياً ، وملكاً للموتى في العالم السفلي[2] .

في ذلك الوقت اعتلى " حورس " عرش والده وأعيدت له عينه التي أصيبت في المعركة ، إذ أعادها الإله " Thoth " ، وهو : إله القمر ، وصادق على خلافته لأبيه في مدينة "هليوبوليس " ، وصار " حورس " المثل الأعلى لحب الابن لأبيه ، ومضرباً للأمثال بالتضحية وتحولت عينه إلى الهلال[3] .

هذا وترتبط بهذه الأسطورة أسطورة طريفة عن تحريم الخنزير ، لكونه دنساً بالنسبة للآلهة ، وملخصها أنّ الإله " رع " حرم الخنزير على الآلهة ، واتباعهم ؛ لأنّ " ست – Set " اتخذ شكل الخنزير في قتاله مع " حورس " يوم فقأ عينه فجعله حيواناً دنساً محرماً من أجل "حورس "[4] .

وقد عُدت اسطورتا اوزيريس ، وايزيس الأكثر جمالاً من بين الأساطير المصرية . إذ كان " أوزيريس " تجسيداً للماء ، لاسيما النيل ، وكانت " ايزيس " تمثل الأرض ، لاسيما وادي النيل في مصر التي يغمرها الماء . وإنّ حورس هو الابن ، وهو الهواء ، لاسيما الضباب وان "ست – Set " هو النار ، لاسيما حرارة الصيف التي تؤدي الى جفاف النيل، وجفاف الأرض . وإنّ رفاقه الاثنين والسبعين هم الاثنان والسبعون يوماً ذات الحرارة الأشد في الصيف حسب اعتقاد المصريين ضمن ما يعرف بالتفسير الجغرافي للأسطورة[5] .

---

[1] باقر ، المصدر السابق ، ص95 .

[2] Baikie, op. cit, p. 56 .

وللمزيد من التفاصيل عن محكمة أوزيريس للموتى ووقوفه قاضياً بينهم ينظر موضوع العالم السفلي ومحاكمة الموتى في الفصل الرابع من هذه الاطروحة .

[3] باقر ، المصدر السابق ، ص96 .

[4] المصدر نفسه ، ص96 .

[5] Clifford, op. cit, p.p. 98-99 .

أما التفسير العلمي فيدور في فكرة فلكية ، وعلمية إذ إن " اوزيريس " هو المبدأ المنتج والخالق في الطبيعة ، وايزيس هي النوع الأنثوي في الطبيعة ، وست هو المبدأ الشرير المدمر في الطبيعة ، فيما يقع حورس ما بين الخلق والدمار[1] . ولعلها رموز لأحداث قومية بعيدة سبقت قيام وحدة مصر التاريخية التي تلخصت في وحدة أقاليم الدلتا تحت زعامة "جدو" ومدينة أوزيريس ونجاح أهلها في بسط نفوذهم على مصر كلها تحت رايته . الأمر الذي اسخط أتباع "ست" الأشداء في الصعيد ، وجعلهم يناوئون الوحدة المفروضة عليهم ، ويقضون عليها عنوة ، وهو ما عبرت عنه الأسطورة بفتك ست بأخيه اوزيريس وتنحيته عن ملكه[2] .

الآلهة والأخلاق

الدين والأخلاق يعتمدان من الناحية النظرية أحدهما على الآخر . ففي المجال النظري وبالانسجام مع الخطة الإلهية تكون الفرصة متاحة للجميع . حيث تم خلق البشر بالطريقة نفسها متساويين . أما اللامساواة الاجتماعية فهي نتيجة لإنتهاك الإنسان لإرادة الخالق[3] .

وفي رأي المجتمع فإن القيم الأخلاقية كانت تتعزز بواسطة البشر . فضلاً عن الآلهة، وكان المعيار في ذلك عادة ؛ هو ما يحبه الانسان ، وتقره الآلهة[4] .

وعلى الرغم من إيمان المصريين بالقدر ، فإنهم كانوا يعدون الإنسان مسؤلاً عن أثار أفعاله . فهم لم يؤمنوا بأنَّ القدر يمكن أن يعرقل الإرادة الحرة للإنسان ، بل إن القدر يبتدئ في مختلف الأحداث في العالم المحيط الذي يؤثر على حياة الإنسان من الخارج . فيما تبقى للإنسان فرصة النضال ومواجهة هذا التأثير بجهده الخاص[5] .

أما الظلم فكان في كل العصور أمراً مرذولاً في مصر من وجهة نظر الآلهة حتى أننا نقرأ في متون الأهرام أنّ الملاح السماوي لا يسمح بالعبور لغير الصالحين العادلين ، ويعد إله الشمس ممثلاً للعدالة في الوقت نفسه الذي يؤكد على الصدق اذ يقول للإنسان : قل الصدق، وافعل ما يقتضيه[6] .

---

(1) Loc. Cit .

(2) صالح ، الشرق الادنى (مصر والعراق) ، المصدر السابق ، ص328 .

(3) Hawkes, op. cit, p. 721 .

(4) تشرني ، المصدر السابق ، ص106 .

(5) المصدر نفسه ، ص107 .

(6) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص177 .

فبما أن الملك ، والإله هما الشيء نفسه فإنَّ واجب الإنسان هو للملك ، وهي الأفكار التي دونت في النقوش التي احتوت السمات الطيبة التي يجب ان يتصف بها الانسان ، معبراً عنها بالأفعال والأنشطة ، وبالكلمات ، والتي تبين موقفه تجاه مكانة الملك[1] .

بالمقابل كان الحاكم الجيد يفخر بنفسه عندما لا يعامل شعبه بعدائية ، أو اضطهاد ويساعد المحتاجين . ويعمل كأب لليتامى وزوج للأرملة ، وحامي لليتيم . فمقياس الحاكم او رجل العدل والقضاء هو الأخلاق[2] .

فإتيان الخير والحق يتوافق إلى حد كبير مع السلوك الطيب الذي يلقن للشباب من خلال فرع خاص في الأدب ، هو : أدب التعاليم[3] . فقد ذكر المصريون قائمة شاملة بالأشياء الممنوعة ، والأفعال الشريرة التي تتقاطع مع الحياة بالنسبة للإنسان الاعتيادي كالقتل أو السرقة او النصب أو شهادة الزور ، او الكفر بالآلهة ، او الملك . مع التأكيد على عدم ايذاء الأرامل ، وعدم نهب أموال اليتامى ، وعدم التحدث بكلمات غاضبة، وعدم التسبب بالألم وكثير من الأخلاقيات التي وردت في الفصل المائة والخمسة والعشرون من كتاب الموتى[4] .

.

وهي المثاليات التي لم تكن مجرد رؤية لمظهر الورع . فالتقوى تلامس – قليلاً – السيرة الذاتية عندما يتفاخر الرجل بالقول : انني محبوب من أمي ، وأبي ، وأخوتي ، كما أن شخصاً كهذا يكون ذا صدق ، ولطف كبير كما كان بعض الفراعنة يتفاخرون بما قدموه لشعبهم ، لاسيما الفراعنة الذين لديهم " يب – Yeb " ، أي : الضمير ، فطبقاً لإدراك

---

[1] Murray, op. cit, p. 215 .

[2] Loc. Cit .

[3] وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والنصائح التي تشكل الحكمة العلمية ، أو بالأحرى الذكاء في تناول الحياة ، وكانت هذه الحكم تبدأ عادة بكلمة " سبويي " أي : درس ، أو تعليم كعنوان لها ومنها (لا تكثر الكلام، وكن حذراً حينما تتكلم ؛ لأنَّ اللسان يسبب للناس النكبات ، وإنّ الفضائل الرئيسة للمرء ، هي : الحشمة والحياء ، و" لا تبق جالساً فيما يكون شخص أكبر منك سناً ، أو مركزاً واقفاً) ، ينظر : ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص181 . وكذلك : تشرني ، المصدر السابق ، ص ص108–277 .

[4] يعطى هذا العنوان في مجموعة كبيرة من النصوص الجنائزية التي ألفها الكتاب المصريون القدماء لمنفعة الموتى ، وتتألف من تعويذات ، وتراتيل ، وجمل سحرية ، وأسماء وكلمات ذات قوة معينة ، وصلوات وجدت منقوشة على جدران الأهرامات ، والقبور ، أو مرسومة على الأكفان وللمزيد من التفاصيل عن هذه التعويذات ينظر :

- Budge, The Book of the Dead ; P.I ,
- Murray, op. cit, p. 215 .

المصريين فإن الضمير مستقر في القلب الذي كان موطناً للعقل ، والعواطف ، والرغبات . أما صوت القلب فهو صوت الإله فالسعيد هو من يقود قلبه الى شق طيب من السلوك[1] .

هذا ولم يشغل المصريون أنفسهم بتأملات نظرية عن الخير المطلق القابل للتطبيق تحت كل الظروف وبأي ثمن لأنهم ينطلقون في ذلك من رغبتهم في عمل الخير لأنه سيعود عليهم بالنفع على الفرد ، ولأنّ رضا الآلهة ، والبشر سيكون له ثماره كما أنه يحفظ للإنسان اسماً طيباً بين معاصريه ، وبين خلقه فلا ينسى اسمه[2] .

---

[1] تشرني ، المصدر السابق ، ص107 ، وكذلك : Murray, Ibid, p. 215 .

[2] تشرني ، المصدر السابق ، ص107 .

المعابد

يمكن تقسيم المعابد المصرية – حسب المعبود والموقع – إلى الأصناف الآتية :

1- معابد الآلهة والشمس.

يظهر اقتران واضح بين الجانبين المادي والروحي في المعابد المصرية القديمة ، إذا ما القينا نظرة خاصة على التصورات المادية عن الآلهة وعلاقة تلك الآلهة بعضها بالبعض الآخر .

فقد اعتقد قدماء المصريين بمجموعة من الصيغ التي أمنوا بفائدتها للميت في حياته بعد الموت ؛ لذا فإنهم أفاضوا على آلهتهم بصفات حكامهم وملوكهم ، وتخيلوها تطعم ، وتسقى، وتكسى وتتصرف ، في شؤون المدن ، وتتحكم في أقدار سكانها . وأصبح وجود البيت الذي تقام فيه تماثيلها وتؤدى في غرفه صلواتها ، والطقوس الدينية من غسل ، ولبس ، وتعطير، وتبخير ، وتناول للطعام ، وخدمة الكهنة امراً ضرورياً لا مناص منه[1] .

فالمصري القديم كان يعتقد بأنَّ الآلهة تتشابه مع الإنسان في حاجاتها ، لذا فإنه افترض أن لها حاجة لوجود بيت خاص بها ؛ كي تقيم فيه مثلما يحتاج الإنسان للبيت كي يقطنه[2] .

يضاف الى ذلك أن الآلهة كانت بحاجة الى معابد كي تعبد فيها في الوقت نفسه الذي عدّت فيه المعابد بمثابة منازل لتلك الآلهة . إلا أن تلك المنازل تختلف عن منازل الأحياء لأنها يراد لها الدوام والخلود ، لذا فإنها لم تبن من اللبن كباقي منازل الأحياء وإنما بنيت بالحجارة ؛ لأنها تدوم مدة أطول[3] .

وقد سميت المعابد بيوت الآلهة ، وحظيت بعناية كبيرة في تشييدها[4] . ولعلَّ في اسم المعبد بالهيروغليفية وهو : (بر) ، وتعني : منزل الإله دليلاً على كون المعابد بيوتاً للآلهة[5] .

ويعزو المصريون القدماء هذا الأمر إلى أن الأرض (Punt) كانت تسمى أحياناً بالأرض الإلهية ؛ لأن الإله (مين – Min) جاء في الماضي السحيق من " بونت – Punt " ومعه آلهة أخرى ، وإن " Punt " ليست مسكناً مؤقتاً للآلهة التي اختارت هذا الاقليم الذي استقرت فيه . كما تم الاعتراف بعبادتها فيه على مر الأزمان ؛ لذا فإنَّ ما قيل : إنَّ إله معين

---

[1] محمد أنور شكري ، بين المادية والروحية في مصر القديمة ، مجلة كلية الاداب (مج2 ، جامعة فؤاد الاول : 1945) ، ع9 ، ص11 .

[2] ميدوكروفت ، المصدر السابق ، ص30 .

[3] فيلسيان شالي ، المصدر السابق ، ص60 .

[4] رزقانه وآخرون ، مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص93 .

[5] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص99 .

يسيطر على منطقة ما ، فهذا يعني – بالضرورة – وجود معبد له فيها ، ولاسيما أنَّ المعبد كان يعني أيضاً بالنسبة للمصريين القدماء مكان تواجد روح الإله[1].

يضاف الى ما تقدم فإنَّ المعبد لم يكن مكاناً للعبادة العامة ، بل كان بكل بساطة القلعة التي يقطنها الإله . أما الكهنة الذين كانوا يخدمونه فإنهم يدعون بخدام الإله ، فهم لم يكونوا يلقون المواعظ . كما إنَّ غالبية المصريين لم يدخلوا فناء المعبد الخارجي ، وكان القليل منهم جداً يشترك في المراسيم التي تجرى داخل المحراب حتى قيام العهد الرمسيسي الذي أصبح يسمح خلاله للناس بالوصول إلى اطراف الدائرة المقدسة ؛ ليتسنى لهم أداء الصلوات ، وتقديم الالتماسات للآلهة والملوك فوق الأبراج ، والجدران الخارجية ، وأمام التماثيل في القاعات الرئيسة، ففي الكرنك كان هناك تمثال " لرمسيس الثاني " باسم "سامع الصلوات"، وهنالك بوابات ضخمة متعددة سميت " منافذ تعبد الشعب "[2] .

إلاَّ أنَّ المعبد قد تجاوز بعد مدة مهمة كونه بيتاً فقط للإله ، فأصبح موضعاً لعبادة الإله على الأرض ، ومكاناً لاجتماع المتعبدين ، واقامة الصلوات ، وتلاوة التراتيل ، وتقديم النذور والقرابين له ، والاحتفال بأعياده ، وتأدية الشعائر والطقوس الخاصة به ، وحفظ أمواله وموارده الثمينة[3] .

ويحوز المكان الذي يشيد عليه المعبد على القدسية ، ويظل محتفظاً بها حتى ولو أقيم على انقاض معبد قديم وهذه ظاهرة كثرت في مصر فنجم عنها قلة المعلومات عن معابد عهدي الدولتين القديمة والوسطى[4] .

أما صفة المعابد فانها تباينت بين العصور المختلفة . فلم يكن المعبد في بداية الأمر إلاَّ كوخاً بسيطاً من القصب ، أو من الخشب ذو سقف مقبى[5] إذ بنيت معابد الآلهة في أول الأمر من القصب ، أو من أغصان صغيرة من بعض الأشجار ربطت معاً، ونصبت في مواضع معينة بالاستعانة بأوتاد خشبية داخل الأرض وهي دائرية الشكل وفي مدة متأخرة تم استعمال فتحة الكوخ بمثابة باب أضيف إليه باب أخر قائم الزاوية ، فيما وضع رمز الإله في

---

[1] Montet, op. cit, p. 143 .

[2] اليزابث رايفشتال ، طيبة في عهد امنحوتب الثالث ، ترجمة : ابراهيم رزق ، (بيروت : 1967) ، ص ص243–244 .

[3] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص82 .

[4] المصدر نفسه ، ص82 .

[5] رزقانه وآخرون ، مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص93 .

قمة هذا الكوخ من الداخل ، ثم اضيفت له طارمة ودرج[1] ، ويتقدم هذا المعبد فناء يقوم على مدخله عمودان تعلوهما شارتان (علمان)[2] .

أما الموضع المقدس في المعبد فيحاط بسياج يحول دون مرور من لا يحمل اذناً بذلك. ومع بداية الدولة القديمة أصبح المعبد يبنى من اللبن ، ومواد أخرى أشد صلابة ، كالحجر الجيري ، والكرانيت أيضاً وقد زين داخله بالأعمدة ، ونقشت جدرانه بالنقوش البارزة[3] .

ولم يبق من معابد الآلهة في الدولة القديمة غير أطلال أحد معابد الشمس في عهد الأسرة الخامسة الذي كان يتألف من طريق صاعدة تؤدي إلى فناء واسع مكشوف ، تقوم في مؤخرته مسلة ذات قمة مذهبة ، تستقر فوق قاعدة مرتفعة ، يقع أمامها مذبح للقربان[4]. تضم أرضيته عدداً من القنوات المتوازية ؛ لتسمح بتسرب دماء الحيوانات الذبيحة التي تتدفق في عشرة أحواض تقع شرق المذبح[5] . فيما كانت هناك سفينة خشبية كبيرة خارج المعبد نصبت فوق قاعدة من اللبن ترمز الى إحدى سفينتي الشمس ، وقد زينت الجدران بنقوش ذات ألوان زاهية متنوعة تمثل الحياة في الفصول الأربعة[6] ، مثل : نمو النبات ، وتناسل الحيوان ، ومختلف أعمال الناس[7] .

وتختلف معابد الشمس هذه في تخطيطها عن المعابد المصرية بوجه عام في العصور اللاحقة فهي تفتقر إلى شيء يعد مهماً ومقدساً جداً في المعابد الأخرى ، هو : تمثال الإله المحجوب في غرفة مظلمة ، وعوضاً عن ذلك انتصب معبد الشمس قائماً وسط فناء واسع محاط بممر حجري – كما تقدم[8] – .

وهكذا كان معبد الشمس مكشوفاً أمام أشعة الشمس ، وكانت القرابين تقدم فيه للشمس وفي وضح النهار أمام رمزها المقدس (المسلة)[9] ؛ لاعتقاد الناس أنَّ المسلة مسكن الإله ؛

---

[1] بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص154 .

[2] رزقانه وآخرون ، مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص93 .

[3] استيندرف ، المصدر السابق ، ص60 .

[4] رزقانه وآخرون، مصر والشرق القديم، المصدر السابق ،ص93 ، وكذلك: باقر،المصدر السابق ،ص17.

[5] تشرني ، المصدر السابق ، ص161 .

[6] رزقانة وآخرون ، مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص93 ، وكذلك : باقر ، المصدر السابق ، ص117 .

[7] ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص ص302–303 .

[8] المصدر نفسه ، ص303 .

[9] رزقانه وآخرون ، مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص94 .

لذا حق عليهم عبادتها[1] . على عكس معابد الآلهة الأخرى التي كانت تؤدى فيها الطقوس في أماكن مسقفة يكتنفها الغموض والظلام[2] .

وكان الجزء الأهم في معابد الدولتين الوسطى والحديثة يتمثل بقدس الأقداس ، وهو: عبارة عن غرفة ضيقة ، عميقة ، دون نوافذ ، يغمرها الظلام ، تمثل المثوى الخاص بالآلهة، لا يدخلها أحد إلاَّ الملك والكهنة ممن كانوا يؤدون الخدمة المقدسة ، وكان فيها تمثال للإله داخل مقصورة فوق قارب خشبي ، أو حجري ، وتتوزع حول قدس الأقداس غرف تحوي ثروات الإله ، وطعامه ، وملابسه ، وعطوره وتنتشر منازل الكهنة ، والحدائق والبحيرة المقدسة للمعبد في المساحة الواقعة بين المعبد وحائطه الخارجي[3] .

وفي الدولة الوسطى كان معبد الشمس يتألف من مدخل هو عبارة عن مساحة واسعة مستطيلة محاطة بجدارين مرتفعين ، يلي ذلك دهليز مغطى بسقف مرفوع بعمودين ، يلي ذلك الهيكل الذي يشتمل على ردهة واحدة تعقبها ثلاث غرف مخصصة للتماثيل[4] . يدخلها الضوء من خلال غرف صغيرة مربعة تقع أسفل السقف . يضاف الى ذلك أن المعبد كان له بوابة ضخمة ينتصب على جانبيها صرحان ، يقع خلفهما فناء مفتوح له ثلاث جوانب إضافة الى المذبح الموجود في مركز الفناء[5] .

أما معابد الآلهة الأخرى فكانت بهيئة شرفة مفتوحة ، مستطيلة الشكل ، ذات أعمدة مربعة ، يصل بين كل عمود وأخر حائط منخفض ، ولبلوغ هذه الشرفة هنالك سلم في منتصف منحدر يصعد إلى منتصف كل من الضلعين العريضين الصغيرين ، وعند منتصف كل من حافات السقف يبرز ميزاب في هيئة رأس أسد ، فيما يتواجد المذبح وسط الشرفة حيث يوجد رمز الإله أيضاً[6] . وشاع في الدولة الوسطى المعبد المحاط بالأعمدة ، وهو : معبد صغير يقوم على قاعدة يُرتقى اليها بواسطة سلمين متقابلين ، ويحيط به أعمدة يجمع اجزاءها السفلى معاً جدار قصير بحيث يكون المعبد مكشوفاً من جوانبه الأربعة إلا قليلاً وتتوسطه في العادة قاعدة يستقر عليها الزورق المقدس[7] .

---

[1] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص192 .

[2] رزقانه وآخرون ، مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص94 .

[3] تشرني ، المصدر السابق ، ص ص162-163 .

[4] المصري ، المصدر السابق ، ص41 .

[5] تشرني ، المصدر السابق ، ص162 .

[6] محمد أبو المحاسن عصفور ، بين الفنون والبيئة في كل من العراق ومصر في عصورها القديمة ، مجلة كلية الآداب ، (جامعة الاسكندرية : 1967) ، ع11 ، ص235 .

[7] رزقانه ، حضارة ما قبل التاريخ (حضارة مصر والشرق القديم) ، المصدر السابق ، ص211 .

فيما تألفت معابد العصر الإمبراطوري من الممر المؤدي إلى المعبد ، وهو : طريق مبلط يصطف على جانبيه صفان من تماثيل أبي الهول وتنتصب أمام المعبد بوابة ، أو بوابات ضخمة ، ترتفع مع الأبراج الحجرية المحيطة بميل وانحدار قليل ، وهي : أبراج يراد بها اثارة الرهبة والزينة فالجدران الملونة ، وساريات الأعلام ، والمسلات المنتصبة أمامها تؤكد قدسية الموضع ، يلي تلك الأبراج ساحة المعبد الواسعة التي تحيط بها أعمدة ضخمة . أما مدخل القاعة المؤلفة من الأعمدة فيقع في الجدار الخلفي لهذه الساحة ، وتستمد نورها من نوافذ في السقف ، وتقام الاحتفالات الدينية الخاصة بالإله وتقدم القرابين في هذه الساحة والقاعة[1] اذ يسمح للعامة بالدخول الى هذا الموضع[2] .

أما مقر الإله فكان في المقصورة الوسطى المؤلفة من ثلاثة مقاصر صغيرة مظلمة خلف قاعة الأعمدة ، وكان يوضع في المقصورة الوسطى قارب الإله وتمثاله ، فيما خصصت المقصورتان الجانبيتان لزوجة الإله وابنه ، وهذه المقاصير الثلاث هي الجزء الأكثر قدسية في المعبد فهي قدس الأقداس[3] . ويوجد على جانبي المذبح غرف للخزن إذ تحفظ فيها كل مستلزمات الاحتفالات ، والطقوس الدينية[4] .

يضاف الى ذلك أنَّ هنالك غرفاً صغيرة لحفظ الملابس ومجوهرات الإله فضلاً عن الحبوب والفواكه والنبيذ[5] ، ومخازن للغلال ، وحظائر وحدائق ، حتى أصبح المعبد أشبه بمدينة صغيرة[6] . وخلال احتفالات مهيبة كان يسمح للعابدين أن يروا وجه التمثال الذي يمثل يمثل الإله نفسه[7] . يضاف الى ما تقدم أن هنالك ملحقات أخرى بالمعابد ، منها : البحيرة المقدسة التي يفترض أن يغتسل بها زوار المعبد ؛ لأنَّ موضوع النظافة الشخصية مهم بالنسبة للإله ، وللناس على حد سواء[8] . وان هنالك ما يسمى بالشرفة التي تعد المكان المناسب ، والممتاز لمشاهدة الاحتفالات التي تجرى خارج المعبد[9] .

---

(1) باقر ، المصدر السابق ، ص ص117-118 .

(2) بودج ، السكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص156 .

(3) باقر ، المصدر السابق ، ص118 .

(4) William. A. Ward, The Spirit of Ancient Egypt, (Bierut ; 1965), p. 140 .

(5) استيندرف ، المصدر السابق ، ص64 ، وكذلك : تشرني ، المصدر السابق ، ص163 .

(6) بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص156 .

(7) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص83 .

(8) بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص156 .

(9) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص95 .

وكنتيجة طبيعية لتطور تخطيط وعمران المعابد ، ومحتوياتها ، وطقوسها ، تطورت طقوس خاصة بتأسيس تلك المعابد . حيث يحضر الملك ، او كبير الكهنة ، وكاتب الأسفار المقدسة إلى الموضع الذي تم اختياره لبناء المعبد ، فيركز الملك عصا في أرضية أركان الموضع الأربعة الذي تم اختياره في الليلة السابقة من خلال تحديد المحور القصير للمعبد من الشمال للجنوب بين مجموعة الدب القطبي والجوزاء ، يلي ذلك وضع القرابين (رأس اوزه وثور) في حفرة في الأرض ، فيرشها الملك بالماء ، ثم تصنع أربعة قوالب لطابوق البناء التي يملأها الملك بالطين ، وتحفر قناة بفأس حتى يتم الوصول الى المياه الجوفية ، فتملأ القناة بالرمل ، وينتهي الاحتفال بوضع اللبنات الأولى في الأركان الأربعة للمعبد وتوضع نماذج صغيرة من أدوات عمال البناء تحت جدران المعبد[1] .

أما بعد انتهاء أعمال البناء ، فيأتي الملك وبيده عصا طويلة ، ودبوس قتال ، فيقوم بطلاء المبنى بمادة (البسن – Besen) ، وهي : نوع من الطباشير بقصد التطهير الرمزي ، كان ذلك في العصور المتأخرة ، يلي ذلك تسليمه المعبد للإله وهو الأمر الذي يجرى سنوياً في اليوم السابق لأول أيام العام الجديد . وأهم طقوس هذا الاحتفال ، هو : أداء شعائر فتح الفم في كل غرفة من غرف المعبد ، وتتجدد الحياة كل يوم[2] بالخدمة الدينية اليومية ، ثم تقام تقام وليمة للفنيين والصناع والبنائين والكهنة .

أما زخرفة المعابد فلم تتغير ، إذ تم تمثيل الأعمال الرائعة للملك الحاكم على الجدران الخارجية للمعابد ابتداءاً من الأسرة التاسعة عشرة[3] وهو ما لا يرسم في الداخل ؛ لأنَّ المصريين القدماء يعدون الموضع الداخلي للمعبد مكاناً أقدس من أن ترسم فيه صور الحروب مثلاً[4] ، أيضاً احتوت تلك الجدران الخارجية على نقوش تاريخية ، مثل : مناظر البعثة التي أرسلتها الملكة " حتشبسوت " إلى بلاد " بونت " على معبد الدير البحري[5] .

فيما يقتصر الموضع الداخلي للمعابد على النقوش المتصلة بالعبادة ، وتلك التي تصور ما يحدث يومياً في قاعات المعبد[6] ، وتشير زينة أسفل جدران المعبد الى الأرض والنيل بينما

---

(1) تشرني ، المصدر السابق ، ص ص163–164 .

(2) المصدر نفسه ، ص165 .

(3) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص190 .

(4) جيمس بيكي ، مصر القديمة ، ترجمة: نجيب محفوظ، (القاهرة: مطبعة المجلة الجديدة، د.ت)، ص59 .

(5) محرم كمال ، تاريخ الفن المصري القديم ، (مصر : دار الهلال ، 1937) ، ص ص158–159 .

(6) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص83 .

بينما يمثل سقف المعبد من الداخل السماء وقد انتشرت عليها النجوم ، وحلقت فيها العقبان[1] .

وإذا ما ظهرت صور للملك في داخل المعبد فإنَّ ذلك عائد الى علاقاته مع الآلهة فهو إله ، وابن إله ؛ لذا فإنَّه جديرٌ بالاتصال بالالهة وبالبشر الذين يحكمهم[2] .

فقد رسمت الكثير من المناظر بقصد الزخرفة ليس اكثر ، رغم أنَّ هنالك الكثير من تلك المناظر المرتبطة بالطقوس الدينية ، ومثال ذلك : صورة الإلهان "حورس" و"تحوت" وهما يصبان الماء المقدس على الملك الذي يسير بعدها الى الحظرة الإلهية مطهراً من كل غبار الحياة اليومية ، أو نراه في قدس الأقداس يؤدي كل أنواع الطقوس الدينية أمام المركب المقدس ، وهو أمر ثابت لا يحصل فيه تغير ؛ لذا فإنَّ هذه المناظر تتكرر في العادة[3] .

ومن بين المواضيع المكررة أيضاً صورة الملك الذي يرتدي رداءه التقليدي ، ويقف أمام آلهة المعبد والإله الشمس الذي بني له المعبد حيث يقدم له هذا الإله ، رمز الحياة، وتباركه الآلهة الأُخرى[4] .

ويتضح من قراءة الرموز الهيروغليفية على هذه الأمور ، أو عند التأمل في الصور والنقوش البارزة على الجدران في المعابد الرئيسة ، أنها لا يراد بها إلاَّ تخليد ذكرى الفرعون الحاكم[5] ، وهذا الأمر يتأكد لنا من خلال ملاحظة تحول تسمية المعابد من أسماء الآلهة إلى أسماء الملوك الحكام ، ومثال ذلك : معبد " سبك " في "شدت" عاصمة الفيوم في عصر "امنحوتب الثالث " ، ومعبد رمسيس الثالث[6] .

اما بالنسبة لتماثيل المعابد فإنّها كانت في عصر الدولة القديمة رديئة ، وذات أشكال بشرية ، أو حيوانية ميزت بتيجان من حزم القش ، وقرون الخراف والأبقار وريش النعام . وكانت الآلهة تحمل عصا اعتيادية[7] . إلاَّ أن النحت بلغ ذروته في السلالة الثانية عشرة فقد صور فراعنة المملكة القديمة كمخلوقات هادئة عديمة الإحساس وشخوص محفورة جيداً[8]، ومثال ذلك : وجود تمثال أو تمثالين للملك الذي أمر ببناء المعبد يصور الملك وهو جالس

---

(1) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص191 .

(2) تشرني ، المصدر السابق ، ص165 .

(3) استيندرف ، المصدر السابق ، ص ص66-67 .

(4) باقر ، المصدر السابق ، ص118 .

(5) استيندرف ، المصدر السابق ، ص67 .

(6) ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص307 .

(7) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص82 .

(8) بوترو وآخرون ، المصدر السابق ، ص382 .

على عرشه ، واضعاً تاج مصر على رأسه وكذلك تمثال رمسيس الثاني القائم امام أحد معابد طيبة [1] .

في حين صور نحاتو المملكة الوسطى ملوكهم رجالاً طبعت وجوههم بخطوط تقلبات الحياة والسلطة فهي مأساوية ومتألمة في الغالب كتماثيل " سن أوسريت الثالث " و" امنمحات الثالث " شاهداً على انسانية الفن المصري[2] .

ومنذ السلالة التاسعة عشرة أصبحت التماثيل الضخمة الخاصة بالملوك تنصب أمام جدران صرح المعبد أو داخله لغرض حراسة المعبد الذي قاموا ببناءه وانتشرت في أجزاء المعبد الأخرى تماثيل أخرى للملك أصغر حجماً تمثله يصلي ، أو يقدم القرابين للآلهة يضاف الى ذلك فإنَّ المعبد يحوي تماثيل الآلهة الأُخرى[3] .

هذا وقد حازت الكثير من الصور والتماثيل الموجودة في المعابد على القدسية لأنّ المصريين القدماء اعتقدوا بأنَّ الإله سوف يسكنها واذا وصلت الروح المقدسة جسد الإله فإن الأمور في البلاد سوف تسير بشكل طيب ، أما إذا ما أهملت عبادته فإنَّ الإله قد يهجر صورته فتحل الكوارث بالشعب صغاراً وكباراً[4] .

2- معابد الأَهرام :

وتنقسم الى قسمين هما :-

أ- المعبد الجنائزي :

وهو المعبد المتصل بالهرم ، وهو خاص بالكهنة وأقارب الملك المتوفى وأهم أقسامه هي: الحجرة الرئيسة التي يوضع بها الشاهد ، ويستخدم هذا المعبد لعبادة الفرعون ، وإقامة الشعائر الخاصة بذلك ، ويعد هذا المعبد المعبد الرئيس . فهو معبد مهيب وفخم ، مزين بالمنحوتات والنقوش ابتداءاً بالأسرة الخامسة ؛ لأن معابد الأسرتين الثالثة ، والرابعة كانت خالية من النقوش والصور[5] .

ويحتوي هذا المعبد صنوفاً من الأعمدة المزخرفة البديعة ، فقد شيد لعبادة الملك بعد مماته ، وتقديم ما يحتاجه من القرابين . فيما حفرت في هذا المعبد حفرتان كبيرتان في

---

[1] بيكي ، المصدر السابق ، ص58 .

[2] بوترو وآخرون ، المصدر السابق ، ص382 .

[3] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص83 .

[4] رايفشتال ، المصدر السابق ، ص ص244-245 .

[5] صابر ، المصدر السابق ، ص102 .

الأرض الحجرية إضافة الى حفرة اخرى قرب المعبد على هيئة سفن . إذ اعتقد قدماء المصريين بأن الفرعون المتوفى يستعملها في سفراته في العالم الثاني خلال مرافقته للإله الشمس في رحلته اليومية في السماء فضلاً عن حاجة الملك المتوفى لهذه السفن في حجه الى مقام "اوزيريس" في أبي صير[1] .

ومن نماذج هذا النوع من المعابد ، المعبد الجنائزي لهرم " خفرع " الذي كان مدخله ذو الممر المتعرج الممتد بينه وبين معبد الوادي يحول دون رؤية قدس الأقداس للقادم من هذا المدخل الشرقي ، وفي المعبد غرفة للبواب وبعض الغرف للمخازن وإنَّ لهذا المعبد بهوان مختلفا المساحة ، يصل بينهما سرداب يؤدي الى الساحة الفسيحة المكشوفة أمام الهرم[2]. وله أيضاً ممر ذو ثمانية أبواب نقشت عليها بالهيروغليفية الملونة بالأخضر والأزرق . ويؤدي هذا الممر إلى خمس غرف صغيرة مرتفعة ، تحوي كلٌّ منها تمثالاً للملك ، تكتنفها مجموعة أُخرى من الغرف ، وفي مقابل الحائط الغربي يقع قدس الأقداس الذي كان فيه كوة غير نافذة بها باب وهمي ، وشاهد حجري وللمعبد في زاويته الجنوبية الغربية مدخل ثانٍ خاص بالزوار القادمين إلى المعبد بغير طريق الوادي من جهة الصحراء[3].

اما أهم المعابد الجنائزية في الدولة الوسطى فهو معبد " امنحوتب الثاني " الذي بني بالقرب من هرم مقبرة الملك[4] ، وهو : عبارة عن ساحة فسيحة يمتد منها منحدر ينتهي إلى شرفة تحمل بناءاً مربعاً يتقدمه بهو غير مسقوف ذو صفين من الدعائم ، فيما يتواجد فوق الشرفة السفلى بناء أخر متراجع يضم ردهة داخلية ذات أعمدة على ثلاثة من جوانبها . وفي داخل البناء يمتد دهليز يحاذي الحائط الخارجي من ثلاثة جوانب وتضم ثلاثة صفوف من الأعمدة ، اما الجانب الرابع فليس فيه سوى صفين فقط كما توجد كتلة من البناء فوق البناء الثاني تشكل قاعدة الهرم ، تقع خلفها فتحة تنزل الى الصخر ، يليها دهليز طويل كسيت جدرانه بالحجر الرملي الارجواني ، وفي نهايته حجرة الدفن الكرانيتية ، وفي وسطها تابوت من المرمر أمّا تمثال الملك فموجود في هيكل مقطوع في الصخر[5] .

فيما أقام ملوك الدولة الحديثة معابدهم الجنائزية على حافة الهضبة غربي طيبة اذ كانت تقع في صف طويل يمتد من الشمال إلى الجنوب[6] ، ويفصلها عن المقابر الملكية الجبل

---

[1] باقر ، المصدر السابق ، ص44 .

[2] صابر ، المصدر السابق ، ص157 .

[3] صابر ، المصدر نفسه ، ص158 .

[4] بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص175 .

[5] المصري ، المصدر السابق ، ص42 .

[6] رزقانه ، حضارة ما قبل التاريخ (حضارة مصر والشرق القديم) ، المصدر السابق ، ص217 .

الجبل المطل على الوادي ويعد معبد " امنحوتب الأول " أقدمها ، ويلاحظ على معابد ملوك الأسرة الثامنة عشرة أنها قد بنيت الى جانب بعضها البعض . فيما امتدت في عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة من الشمال الى الجنوب بين المعابد القديمة[1] .

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه المقابر الجنائزية كانت تشبه إلى حد كبير معابد الآلهة؛ لأن الملوك كانوا يؤلهون بعد مماتهم فضلاً عن تأليه بعضهم لنفسه في حياته . إلاَّ أنَّ ذلك لم يمنع عدم تخصيص العبادة في المعابد الجنائزية للملوك فقط ، بل تعدتها إلى عبادة الإله الرسمي للدولة ، وبعض الآلهة الرئيسة الأخرى مثل " رع حور ختى ، واوزيريس "[2] .

ومن أهم تلك المعابد : معبد الدير البحري الذي يقع في كنف جبل سامق وقد بني على تلاله مسطحات عظيمة ، يعلو كل منها الآخر ، وينتهي كل منها برواقين بينهما طريق صاعد يؤدي الى المسطح التالي[3] . وقد وصفته " حتشبسوت " بإنَّه " فردوس آمون ". أما معبد " تحوتمس الثالث " الجنائزي فقد بني الى الشمال من الرمسيوم ، وبني معبد " تحوتمس الرابع " جنوبه فيما يعد معبد " امنحوتب الثالث " من أعظم المعابد الجنائزية وأضخمها ، أما معبد " رمسيس الثالث " في مدينة " هابو " فهو يعد أفضل المعابد الجنائزية التي شيدها ملوك الدولة الحديثة[4] .

ب- معبد الوادي

وهو معبد خاص بالشعب ، جرت العادة أن يتألف من قاعة كبيرة ، محاطة بممرات، تتوزع في حجراته المفتوحة تماثيل الملك المتوفى الضخمة والنفيسة[5] .

ولما كان المعبد الجنائزي ، ومعبد الوادي بعيدين عن المدينة الملكية الواقعة في الوادي إلى الشرق من الهرم فإنهم وصلوا بين الإثنين بطريق مسقوف طويل ينحدر من المعبد الجنائزي الى معبد الوادي وهو طريق طويل من الحجارة المنحوتة بمنحوتات مختلفة[6] .

---

(1) عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص334 .

(2) المصدر نفسه ، ص334 .

(3) رزقانه ، حضارة ما قبل التاريخ (حضارة مصر والشرق القديم) ، المصدر السابق ، ص217 .

(4) عبد الحليم ، مصر القديمة المصدر السابق ، ص ص334-336 .

(5) صابر ، المصدر السابق ، ص105 .

(6) باقر ، المصدر السابق ، ص45 .

واحتوت معابد الـوادي على بهو ذا أعمـدة جميلة ، وقاعة للحفلات التي كانت تقـام أمام السرداب الخاص بتمثال الملك؛ كي تطيب نفسه بالإشتراك في الحفلات، لاسيما في قاعـة الاحتفال باليوبيل الملكي ، أي ذكرى تتويجه يضاف الى ذلك وجود معابـد صـغيرة أخـرى للصلاة[1] .

ومن نماذج هذه المعابد معبد الوادي للملك " خفرع " الذي كانت واجهته تشبه في بنائها المصطبة ، وأمامها تمثال فرعون ، وعلى جانبي المدخل يمر بدهليز يوصل الى ردهة بشـكل حرف T طولها أربعة وعشرون متر مسقفة بست عشر عمود مربع من الكرانيـت الـوردي بارتفاع خمسة امتار[2] . وتضاء الردهة من فتحات مستطيلة منحرفة في السـقف ، أو علـى الجدران ، وليس في الردهة أو الدهليز أيَّ نقوش ، أو صور ، وكذلك الأمر مع الجدران فقـد أراد المصريون القدماء ان يتناسب ذلك مع الفلسفة الدينية للمملكة في الدولـة القديمـة التـي قالت: " بأن حق الملك المقدس يرقى به الى مركز الألوهية بعد موته، فهو إله في الآخرة كما كان في الدنيا " إذن فلا حاجة لتلك النقوش السحرية لتحميه في الحياة الآخرة[3].

ويوجد أمام الحائط ثلاثة وعشرون تمثال للملك " خفرع " ، وهو جالس موزعة علـى أنحاء المعبد ، وقد ظهرت على ملامحه سيماء الجلال ، والملك ، والقوة ، كما يظهر الملـك "خفرع" جالساً ايضاً على عرشه ، ووقف خلفه الإله " حور "[4] .

وفي الزاوية الغربية توجد مخازن المعبد . اما في الشمالية الغربية فتوجد غرفة البواب يقابلها طريق مائل يؤدي الى سطح المعبد الذي بنيت أرضيته وحوائطه مـن المرمـر . أمـا داخله فمن الحجر الجيري ، فيما كسي خارجه وأعمدته وعوارضه وكل الظاهر منه من أسفل بصخور الكرانيت الأحمر أو المرمر ، وللمعبد أيضاً في جانبه الغربي منزلق طويل مرصوف بحجارة جيرية ضخمة ، مسور ومسقوف ، مضاء بفتحات صغيرة[5] .

أما في عهد الدولة الوسطى فقد لوحظ الاحتفاظ بالممر بين المعبدين ، وتماثيل الملـك الإله لاسيما " اوزيريس "[6] .

---

[1] للتفاصيل ينظر : صابر ، المصدر السابق ، ص ص107-126 .

[2] المصدر نفسه ، ص153 .

[3] المصدر نفسه ، ص155 .

[4] المصدر نفسه ، ص155 .

[5] المصدر نفسه ، ص ص156-157 .

[6] المصري ، المصدر السابق ، ص42 .

3- المعابد المصرية خارج مصر

وهي معابد مصرية بنيت خارج مصر ، لاسيما في بلاد النوبة (جنوب مصر) التي روعي فيها أن تكون أماكن حصينة ، وأن تنحت بأكملها في الصخر مثل معابد أبو سمبل[1]، أو أن يبنى الجزء الأمامي منها ، ثم تنحت بقية المعبد في الصخر مثل معابد " بيت الوالي"، وجرف حسين ، والسبوع ، والدر[2] .

ولم تختلف هذه المعابد في تخطيطها العام عما هو مألوف من معابد في الدولة الحديثة الأخرى إلاَّ في بعض التفاصيل الداخلية قليلة الأهمية ، فجميع المعابد المصرية من غير استثناء صممت على خط مستقيم ، أي أنَّ مدخلها ، واقدس مكان في نهايتها (قدس الاقداس) يكون على محور واحد ، وتتماثل الاجزاء المتقابلة على جانبي المحور بشكل تام[3] .

الكهنوت

لما بدأ تنظيم المجتمع البشري ، ونشأت سلطة الدولة ، توجب وجود زعيم قوي دينياً، ودنيوياً في وقت تملكت الرهبة نفوس البدائيين من قوى الطبيعة المحيطة بهم ، فتوجهوا طالبين العون ، والمواساة ؛ لتخفيف آلامهم وخوفهم ، من رجال الدين الذين اقترن وجودهم بالآلهة المختلفة فنشأت العبادة ، والمعابد ، والتسلسل الكهنوتي بشكل عام[4] .

يضاف الى ذلك أنَّ الناس أخذوا بعد حين يحضرون الى المعبد قرابينهم من الطعام، والشراب والمنسوجات ؛ تقرباً للإله الذي يعبدون ، في وقت كانوا يجدون فيه صعوبة في التعبير عن أفكارهم بكلمات عند تعبدهم ، فجعلوا الرجال الحكماء (رجال الدين) يفعلون ذلك نيابة عنهم ، وبهذه الطريقة بدأت طبقة من الناس تسمى بالكهنة ، تظهر بشكل أكثر وضوحاً[5] . على الرغم من أنَّ ذلك لا يعني تعقد وظائف الكهنة ، والتفرغ للكهانة في العصور القديمة ، بل ان العادة جرت على أنَّ يشغل هذه الوظائف أغلب الناس من ذوي

---

(1) للتفاصيل عن معبد أبي سمبل ينظر : مختار السويفي ، مصر والنيل في أربعة كتب عالمية ، ط4 (العربية للطباعة والنشر ، 2000) ، ص172 .

(2) عصفور ، المصدر السابق ، ص235 .

(3) عصفور ، المصدر نفسه ، ص235 .

(4) نور الدين حاطوم ، لقاء الحضارات ، المجلة التاريخية المصرية ، (مج13 ، القاهرة : 1967) ، ص18.

(5) ميدكروفت ، المصدر السابق ، ص30 .

المكانة في المجتمع ، الى جانب أعمالهم ووظائفهم الأُخرى[1] ، فالقضاة مثلاً كانوا كهنة إلـه العدل ، وكان الأطباء كهنة الإله "سخمت "[2] .

ولأنَّ الملك قد ورث كهانة المعبودات المختلفة في البلاد عن حكام المـدن والأقـاليم ؛ اصبح له من الناحية النظرية حق القيام باداء الطقوس الدينية للآلهة جميعاً ، وهو الأمر الـذي لم يكن ممكناً من الناحية العملية ، لاسيما مع تعدد المعبودات ، وانتشار معابدها فـي انحـاء البلاد ، وكثرة الطقوس المقترنة بها فضلاً عن كثرة المهام التي اضطلع بها الملك[3] .

لذا من الطبيعي أن يكلف الملك بعض المقربين منه لهذه المهـام المقدسـة ، وتعيـين رؤساء الكهنة من بينهم ، يعاونهم في ذلك الكهنة الأخرون من افراد الطبقات العليا ممن تلقـوا تعليماً كهنوتياً طيباً[4] ، إلاَّ أن ذلك لم يعد كافياً بمرور الزمن ، فقد كثرت الطقوس الدينية والشعائر والمراسيم المقدسة ، مما استدعى تفرغ عدد أكبر من رجال الدين للخدمة في المعابد فظهرت طبقة الكهنة المحترفين التي زاد عددها منذ عهد الدولة الوسطى ، وتشعبت أعمالهـا، وتعددت خدماتها ، فقد كان بعض الكهنة يقومون بتلاوة الصلوات والادعية المقدسـة ، وإدارة خزينة المعبد . فيما اشتغل بعضهم بأمور الكتابة، وتدوين السجلات[5] ، وأصبح لكـل معبـد مجمع كهنوتي يشرف عليه من الوجهة النظرية أمير الإقليم ، أو حاكم المنطقة التـي يتواجـد المعبد على ارضها[6] .

في غضون ذلك بقي أمر تعيين الكهنة مقصوراً على الملـك ، لاسـيما فـي عصـر الدولتين القديمة ، والوسطى . أما في الدولة الحديثة فقد شكل الكهنة طبقة محـددة وأصـبحت الوظيفة المقدسة في أسرها أمراً وراثياً[7] . فلم يكن لأبناء الكهنة حينما يتقدمون طالبين وظيفة

---

[1] باقر ، المصدر السابق ، ص ص114-115 .

[2] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص76 .

[3] رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، ص94 .

[4] صابر ، المصدر السابق ، ص647 .

[5] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص76 .

[6] باقر ، المصدر السابق ، ص115 .

[7] تشرني ، المصدر السابق ، ص167 .

كهنوتية في معبد إلاَّ أنَّ يذكروا أنهم ابناء كهنة ، يدفعهم في مواصلة هذه الخدمة الفخر الذي يظهرونه وأباءهم بالانخراط فيها ، فيما تبقى موافقة الملك ضرورية فقط لإصدار مرسوم ملكي يعطى بتعيين هذا الكاهن أو ذاك من كبار الكهنة ، أو القيمين منهم على العبادات الكبرى ، فيما خول الملك وزيره بتعيين الكهان ذوي المناصب الدنيا[1] .

يضاف الى هاتين الصيغتين السائدتين في تعيين الكهنة فإن هنالك صيغاً أخرى منها بيع المناصب الكهنوتية ، أو تأجيرها . وهي عادة كانت مألوفة يمكن الإطلاع على تفاصيلها اذا ما ألقيت نظرة سريعة على الألقاب الكهنوتية التي يحملها الشخص الواحد في كثير من الأحيان[2] .

فقد سرت هذه العادة في مصر منذ أيام الدولة الوسطى ، إذ كان المستفيد من ذلك يدفع رسماً يعرف باليونانية – Telestikon – الذي تواصل دفعه في العصر الإمبراطوري ، لاسيما وظائف صغار الكهنة ، أو الكهنة من خدام الإله[3] .

لذلك نلاحظ أنَّ الملك لا يتدخل في مسألة تعيين الكهان إلاَّ بدرجة قليلة . فالأمر كما هو واضح متروك لوزيره ، ولكبار الكهان ، ومجامعهم ، مع أنَّه يعمد أحياناً الى تعيين هذا الشخص ، أو ذاك بصفة كاهن تكريماً له ومكافأة ، أو انه يعمد إلى إصدار أوامره ؛ لأسباب سياسية بعزل هذا الكاهن أو ذاك بقصد تغيير ميزان القوى بين الكهنة أنفسهم ، أو بينهم وبين الملك[4]. فبمرور الزمن ازداد عدد الكهنة، وازداد نفوذهم وتدخلهم في رسم سياسة الدولة[5]، الدولة[5]، لاسيما مع افصاح عدد منهم عن كرهه وحقده على الملك الذي كان يضيف أحياناً الى قرار عزل الكهنة قراراً بمصادرة أملاك الاخيرين[6]. بعد أن تثبت للملك حياكتهم للمؤامرات؛ للقضاء عليه ، ومثال ذلك ما حصل مع اخناتون[7] . ففي غضون ذلك كان الكهنة الكهنة وبالتحديد كهنة " أمون " يتطلعون للسيطرة على مقاليد الأمور ، متسترين وراء الأساطير التي يروونها للناس عن معبوداتهم ، فانصرفت جهودهم لتوطيد سلطانهم ، وتكديس

---

[1] سيرج سونيرون ، كهان مصر القديمة ، ترجمة : زينب الكردي ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975) ، ص ص50–51 .

[2] رايفشتال ، المصدر السابق ، ص254 .

[3] سونيرون ، المصدر السابق ، ص51 .

[4] سونيرون ، المصدر نفسه ، ص51 .

[5] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص164 .

[6] مري ، المصدر السابق ، ص309 .

[7] للتفاصيل ينظر : ابو بكر ، المصدر السابق ، ص ص 78–79 .

الأموال والثروات[1] ، ومن الجدير بالذكر أن ثروة آمون في عهد " رمسيس الثالث " كانت قد بلغت 235000 هكتار ، و 81000 عبد ، و5000 تمثال ، و421000 رأس من الماشية ، وغير ذلك كثير[2].

وقد اتضحت العلاقة العكسية بين قوة السلطة والفرعون من جهة ، وقوة الكهنة من جهة أخرى في التاريخ المصري القديم . فسلطة الكاهن الأكبر لم تكن هي الفائقة دوماً ، بل كان الكهنة ضعافاً حينما تقوم حكومة قوية . أما في عهد الحكومات الضعيفة فان سلطة الكاهن الأكبر كانت في حالة تزايد في الوقت نفسه الذي توضحت مسألة أخرى ، هي : ان الكهنة لم يكونوا جميعاً يمتلكون حق التمتع بثروة معابدهم ، بل كان عدد المتمتعين بتلك الثروات قليلاً[3] .

ومع مثل هذه المعابد الكثيرة والواسعة والكبيرة ، ذات الأملاك الكثيرة كان من الطبيعي ان تشهد عملاً كثيراً ، ومعقداً ، أكثر مما كان سائداً في المعابد الأكثر قدماً ؛ لذا كان من الطبيعي أن تظهر الحاجة إلى كادر كبير من الكهنة ، والمساعدين ، والموظفين[4] وكان ذلك التوسع مستمراً على الرغم من أنَّ الكهنة لم يتولوا مطلقاً مهمة الوعظ والإرشاد للناس ، أو للفرعون إذا ما ارتكبوا خطأ . ورغم أن الكهانة لم تكن بالمهمة السهلة ، فقد توجب عليهم معرفة كل شيء عن الآلهة التي يخدمونها : أشكالها ، وملابسها ، وصفاتها، وتاريخها ، واعمالها ، والاشياء التي تسعدها او تحزنها مع ضرورة معرفتهم بتفاصيل الصلوات ، والتراتيل المختلفة[5].

ويقع في أعلى سلم مراتب الكهان ، رئيس كهنة الملك الأعظم ، فهو أعلى جميع الكهنة مقاماً ، ويحمل لقب " أمير " ، وهو لقب كان حكراً على أولاد الملك في السلالة الرابعة، وكذلك لقب رئيس " المرتلين " . أما في السلالة الخامسة فقد ظهر بجانب الكهنة المرتلين (خريحاب)[6] الذين كانوا يتولون قراءة التراتيل القديمة في الاحتفالات ممن كانوا يسمون بكتاب الكتاب المقدس ، ويعدون علماء الأدب القديم[7] وظهر الى جانبهم كهنة آخرون هم : (خك نيسوت) أي : مقدمي القرابين ، مع احتفاظ كبار كهنة " بتاح " باللقب نفسه فيما يتولى

---

(1) مهران ، دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم (اخناتون) ، المصدر السابق ، ص69 .

(2) شالي ، المصدر السابق ، ص61 .

(3) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص229–230 .

(4) Williams, op. cit, p. 227 .

(5) Montet, op. cit, p. 146 .

(6) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص88 .

(7) صابر ، المصدر السابق ، ص618 .

رئاستهم أحد الكهنة ، ويتم اختيارهم من بين أكابر رجالات البلد ، لاسيما البلاط . يليهم من حيث الرتبة الكهنة المطهرون المسؤولون عن اقامة الشعائر اليومية الذين كانت لهم إدارة خاصة يرأسها مدير ، ويتم اختيار هؤلاء الكهنة من بين رجال القصر ، وكبار الكهنة في أيام السلالة الرابعة[1] وهم مسؤولون أيضاً عن اختيار سلامة الذبائح من الأمراض[2] والذين اضيفت اليهم جماعة من كبار الموظفين في السلالة الخامسة[3] .

وهنالك الكهنة المعروفون باسم (حم كا) ، أي خدام الروح المادية ، الذين يقيمون الشعائر الملكية في القصر ، ومعابد الهرم الأُخرى التي يوجد فيها مذبح الملك[4] . ويتولى هؤلاء تقديم واحراق البخور للصور الإلهية وقد التحق بهم كهنة آخرون يمارسون أعمالاً خاصة ، كالقارئين ، وحرس المخطوطات المقدسة ، والنحويين الهيروغليفيين والمؤقتين (الساعاتيين) الذين كانوا يحددون ساعات اقامة طقوس العبادة اليومية ، وتواريخ الأعياد بالنظر الى السماء[5] .

اما معابد المقابر فكان فيها سلك أخر من الكهنة يطلق عليهم " سم " وهم مختصون بطقوس عبادة الأموات ، وكانوا يشتركون في الشعائر المقامة للملوك الراحلين ، ويرأسون مراسم الدفن لقاء أجر ، وإقامة الاحتفالات الدورية التي يعتقد بأنَّها تجدد الحياة للموتى الأقل شأناً في مدينة الأموات[6] . وكان من واجب هذا الصنف من الكهان ، حمل وتقديم القرابين، ورفع أذرعهم في مستويات وصيغ محددة وتوفرت المعابد الجنائزية على هيئة دائمة للمعبد ومثال ذلك : المعبد الجنائزي " لسنوسرت الثالث " التي تكونت من الخادم الأكبر للإله ، والمذيع ، وسيد الأسرار ، وحافظ مخزن الملابس ، وسيد القاعة الفسيحة ، والمشرف على هيكل القرابين ، وكاتب المعبد ، وكاتب المحراب ، والكاهن المرتل . ومعظم هؤلاء يتولون مهام إدارية أما باقي الكهنة ، مثل : كهنة الساعة ، فكانوا يشكلون مجموعات ، تقوم كل مجموعة بالخدمة لمدة شهر ضمن دورهم في المعبد[7] . ويصح الأَمر ايضاً مع كهنة معابد الآلهة .

---

(1) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص88 .

(2) صابر ، المصدر السابق ، ص668 .

(3) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص88 .

(4) المصدر نفسه ، ص88 .

(5) رايفشتال ، المصدر السابق ، ص250 .

(6) المصدر نفسه ، ص ص250-251 .

(7) تشرني ، المصدر السابق ، ص ص167-168 .

أما أهم الأمور والشروط الواجب توفرها في الكهنة ، فهي : الطهارة الجسدية التي اشترط فيها حلاقة رؤوس الكهنة وأجسادهم كاملة بقصد النظافة كل ثلاثة أيام ثم دهنها بالزيت، وتوضؤهم في حقب معينة ليلاً ونهاراً . كما لم يكن يسمح لهم إلا بارتداء ملابس النسيج الكتاني البيضاء[1] . على الرغم من انهم كانوا في الدولة القديمة لهم نفس لباس ابناء الشعب نفسه واشترط على كهنة الموتى ارتداء الشعر المستعار . واكتفى الكاهن المرتل بوضع رباط عريض حول صدره وكتفه إلا أن ذلك تغير في أيام الدولة الوسطى الى ارتداء نقبة اقدم طرازاً مما يرتديه الحضور . ورغبة في اظهار الورع والتقوى توجب على الكهنة الامتناع عن ارتداء المعاطف ، والأردية المزدوجة ، والملابس ذات الثنيات ، واستثنى ذلك كبار الكهنة فقط[2] .

وبغية بلوغ حالة الطهر اشترط عليهم أيضاً الختان ، وحظر عليهم الاتصال الجنسي بالنساء أثناء خدمتهم . وفيما عدا ذلك فإنَّهم يعيشون حياتهم كباقي الناس[3] .

أما دراسة الكهانة فكانت تتم في مدارس المعابد ، وتجرى الامتحانات خلالها إذ يفترض أن يتعلموا خلال مدة الدراسة : اللغة ، والكتابة ، ومعرفة صور المعبودات ، وألقابها وصفاتها ، وكل ما يتعلق بالطقوس ، والشعائر الدينية ، وعلى أثر نجاح الطالب في الاختبار فإنّه يخلع ملابسه ، ويحلق رأسه ووجهه ، ويتعطر ثم يرتدي ملابس رجال الدين[4] .

أما الطريق لبلوغ منصب رئيس الكهنة فطويل جداً ، ومثال ذلك : ما حصل مع رئيس كهنة " آمون " في طيبة الذي كان ابناً لنبي ثان تلقى تعليمه في معبد " موت "[5] في القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عهد " رمسيس الثاني " وهو : – " ان – خنسو " – الذي تربى تربية حربية في إحدى اصطبلات الفرعون بين سن الخامسة والخامسة عشرة وفي سن السادسة عشرة التحق بخدمة أشهر المعابد التي أصبح فيها كاهناً صغيراً ، وبعد أربعة أعوام اجتاز هذه الدرجة ليصبح في درجة " أب الإله " لمدة أثنى عشر عاماً ، وفي سن الثانية والثلاثين ترقى إلى درجة " نبي " وأصبح رئيساً ثالثاً للكهنة ، ثم نبياً ثالثاً لمدة خمسة عشر عاماً ، ونبياً ثانياً لمدة أثنى عشر عاماً ، ولما بلغ التاسعة والخمسين نصبه الفرعون منصب

---

(1) ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص319 .

(2) المصدر نفسه ، ص ص317–318 .

(3) رايفشتال ، المصدر السابق ، ص ص251–252 .

(4) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص77 .

(5) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص227 .

أول أنبياء " آمون " ورئيس رؤساء كهنة جميع الآلهة وهو منصب لم يبلغه كثير ممن كرسوا حياتهم للكهنوتية ، إذ كان محظوظاً جداً في بلوغ ذلك بكل تأكيد[1] .

مما تقدم يمكننا أنْ نحدد ثلاث طبقات دنيا للكهنة كانوا في خدمة الإله " آمون " : الطبقة الأولى : ويعرفون (بوعب) أي : الطاهرون ، وهم : من كان يسمح لهم بالدخول الى قدس الأقداس ، ويحملون قاربه ، ويفحصون دم الحيوانات ، ويقررون صلاحيتها للذبح . أما الطبقة الثانية فهم (الخرحب) أي : العلماء الذين يكتبون كتاب الإله ، ويقومون بتلاوة الصيغ القديمة للصلاة ، ويعرفون أسرار السحر . أما على قمة الكهنوت فهنالك خدم الإله الذين أطلق عليهم (أباء الإله) ، أو (الأنبياء) الذين يدخلون قدس الأقداس ويعرفون كل أسرار الإله[2] .

ويقوم هؤلاء الأنبياء بفتح أبواب السماء لدى دخولهم قدس الأقداس . يضاف الى ذلك وجود كهنة أكثر سمواً من آباء الإله ، منهم : النبي الأول ، وهو : الكاهن الأكبر الذي ينوب عنه في كل ما هو دنيوي وكاهن يسمى النائب الثاني[3] .

وقد تمتع الذين شاهدوا الإله بالاحترام والتبجيل ؛ لهذا السبب لم يكن الكاهن بوجه عام رجلاً كباقي الرجال[4] .

وإلى جانب الكهنة من الرجال كانت للآلهة في الدولة الحديثة هيئة من الكاهنات بأعداد كبيرة ، دخلت خدمة " آمون " وهن من سيدات العائلات الكريمة ، اللواتي وجدن في خدمتهن للإله " آمون " شرفاً على الرغم من ان عملهن كان يختص بالموسيقى والرقص والغناء[5] وعدهن حريماً للإله لإدخال السرور على قلب الإله ، وهن على مراتب : فعلى رأسهن زوجة الكاهن الأكبر وعلى رأس النساء سيدة من الأسرة المالكة هي زوجة الإله أو عابدته ، أو الزوجة الحقيقية للإله ، تتمثل بالآلهة " موت " ، ومثال ذلك : الملكة " حتشبسوت " التي كانت زوجة الهية قبل اعتلاءها العرش المصري[6] .

أما طقوس الخدمة اليومية التي يتولى أولئك الكهنة القيام بها فهي على أساسين ، أولهما طقس شمسي ، والآخر أوزيري . فقد كان العنصر الأساس في الطقس الأول : تزيين

---

[1] المصدر نفسه ، ص227 .

[2] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص ص78-79 .

[3] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص226 .

[4] رايفشتال ، المصدر السابق ، ص252 .

[5] شكري ، المصدر السابق ، ص11 .

[6] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص226-227 .

المعبود كلما اشرقت الشمس . فيما كان الطقس الأوزيري يعني تمثيل الموت والبعث . وهما الطقسان اللذان بقيا قيد الممارسة إلى جانب بعضهما في معابد الإله والمعابد الجنائزية منتصف الدولة الحديثة[1].

فقد كان الطقس الأول يبدأ بأن يتطهر الكاهن بالماء قبل دخوله المعبد ، ثم يدخل المعبد، فيشعل النار ، ويجهز البخور ، ويتجه نحو قدس الأقداس حين ينزع الختم الطيني الموجود على الباب الذي ما أن يفتح حتى يظهر تمثال الإله ، فيحييه الكاهن ، ويرتل تراتيله المعهودة ، ويؤدي الصلاة ، وينشد له نشيداً واحداً أو اثنين ، يلي ذلك تقديمه المسك للإله ، ثم يعود فيبخر تمثال الإله ويدور حوله أربع دورات ، يقدم بعدها امامه نموذجاً صغيراً لالهة الصدق[2]، ويمسحه بالزيت المقدس ، بعد أن يخلع عنه ملابسه التي ارتداها في اليوم السابق ، حينها يبدأ التزيين الفعلي للتمثال الإله بأن يوسد على كومه صغيرة من الرمل كرمز للصحراء التي تظهر من خلفها الشمس كل يوم ، ثم يبخر المعبود مرة أخرى ، ويرش بالماء من أربعة أواني أولية ثم من أربعة أخرى حمراء اللون ، يتبع ذلك تطهير فم التمثال بثلاث أنواع مختلفة من ملح "النترون" ، حينها يكون الإله مستعداً لارتداء غطاء الرأس ، والملابس ذات الألوان المختلفة ، فتستبدل الجواهر بغيرها ، ويعاد تطهيره كما يعاد طلاء رموش عينيه بمادة خضراء أو سوداء ، ثم توضع بعدها رموزه الملكية[3] .

ثم يقدم له الطعام الذي لا يتناوله ، ويكتفى بجوهره الروحي ، ويترك الطعام المادي ليقدم لباقي الالهة الموجودين في المعبد . فقد جرت العادة أنْ احتوى المعبد آلهة عدة أخرى، بعد أنْ يشبعوا من هذا الطعام فإن الآخير ينتقل إلى معامله حيث يوزع على الكهنة[4] .

وتفصيل ذلك هو أن ينطلق الخدم وبأيديهم الصحاف التي رصت بأنواع الطعام ، وجرار النبيذ ، يقودهم في ذلك كاهن يرتل بعض الأناشيد فتفتح الأبواب تباعاً وترتفع الأصوات داعية الإله الذي يقدم له الطعام أن يتقبلها حينما يبلغ الموكب رحبة المذبح في وسط المعبد ، فيتوقف المسير ، وتوضع الصحاف ، وينسحب الحمالون ، فيباشر الكهنة بتطهيرها بالماء ، وإحراق البخور من حولها ، فيما تأخذ أشعة الشمس بالدخول من الكوات الضيقة الموجودة تحت جوانب السقف ، ثم يتقدم أحد كبار الكهان فيمثل بين يدي الإله ويرتقي السلم إلى قدس الأقداس ، ويفتح الختم الطيني عنه ، حينها ينشد رئيس المنشدين في حضرة الإله

---

[1] نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ط1 ، (مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1959) ، ج4 ، ص ص187-188 .

[2] تشرني ، المصدر السابق ، ص 145 .

[3] تشرني ، المصدر نفسه ، ص145 .

[4] سونيرون ، المصدر السابق ، ص92 .

مرتلاً أنشودة الصباح : " افق أيها الإله الكبير في سلام ، افق فإنك في سلام " فيجيبه المنشدون : " مفيق أنت ، وإنك في سلام ، افق في بهاء وسلام ، افق يا رب هذه المدينة بحياة... " ثم يعدد الكاهن الصفات الإلهية للإله ولرفاقه ، فتبعث الحياة في الجسد الإلهي خمساً وأربعين مرة ، أي بقدر عدد المرات التي يردد فيها المنشدون " إنك مفيق إنك في سلام تنشر على الارض ذهبك المنثور" في الوقت نفسه الذي ترتفع فيه الشمس في السماء[1] . وبذلك يتضح أن ما يراد بطقوس خدمة الصباح هذه ، تحقيق ولادة جديدة للإله بجسد جديد من خلال عملية مزاوجة بين الطقوس الشمسية ، والأوزيرية[2] . يكون الإله بعدها قادراً على النهوض يوماً أخر للقيام بدوره الكوني[3] .

وإذا كانت تلك هي تفاصيل طقوس خدمة الصباح، فإنَّ طقوس خدمة الظهيرة تعد أقل، إذ تتمثل أساساً برش الماء ، وحرق البخور أمام مظلات الآلهة في المعبد ، وحول قدس الأقداس ، وأمام القاعات الصغيرة المخصصة للعبادات المشتركة ، وتنظيف الأباريق وتجديد الماء في الحوض الذي يتوجب بقاؤه ممتلئاً ، فهو حوض الماء المقدس يعقب ذلك سكب الماء مرة أخرى ، وإطلاق البخور[4] .

أما الطقوس الأكثر قدسية فهي الطقوس المسائية وعلى الرغم من بقاء قدس الأقداس مغلقاً ، ومختوماً بختمه الطيني ، إذ تجرى الصلوات في زواياها المحيطة بقدس الأقداس، وتقدم القرابين والنذور ، ويسكب الماء ، ويحرق البخور ، وترفع الأطعمة ، وتتم عمليات التطهير التي تكون الأخيرة لهذا اليوم ، ثم يعاد تكرار كل طقوس الصباح حتى التبخير الأخير، وتغلق الأبواب وينسحب جميع الكهنة ، ولا يبقى منهم إلا الكاهن الفلكي الذي يرصد النجوم ؛ لحساب ساعات الليل[5] . ومن الجدير بالذكر أنّ الطقوس التي يؤديها الكهنة في المعابد لا تختلف كثيراً عن الطقوس التي كان يقوم بها الملك ، أو التي يفترض أن يقوم بها الملك إذا ما أراد دخول المعبد[6] .

هذا ولم يقتصر الكهنة على تلك المهام الخاصة بالمعابد فقط ، بل أنهم جعلوا من أنفسهم الوسيط بين الناس وألهتهم فهم فمها الناطق ، حتى شرعوا بإبلاغ الناس ببعض النبؤات

---

[1] سونيرون ، المصدر السابق ، ص ص88-89 .

[2] ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ص187-188 .

[3] سونيرون ، المصدر السابق ، ص94 .

[4] المصدر نفسه ، ص ص95-96 .

[5] المصدر نفسه ، ص ص95-97 .

[6] إبراهيم ، المصدر السابق ، ج4 ، ص188 .

عن المستقبل على اعتبار انها نبؤات استقوها من الالهة[1] ومارسوا العرافة ، وتفسير الأحلام[2] ، والطب ، والتنجيم، فحددوا أيام السعد والنحس ، وزودوا الناس بالرقى التي تحميهم من الأعداء ، وبالحجب فهم يد الإله الشافية[3] ، كي تمنع عنهم ، وترد الأذى والمرض والعقم ، أو تؤمن لهم الحظ والعمر الطويل[4] ، في الوقت الذي لم يجد فيه الكهنة وقتاً لتعليم الناس المبادئ الأخلاقية[5].

ونتيجة لهذا الانشغال ، وتعدد المهام ، وتعقد الطقوس التي يديرونها ، أو يؤدونها أصبح من الضروري بالنسبة للكهنة وجود مساعدين اخرين ؛ للعمل في المعابد ، وما يتصل بها ، ومنهم : البوابون ، وحراس المباني المقدسة ، والعاملون في دور صناعة النسيج الخاصة بالمعابد ، والقصابون ، والجنازون ، وزراع الزهور ، ورعاة الماشية ، ووكلاؤهم، وحاملوا القرابين ، والكناسون الذين يتوجب عليهم إزالة كل أثر على الرمال في المعابد. وهنالك المهندسون ، والنقاشون ، والرسامون ، والنحاتون الذين كانوا يقومون باعمال الترميم والبناء والزخرفة في المباني الدينية وهنالك الرقيق ، والمساعدون الذين يسهرون على رعاية الحيوانات المقدسة وإطعامها[6]. ويلاحظ من كل ما ذكر انتقال كل مواصفات القصور الملكية، الملكية، وأصناف العمال إلى المعابد .

<u>الإحتفالات ، والأعياد الدينية</u>

هنالك العديد من الإحتفالات ، والأعياد الدينية في مصر القديمة التي تعد من أكثر الأمم القديمة تديناً[7] . على الرغم من كون الديانة التي آمن بها قدماء المصريين ، هي : ديانة ديانة بدائية قائمة على السحر ، والأساطير ، والتقديس المبالغ به[8] .

وعلى الرغم من كون جميع الإحتفالات والأعياد المصرية القديمة دينية في طبيعتها فإنّ القليل منها فقط هو ما يتميز بالوقار والمهابة سواءاً ما كان منها متصلاً بالأحياء ، أم بالأموات[1] .

---

[1] سليم حسن، المصدر السابق ، ج1 ، ص236 .

[2] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص81 .

[3] إبراهيم ، المصدر السابق ، ج4 ، ص189 .

[4] رايفشتال ، المصدر السابق ، ص253 .

[5] ديورانت ، المصدر السابق ، ص165 .

[6] سونيرون ، المصدر السابق ، ص80 .

[7] محمد أبو زهرة ، محاضرات في مقارنات الأديان (القسم الاول) ، (مطبعة يوسف ، 1965) ، ص5 .

[8] ثريا منقوش ، تاريخ الآلهة اليمانية والتوحيد الإلهي ، مجلة المؤرخ العربي،(بغداد: 1978)،ع9، ص19.

ويمكن تقسيم تلك إلاحتفالات والأعياد على وفق التقسيم الآتي :

1- أعياد الآلهة ، والاحتفال بها .

لقد كانت أعياد الآلهة مرتبطة بموسم ، أو بتاريخ السنة الدينية . فهنالك عيد " تجلي مين " ، وهو إله الخصوبة[2] . ويسمى " بعيد الضحية "[3] . ويحتفل به في الشهر الأول من فصل "شمو" عندما يبدأ حصاد القمح[4] . ويتم إلاحتفال بهذا العيد في كل معابد الإله " مين " في مصر[5] .

أما موكب إلاحتفال فيتكون من مجموعة من الكهنة الذين يحملون تمثال " مين " على أكتافهم ، وقد ارتدوا جلابيب مزدانة باسماء الملك ، مع حرصهم على عدم ظهور شئ من أجسادهم إلاّ رؤوسهم وأقدامهم ، تتبعهم مجموعة صغيرة أخرى من الكهنة ، تحمل لفائف "الخس" ، وهو : النبات المقدس للإله "مين" مع وجود نور أبيض يمثل تجسيداً للإله . أما الملك فيخرج من قصره محمولاً على محفة إلى مقر والده الإله "مين" على ظهر اثنى عشر رجلاً[6] ، من أبناءه ، وكبار موظفي الدولة فيما يمشي في مقدمة الموكب عدد اخر من أبناء الملك ، والرجال البارزين في الدولة يحملون الشعارات الملكية كالصولجان والسوط[7] . أثناء ذلك تبدأ واجبات الكهان التي كان من أبرزها إحراق البخور[8] . كما يشترك في الموكب عدد من رجال الجيش وخدم البلاط[9] .

وحينما يصل الموكب إلى المعبد، ينزل الملك ؛ ليدخل المعبد ، ويقف أمام تمثال الإله؛ ليباشر طقوس العبادة من تبخير ، وتطهير ، وتقديم للقرابين[10] . يتبع ذلك فتح غرفة الإله؛

---

[1] رايفشتال ، المصدر السابق ، ص256 .

[2] تشرني ، المصدر السابق ، ص171 .

[3] استيندروف ، المصدر السابق ، ص70 .

[4] بير ، مونتيه ، الحياة اليومية في مصر في عصر الرعامسة من القرن الثالث عشر الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ترجمة عزيز مرقس منظور ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة ، د.ت) ، ص388 .

[5] تشرني ، المصدر السابق ، ص171 .

[6] مونتيه ، المصدر السابق ، المصدر السابق ، ص388 .

[7] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص86 .

[8] صابر ، المصدر السابق ، ص649 .

[9] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص86 .

[10] مونتيه ، المصدر السابق ، ص389 .

ليراه الناس وهو يلبس غطاءاً مخروطياً ذا ريشتين ، وشريطاً يتدلى إلى الأرض ، وله لحية مستعارة ، وحلية تتدلى من الرقبة[1] ، فيما يبقى وجه الاله مخفياً بحجاب يسدل عليه يحول دون رؤيته[2].

اثناء ذلك يتواجد الكهان في المقدمة ، والمؤخرة ، والجوانب ، وهم : يحملون ما يتصل بطقوس الإله . فيما يتولى كاهن حليق الرأس ، عارياً في نصفه الأعلى حرق البخور أمام الملك ، والثور ، وتمثال الإله ، يلي أولئك مجموعة تحمل القرابين[3] ، وأُخرى تحمل تماثيل الملك وأصدقاءه وعلامات أو رموز الآلهة على ساريات[4] .

ويستمر الموكب في سيره حتى يصل قدس الأقداس حيث يقدم الملك القرابين مرة أخرى ، وتوضع تماثيل الآلهة على الارض ، ويلتف المحتفلون حول الملكة ، والملك ، الذي يقدم له منجل ، وحزمة من الغلال ، فيقطع السنابل من أعلى الساق ، فينشد أحد الكهنة نشيداً للإله المقيم في الحقول ، وتقدم حزمة أخرى من سنابل القمح إلى الملك ، فيحتفظ بواحدة منها، ثم ينشد الكهنة الأناشيد وبذلك ينتهي الحفل ويعاد تمثال الإله الى تابوته ، وتذبح القرابين بأمر الملك مرة ثالثة ، فيشكره الإله ، ويعود الملك الى مقره بعد أن تم تمجيد خصوبة البلاد في عهد ملك زاهد وتزدهر – نتيجة ذلك الاحتفال – في أيامه الحياة ، وتكثر الخيرات[5] .

وهنالك عيد الآلهة " باستت " آلهة بوبسطة[6] ، التي كان الناس يتقاطرون في عيدها رجالاً ونساءاً إلى مدينتها بوبسطة من أقاصي البلاد بزوارقهم . فهو عيد يمرح فيه الوافدون، ويلعبون ، ويلهون طوال طريقهم إلى المدينة ، وتصدح فيها النساء بالغناء والموسيقى اذ يضربن الدفوف . فيما يعزف الرجال بالمزامير ويغنون[7] .

---

[1] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص87 ، وكذلك : مونتيه ، المصدر السابق ، ص390 .

[2] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص97 .

[3] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص87 ، وكذلك : مونتيه ، المصدر السابق ، ص390 .

[4] تشرني ، المصدر السابق ، ص172 .

[5] مونتيه ، المصدر السابق ، ص393 ، وكذلك : الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص87 .

[6] مدينة مصرية قديمة شهيرة تعرف اليوم باسم " تل بسطة " في الزقازيق ، واسمها القديم مشتق من "بر" أي: "بيت" و"بسته" ، أي : الهرة فهي الهرة المقدسة عند المصريين ، ينظر : هيردوت ، المصدر السابق ، ص ص159–160 .

[7] مونتيه ، المصدر السابق ، ص387 .

وقد تنزل جماعة من المحتفلين بقرية من القرى ؛ للهو واللعب ، وما أن يصلوا إلى "بوبسطة" حتى يقربوا القرابين . وكان الكهان يطلقون التسابيح والأشعار للآلهة ومنها تسبيحة للإله "آمون – رع" ، " يا الهي يا رب كل الآلهة يا آمون رع .. أمدد إلي يدك ونجني.. أشرق لأجلي كالشمس .. اجبني ثانية انت الإله الأحد الذي لا شبيه له .. أنت الشمس التي تشرق في السماء .. "[1] .

وهنالك أعياد الإله " أبيدوس " التي كان يراد بها تخليد فتح " أوزيريس " للبلاد في العيد الأول . وكان العيد الثاني عيد الخروج الأكبر ، الذي كان يأتي بعد العيد الرئيس لتخليد مقتل الإله والحداد عليه . أما عيد يوم العراك فهو احتفال بهزيمة أعداء أوزيريس[2] .

أما عيد الآلهة " ايزيس " فكان يحتفل به في مدينة " أوزيريس " التي يوجد فيها أكبر معبد لهذه الآلهة ، وتقع هذه المدينة في وسط الدلتا[3] .

ولما كانت الآلهة في صميم تغيرات السنة فإنّ الأعياد كانت على اتصال بالمواسم والفصول ومنها " عيد استقبال السنة الجديدة " ، أي : " بداية الأزل ، ونهاية الزمن الأبدي ، " وهو : عيد كثير البهجة والفرح . فكانت السنة تنقسم إلى اثنى عشر شهراً ، وإلى ثلاثة فصول ، هي الفيضان (فيضان النيل) ، والبروز (بروز الحقول) ، والجفاف[4] . وهو العيد ذاته الذي يطلق عليه عيد الآلهة " سوبديت " الذي يحتفل به في أرجاء البلاد . وفي معبد " اوب واوات "[5] تتبادل الهدايا بين الناس ، أو يقدم رجال البلاط الهدايا للملك ، فيما تعمر موائد الإله وتتكدس بكل ما لذ وطاب ، فالنيل لدى المصريين القدماء إله ، ولكن بشكل غامض ، لأنه انبثق احياناً من الإله "نون" الذي يمثل الحياة المائية، وأخرى من " أوزيريس" ، أو حتى " آمون " حتى أن الدلائل تشير الى تقديم الضحايا البشرية للنيل ، لضمان فيضان جديد[6] .

وعلى قدر تعلق الأمر بالفصول ، فإنّ هنالك أعياد كثيرة على امتداد السنة مما لا حصر لها ، لاسيما في فصل " أخيت " إذ تتوقف الأعمال الزراعية . وهنالك عيد " تيخى "

---

(1) استيندروف ، المصدر السابق ، ص ص71–72 .

(2) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص205 .

(3) هيردوت ، المصدر السابق ، ص ص159–160 .

(4) رايفشتال ، المصدر السابق ، ص ص257–258 .

(5) مونتيه ، المصدر السابق ، ص46 .

(6) رايفشتال ، المصدر السابق ، ص ص257–258 .

وتعني هذه الكلمة " السكر " وكان يحتفل بهذا العيد في اليوم الأول من الشهر الثاني ، وكان من الأعياد المحبوبة التي لا يتخلى عنها[1] .

أما أكثر الأعياد الإلهية جمالاً فهو عيد " أوبت " الذي يعد احتفالاً بالاله " آمون " وفيه يقوم الإله " آمون " و " موت " و " خنسو " بزيارة معبده الجنوبي في الآقصر ، ثم العودة وهو أطول الأعياد فقد كان في زمن " تحتمس الثالث " يمتد لعشرة أيام[2] فيما امتد في عهد "رمسيس الثالث " الى سبع وعشرون يوماً ، ونتيجة لشعبية هذا العيد اطلق اسمه على اسم الشهر الذي يجرى فيه[3] .

فقد كان الفلاحون يفدون من القرى المجاورة الى المدينة – صغارهم وكبارهم–؛ ليشاهدوا الإله والملك في الاحتفال الذي يبدأ في معبد " أوبت " في الكرنك إذ يستعد رجال الدين لحمل المراكب المقدسة[4] على الاكتاف ، والطواف بها في ساحات المعبد ، فيما يسير قارعي الطبول في مقدمة الموكب الذي تنتهي مسيرته بالوقوف على شاطئ النهر حيث يتجمع اسطول من المراكب والزوارق أجملها مركب الإله " آمون " ، والإلهة " موت " ، والإله "خوفو" ؛ لأنها تبدو وكأنها معابد حقيقية تطفو على الماء . فهي بطول مائة وثلاثين متراً، ومزينة بزخارف بديعة من الذهب ، والفضة ، والنحاس ، والفيروز ، واللازورد ، وقد أقيم على سطح مركب الإله " آمون " معبد على غرار معبده في " طيبة " ، مزين بنقوش تمثل الملك ، وعلى المركب بيت توضع فيه التماثيل التي جيء بها من المعابد الأخرى في احتفالات خاصة . وتسبق هذا البيت مسلتان وأربعة ساريات الأعلام ويتشابه بذلك الحال في المعابد الحقيقية . ونظراً لثقل هذه المراكب كان الجنود يجرونها بمساعدة الناس بحبال مفتولة، وسط غناء النسوة ، وتصفيق الرجال ، وقرع الطبول الى مجرى نهر النيل[5] . فينزل مركب مركب الإله " آمون " الذي يتميز –فوق كل ما تقدم– بوجود رأس الكبش في نهايته ، وينزل مركب الإلهة " موت " (زوجته) الذي يتميز بوجود رأس سيدة في نهايته ، أما مركب الإله "خوفو" فينزل إلى النهر وقد وضع على نهايته رأس صقر[6]. بعد أن حمل تمثال الإله " آمون

---

(1) مونتيه ، المصدر السابق ، ص ص46–47 .

(2) رايفشتال ، المصدر السابق ، ص261 .

(3) المصدر نفسه ، ص261 .

(4) تشرني ، المصدر السابق ، ص173 .

(5) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص88 .

(6) المصدر نفسه ، ص88 .

آمون " من معبده في قاربه المصنوع من الخشب المغطى بالذهب، ودفع تمثاله في قمرة وسط القارب الذي يحمله الكهنة على أكتافهم[1] .

عند ذلك تبدأ رحلة الآلهة الثلاث الاحتفالية في النيل ، يتبعها مركب الملك ، ثم مراكب أصغر يجدف فيها كبار الموظفين ويحرق البخور أمام تماثيل الآلهة[2] .

وكانت هنالك حشود ضخمة تصطف على النهر من سكان طيبة ، والجنود والكهنة، والمغنين من الذكور والإناث[3] . فيبدأ الشباب ، والفتيات بالرقص بحركات ايقاعية على قرع الطبول ، والأناشيد ، ويشرع الناس بشراء الحجب ، والتمائم ، والسلع ، والأطعمة ، والأشربة من صغار التجار ، والباعة المرابطين ببضائعهم على امتداد الطريق . ويتخلل الحشد الكثير من القصاصين ، والمنجمين ، والشحاذين، والمشعوذين ، والمومسات ، وتحصل المشاجرات ويمتزج ذلك الفرح بالخداع والعنف والنشوة الروحية بالشهوة الحيوانية[4].

أما في الأقصر فإنَّ مائدة دسمة تعد للآله من الثيران السمينة المذهبة القرون ، ويقبل حاملو الهدايا والعطايا في مواكب لا تنقطع ، حاملين على رؤسهم الصواني المليئة بالأطعمة، والخمور وتتصاعد من مطابخ المعبد روائح اللحوم المشوية ، والخبز ، والكعك الطازج[5].

والهدف من تلك الرحلة عبر النيل ؛ أنَّ يحل إله الكرنك ضيفاً على مدينة الأقصر لبضعة أيام[6] . فتقام الشعائر الدينية المحجوبة عن مرأى العامة ، الذين تتوفر لهم المتعة والتسلية بعيداً عن تلك الشعائر[7] . وينتهي الإحتفال بمجرد العودة للاسطول المقدس ، وإعادة وإعادة المراكب الكبرى والصغرى إلى أماكنها داخل المعبد ، التي كانت فيها منذ أربع وعشرين يوماً مضت[8] . فيعقد الملك بعد هذا الإحتفال أنَّ الآلهة قد منحت الحياة والخير والسؤدد له ، ولشعب مصر[9].

---

(1) الن . و . شورتر ، الحياة اليومية في مصر القديمة ، ترجمة : نجيب ميخائيل إبراهيم ، (مكتبة الانجلو المصرية ، 1956) ، ص ص100-101 .

(2) تشرني ، المصدر السابق ، ص173 .

(3) المصدر نفسه ، ص173 .

(4) رايفشتال ، المصدر السابق ، ص264 .

(5) المصدر نفسه ، ص264 .

(6) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص88 .

(7) رايفشتال ، المصدر السابق ، ص265 .

(8) مونتيه ، المصدر السابق ، ص397 .

(9) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص89 .

وفي طريق العودة يتكون موكب مشابه للموكب السابق ، يتقدمه قارعو الطبول ، ويكون الموكب في رحلة العودة أكثر هدوءاً ، وأقل ضجة ، فيتيقن الملك من أنَّه سيمتلك كل الخيرات التي يمكن أنَّ ينالها إنسان من الآلهة . ومنها طول حياة " رع " ، والحصول على سنوات الخلود في عرش " حورس " بسرور ونشاط ، والانتصار على جميع البلاد ، وقوة "آمون" – ابيه – المتجددة كل يوم ، والشباب الدائم لجسده وبنيتهُ ، وغير ذلك . بينما يعد الشعب حياته وقف على الملك الذي يشبه الآلهة بعد أن طاف بوالده " آمون " بين المعبدين الكبيرين[1] .

أمّا العيد الثاني لآمون ، فهو " عيد الوادي " الذي يقع في الشهر العاشر من السنة[2] وفيه يقلع مركب " آمون " المقدس من مرساه ؛ للاحتفال ، فيعبر النيل[3] ؛ ليزور المعابد الجنائزية للملوك في الضفة الغربية . وذلك لصب الماء لملوك مصر العليا والسفلى[4] .

ومدة عيد الوادي أقصر من مدة عيد " اوبت " ، فهو يستمر لعشرة أيام فقط يخرج الملك في أولها من قصره مرتدياً زياً بسيطاً يتبعه حاملو المظلات ، وخدمه ويرتدي قبل دخوله المعبد (فوطة) فاخرة ، ويضع فوق رأسه غطاءاً فيه رمز لقرص الشمس ، والريش، والثعابين الكوبرا وقرون الثور ، وقرون الكبش[5] .

وتهدف هذه الرحلة الاحتفالية زيارة الوادي ، أو زيارة الدير البحري حيث المعبد الجنائزي للملكة " حتشبسوت " الذي كان يعد – أيضاً – معبداً للإله " حتحور "[6] .

وحال بلوغ الإله الضفة الغربية ، ودخوله المعبد ، فإنه يأخذ قسطاً من الراحة في بهو الأعمدة في معبد " الرمسيوم " ، ثم يستقبل ملك الآلهة زيارات الآلهة شفعاء الموتى ، وهكذا يترك تمثال الملك المقدس " امنحوتب الاول " معبده محمولاً على نقالة ، يرفعها ويحيط بها رجال يحملون الأسياط الملكية ، ويحركون مراوح ذات أيادي طويلة ، ومظلات وهنالك مركب مقدس ينتظر الملك لنقله إلى مركب " آمون " المقدس الكبير ، وما أنْ تجتمع كل الآلهة حتى تقام الاحتفالات لصالح الموتى الراقدين في سراديب الجبل الغربي[7] .

---

[1] مونتيه ، المصدر السابق ، ص398 .
[2] تشرني ، المصدر السابق ، ص173 .
[3] مونتيه ، المصدر السابق ، ص398 .
[4] تشرني ، المصدر السابق ، ص173 .
[5] مونتيه ، المصدر السابق ، ص399 .
[6] تشرني ، المصدر السابق ، ص173 .
[7] مونتيه ، المصدر السابق ، ص399 .

وتشهد هذه الاحتفالات والأعياد الدينية مشاهد تمثيلية ومسرحية ؛ بغية رفع الملك عن الناس ، واجتذاب اهتمامهم[1] من جهة ، ولأن المراد من هذه الأعياد والاحتفال تخليد أحداث عجيبة من قصص الآلهة من خلال تمثيلها أمام الشعب في مناسبات مختلفة ، لاسيما في أعياد " ابيدوس " المارة الذكر[2] .

وكان الناس يشاركون في أداء الأدوار الثانوية في تلك التمثيليات ، بينما تركت الأدوار الهامة للمحترفين بإشراف مخرجين ، يبذلون جهود كبيرة ؛ لإتقان ذلك التمثيل من أداء ولباس[3] .

ومن هذه التمثيليات التمثيلية التي تؤدى في " نديت " إذ قتل " أوزيريس " طبقاً للاسطورة في موقع بمنطقة " ابيدوس " . فيتم تمثيل التغلب على " ست " وأتباعه ، والإنتقام بعدها لمقتل "أوزيريس " . يلي ذلك رفع مركب الإله وهو منتصر ، ويُعاد إلى المعبد وسط ابتهاج الجموع المحتشدة[4] .

وهنالك مسرحيات تؤدى في أيام الاحتفالات والاعياد في فناءات المعابد ، أو أمام الصروح ، أو على حواف الأحواض المقدسة . وفيها تعامل الآلهة بطريقة تنطوي على البساطة ، ولا يقتصر فيها التقليد على الحركات ، بل يتجاوزه الى جعل الأبطال من الآلهة تتكلم[5] . فضلاً عما تؤديه النساء من أدوار الآلهة الانثوية مثل الآلهتين " ايزيس " و"نفتيس"[6].

2- أعياد الملوك ، واحتفالاتهم

مما هو مسلم به في إطار أعياد الملوك الكبيرة أنها ذات طابع ديني ؛ لأن فكرة الدولة في نظر المصري القديم تستقر على مبدأ تأليه الملك ، وعلى هذا المبدأ تقوم العبادة كلها. وبالتالي يكون الملك على اتصال مباشر بالآلهة التي يقيم لها الملك معابدها ، ويتقرب إليها بالقرابين . فيما تعطي الآلهة لابنها الملك حياة من ملايين السنين عن طريق النصر الذي يحققه على اعدائه[7] .

---

[1] مونتيه ، المصدر السابق ، ص399 .

[2] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص204-205 .

[3] مونتيه ، المصدر السابق ، ص400 .

[4] تشرني ، المصدر السابق ، ص175 .

[5] مونتيه ، المصدر السابق ، ص403 .

[6] سونيرون ، المصدر السابق ، ص77 .

[7] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص208 .

لذا فإنَّ أول ما يهتم به الملوك بعد عودتهم من حروبهم منتصرين ، هو : إقامة حفلات النصر ، وإقامة الأعياد التي يقدمون فيها القرابين للآلهة شكراً لها على ما أعطته لهم من قوة انتصروا بها على اعدائهم ، ومثال ذلك : الأعياد الثلاث التي كانت تقام في عهد " تحتمس " ابتهاجاً بانتصاراته في حروبه التي يستقبلها المصريون القدماء كل عام ببهجة وسرور . وقد أقيم أحد تلك الأعياد الثلاثة باسم الإله " آمون " ، وتسمى جميعاً " بأعياد النصر "[1] .

ونتيجة لارتباط الأعياد الملكية بالعبادة ، فإنها تتقارب من بعض الأعياد الإلهية ، ومن بين تلك الأعياد الملكية العيد المعروف بـ " حب سد " الذي يعد الأشهر ، وقد جرت العادة أنْ يسمى " عيد اليوبيل " الذي يراد به العيد الذي يتم الاحتفال فيه بانقضاء ثلاثين عاماً على ارتقاء الملك عرشه[2] .

والغرض من هذا الاحتفال هو اظهار الملك لشعبه قدرته على الاستمرار في الحكم وإنَّ قوته الجسدية ما زالت على حالها ، دون أنْ يعتريها الوهن[3] .

إلا أنَّ بعض الملوك احتفلوا بهذا العيد بعد مدة قصيرة من توليهم العرش ، وليس بعد ثلاثين عاماً من توليهم الاخير ، أما موعد الاحتفال ففي فصل الربيع عندما تخضر الأرض، وتنمو النباتات في الحقول والمراعي[4] .

ويقام هذا العيد في " ممفيس " التي كانت مقراً للملوك الأوائل ، إلا أن الملوك التحتمسيين أقاموه في " طيبة " ، وشيدوا من أجله قاعات الاحتفالات والمسلات التذكارية. فقد بني " امنحوتب الثالث " في قصره على الضفة الغربية قاعة ضخمة ، أعاد فيها بحضور بطانته والآلهة تمثيل رواية توحيد القطرين ، وهو المشهد الذي حرمت الجماهير من رؤيته على الرغم من السماح لهم بالمشاركة بالاحتفال على ضفتي النهر[5] مع تناولهم لكميات من الطعام والشراب مما كان يقدم في ذلك الاحتفال . وبهذه المناسبة كانت الشوارع تنظف ، وأماكن الاحتفال تعد ، وتماثيل الآلهة تنصب ويستقبل الملك كبار رجال بلاطه[6].

---

[1] ماهر لبيب ، الاشادة بالنصر عند الفراعنة ، (مج2 ، المجلة التاريخية المصرية ، 1949) ، ع1 ، ص124 .

[2] ارمان ، ديانة مصر القديمة ،المصدر السابق ، ص207 .

[3] صابر ، المصدر السابق ، ص129 .

[4] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص89 .

[5] رايفشتال ، المصدر السابق ، ص259 .

[6] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص89 .

ويعاد بهذه المناسبة بناء منازل اليوبيل في المعابد ، وتصنع تماثيل الآلهة من الذهب، والفضة ، والأحجار الكريمة ، وتكسى بالملابس الرقيقة ، وتمسح بالزيوت ، وتقدم لها القرابين ، وتبخر[1].

ويتم الاحتفال بالشروع بمسير موكب عظيم تحمل فيه تماثيل الآلهة التي يسير الملك خلفها ومعه رجال الدين الذين يحملون رموز الآلهة . بينما يبدأ الملك بزيارة الآلهة في معابدها[2].

فيتقدم الموكب الملكي إلى المقاصير المحيطة بفناء " الحب سد " التي يجتمع فيها آلهة أقاليم الوجه القبلي ؛ للحصول على موافقتهم لاستمراريته – الملك – بالحكم ، يصحبه بعدها "كاهن سم" إلى المنطقة الموجودة في جنوب ساحة " الحب سد " حيث يجلس على كرسي العرش الخاص بالوجه القبلي ، ويتوج بالتاج الأبيض ، ثم يتكرر الاحتفال مرة اخرى بالنظام نفسه ؛ للحصول على موافقة آلهة الوجه البحري ، فيجلس الملك على كرسي عرش الوجه البحري ، ويتوج بالتاج الأحمر ، ثم يعمد إلى ربط زهرة اللوتس والبردي على وتد مثبت بالأرض كعلامة على اتحاد المملكتين ، مع إبرازه لخفته البدنية التي يتوقف عليها بقاءه في الحكم ، وخصوبة الأرض الزراعية . – وفقاً لمعتقداتهم[3] .

وينتهي الحفل بتقديم أمراء البيت الملكي أنفسهم ، وكبار رجال الدين إلى الملك[4] .

3- أعياد الموتى ، والاحتفالات المتصلة بهم

على الرغم من أنَّ هنالك أعياد الهية فإن الآلهة كانت تسمح للموتى بالخروج للمشاركة فيها[5] . ففي الواقع لم يكن في مصر القديمة أي عيد لا يذكر فيه الأموات ، " فعيد الوادي " الذي يعد من أعياد الآلهة يعد العيد الأكبر لمدينة الأموات ، وسكانها أمواتاً واحياءاً. فقد كانت أيام هذا العيد بالنسبة لأهالي " طيبة " اياماً لاحياء ذكرى موتاهم ، ومناسبات لزيارة قبور أجدادهم حاملين معهم الطعام والشراب والأزهار إليهم والأضواء؛ لتبدد ظلمة القبور عنهم[6] .

.

---

[1] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص207 .

[2] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص89 .

[3] صابر ، المصدر السابق ، ص ص119–120 .

[4] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص89 .

[5] رايفشتال ، المصدر السابق ، ص257 .

[6] المصدر نفسه ، ص261 .

ومن الأعياد التي تعد من هذا النوع ، تلك التي تقام قبل حلول العام الجديد بخمسة أيام في أول يوم من أيام النسيء ، أي في اليوم رقم (361) من السنة وفي بداية السنة الجديدة . إذ كان كهنة الإله " وبوات " يسيرون في ذلك اليوم ، مخترقين شوارع أسيوط وأسواقها، فيخرجون من المدينة وهم يحملون إلههم " وبوات " إلى معبد الإله " انوبيس " الذي كان يقع في سطح جبانة الجبل . حيث يذبح ثور للإله الزائر " وبوات " فيما يحمل كل كاهن بيده رغيفاً كبيراً أبيض مخروطي الشكل ، وعند دخولهم إلى ساحة معبد " انوبيس " يضعون أرغفتهم عند قاعدة تمثال المتوفى وبعد مضي خمسة أيام من ذلك ، يأتي كبير كهنة المعبد مع تسعة أفراد مساءاً ، فيمرون بالقبور المعتمة ، ويدخلون إلى ظلال المدينة الموجودة في سفح ذلك الجبل ، حتى يخيم الظلام . وذلك في مساء اليوم الأول من السنة الجديدة . فيما تضاء الأنوار ابتهاجاً بالعيد ، فيتمتع تمثال المتوفى المنصوب في المعبد بمشاهدة القرابين عند قدميه، وتمتلئ أُذنيه بضجيج آلاف الأصوات المنبعثة من جماهير المدينة المجتمعين في معبدي الإلهين ترقباً لإنقضاء العام ، واستقبال العام الجديد[1] .

بعد ذلك تذكر حسنات المتوفى ، وتضاء الأنوار في الموكب الذي يعود ثانية إلى باب القبر ، ويسجد له كل من كانوا يخدمونه في حياته خضوعاً ، ممن كانوا على يقين بان المتوفى قادر على الخروج من عالم الظلام إلى عالم الأحياء ، ويحتفل مع الأحياء من أصدقائه[2] .

أما في اليوم الذي يعد من أعظم أيام الأعياد باعتباره اليوم الأول من السنة ، فيحضر أهل الضياع ؛ لتقديم الهدايا إلى سيدهم السابق – المتوفى – مع تواصل اهتمام الحرس والكهنة بالقبر والمتوفى ، طالما كانوا يتسلمون رواتبهم[3] التي ضمنتها وصايا المتوفى فقد جرت العادة أنْ يوصي الانسان قبل وفاته بتوزيع امواله بين أولاده مع تعيين أحدهم للإشراف على مقبرته ، ومتابعته المراسيم الدينية ؛ لادامة ذكرى المتوفى[4] .

وكان بعض المتوفين يحصلون على امتياز قد لا يحصل عليه آخرون ، وهو : وضع تماثيل لهم في المعابد ؛ للاشتراك في تلقي القرابين ، والصلوات المقدمة للآلهة ، أو أنها توضع في هياكل المقابر تحت اشراف الكهنة الجنائزيين[5] فيأتي أفراد أسرة المتوفى إلى

---

(1) حسن ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص486–489 .

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص389 .

(3) حسن ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص ص390–399 .

(4) مونتيه ، المصدر السابق ، ص428 .

(5) تشرني ، المصدر السابق ، ص176 .

المعبد يترنمون بالأغاني ، تكريماً للمتوفى ، فتضاء المصابيح في اليوم الأول والأخير من السنة ، وفي بعض الأعياد الأخرى في المقابر[1] .

ويشترك الموتى الطيبون في أعياد كثيرة ، منها عيد " بتاح – سوكا – أوزيريس " الذي أستقدم إلى طيبة من " ممفيس " وفيه يعاد تمثيل رواية الإله الذي قام من الموت وتقدم فيه للموتى مراكب رمزية توجه مقدماتها يوماً نحو " أبيدوس " حيث يقدم مدفن " اوزيريس "، وفي اليوم التالي نحو الإتجاه المعاكس ؛ استعداداً لرحلة الضريح[2] .

وهنالك أيضاً " عيد اواجا " الذي يدوم الاحتفال به لمدة ثمانية عشر يوماً بعد رأس السنة في المقبرة ، وفي معبد " اوب " و " اوات " سيد اقليم اسيوط ، وفي معبد " انوبيس – انوب " سيد الجبانة ايضاً كان كهنة " اوب " و " اوات " يذهبون الى معبد " انوب " قبل رأس السنة بخمسة أيام ، ويضع كل منهم رغيفاً للتمثال الموجود في المعبد الذي يمثل المتوفى . وفي اليوم السابق لعيد رأس السنة يعطي أحد موظفي معبد " اوب " و " اوات " إلى كاهن المقبرة شمعة سبق استعمالها في المعبد ، ويستلم رئيس موظفي الجبانة واحدة مثلها ، فيذهب بصحبته حراس الجبل ؛ لمقابلة كاهن المقبرة فيسلمها اياه ثم يقدم كهنة " اوب " و " اوات " رغيفاً من الخبز لتمثال المتوفى عندما يُنهي إنارة المعبد ، يلي ذلك الاحتفال بذكرى المتوفى، ثم توقد شمعة ثانية مساءً ، ويتكرر ايقاد الشموع ؛ لإنارة تماثيل المتوفى[3] .

يبقى ان نذكر بان هنالك عيداً يسمى " عيد توت " الذي يمسك بالميزان في مقعد الدينونة ، وخلال هذا العيد يتلقى الأموات المنتصرون أكاليل التبرير والتزكية[4] .

القرابين

كانت العاطفة الدينية عند المصريين القدماء متقدة في كل العصور . فقد فكانوا يسعون دوماً الى تحقيق إرادة الإله الذي يعبدون ، فيؤدون كل ما عليهم من فروض دينية ، ولا يرتكبون أي أثم في حرم معبده وانهم كانوا يخصصون في بيوتهم حجرة تشتمل على مقصورة صغيرة فيها تمثال الإله ، أو صورته وكان أفراد الأسرة يؤدون فروض العبادة له ، ويتقربون له بالقرابين لاسيما في الحقول حينما كانت تمد موائد القربان فيها ؛ ليضع الفلاحون قرابينهم عليها[5] .

---

[1] ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص342 .

[2] رايفشتال ، المصدر السابق ، ص260 .

[3] مونتيه ، المصدر السابق ، ص ص428–429 .

[4] رايفشتال ، المصدر السابق ، ص ص260–261 .

[5] استيندروف ، المصدر السابق ، ص59 .

والقربان في هذا الحال ، هو : النوع الأول من أنواع القرابين الثلاثة التي شاعت في مصر القديمة ، أي القرابين المقدمة للآلهة[1] .

أما حقول قربان الأمراء فكانت في " عين شمس " . ولما رفع الإله " رع " نفسه إلى السماء ، رفعت حقول قربانه إلى السماء أيضاً [2] .

اخذ مفهوم جديد عن القربان بالتشكل ، والتطور منذ عهد الدولة القديمة ، وهو المفهوم الذي يرتبط بفكرة تبرئة الروح عند الحساب في العالم الآخر على وفق الأعمال الصالحة التي قام بها الإنسان في الحياة الدنيا . فمنذ الأسرة الثانية عشرة لم يعد القربان منحة صادرة عن الإله والملك معاً ، بل أصبح الإله هو الذي يمنح القربان للمتوفى بعد أن يتلقاها من الملك ومنذ عهد " امنحوتب الثاني " أصبح اسم المتوفى مقروناً بصفة " بريء الصوت " ، وهي شهادة بأن المتوفى قد مثل للمحاكمة الأخروية وان ساحته قد برئت[3] .

أما بالنسبة لنوعية القرابين فقد أصابها التطور هي الأخرى إذ اختفت القرابين البشرية منذ أمد بعيد ، وحلت محلها الحيوانات ، أو الدمى المصنوعة من الخبز محل الضحايا البشرية[4] بعد أن كانت التضحية البشرية أمراً واقعاً في الأزمان السحيقة . إذ يذكر أن المصري كان يقرب أخاه الانسان قرباناً لمعبوده عند اشتداد غضبه ، أو حينما يطلب الناس مساعدة الآلهة لهم ، وعن ذلك نجد صوراً على جدران المعابد المصرية حتى نهاية العصور المتأخرة جداً لم يتغير شكلها ، فهي تمثل الملك وهو يقتل الأسرى الذين جيء بهم مكبلين أمام الآلهة تكريماً له[5] .

ولم يكن العبيد – في ذلك الزمان – بعيدين عن أن يكونوا قرابين للآلهة ففي موسم الحصاد كان الفلاحون يقدمون حصة من محاصيلهم لمعبد الإله ، ولخزنة الملك ، يلي ذلك ضرورة تقديم الأضاحي البشرية للإله " آمون " ، لاسيما بعد حضور الملك ، وزوجته، وارتقاءهما على عرشيهما المزينين بالجواهر وإلى جانبهما الكاهن الأعلى ، فيما يجلس النبلاء ورجال الدولة البارزون بمستوى أوطأ منهم ، أما عامة الناس فيقفون أمامهم ؛ ليشاهدوا الطقوس التي يؤديها الكهنة ، لاسيما تلك المتصلة بالتضحية بالعبيد الذين ما أن تقترب ساعة ذبحهم حتى يبدأوا بترتيل التراتيل والترانيم ، فيما تتوقف كل حركة أخرى إلا سير الملك نحو

---

[1] ابراهيم ، المصدر السابق ، ج4 ، ص189 .

[2] حسن ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص529 .

[3] يويوت ، المصدر السابق ، ص89 .

[4] هـ . ج . ويلز ، موجز تاريخ العالم ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، (مكتبة النهضة المصرية ، د.ت) ، ص77 .

[5] حسن ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص238–239 .

أحدهم فيقطع عنقه ، يتبعه الكاهن الأعلى الذي يذبح الأخر فتختفي صيحات الضحايا بصياح جموع الناس الواقفين وهو المشهد الذي يتكرر في الساعة نفسها في كل المعابد حيث يتم ذبح جموع من العبيد والأسرى ، ثم يتقدم الناس ؛ ليروا الجثث الممدة على الأرض فيلطخون أصابعهم بدمائها ، ويخضبون مقدمات رؤوسهم بها ، يلي ذلك تقطيع الجثث، ورميها للحيوانات المقدسة[1] .

ثم ظهرت فكرة استبدال الضحايا البشرية بالحيوانات التي اخذت تذبح في ساحة المعبد كأنها هي أعداء الإله ؛ فتقتل رضاءً له . فكانت حتى الظباء تذبح كأنها وحوش رهيبة ، وكان الكاهن الذي يقدم اللحم للإله ، يأتيه بافخاذ اعدائه ، فيقول للاله : " لقد قتلت من اجلك ذلك الذي ضربك "[2] .

فتم الإقلاع عن التضحيات البشرية كقرابين للآلهة ، وأخذت الضحايا تتكون من الغزلان والماعز البري[3] بالإضافة إلى الثيران التي كان الكهنة يتولون فحصها فإذا وجد فيها شعرة سوداء واحدة عدت نجسة ، لذا فإن الحيوان يفحص واقفاً ، وراقداً ، ويفحص لسانه، وشعر ذيله . فإذا كان الثور طاهراً من كل الوجوه ، يوسم بعلامة وهي عبارة عن قطعة من البردي تلصق بالطين بعد لفها على قرنيه ، وتختم بخاتم الكاهن[4] ، وإذا ما أخل الكاهن بشروط ذلك الفحص فان عقوبة الموت ستنزل به[5] .

ثم يساق الحيوان المراد التقرب به للإله إلى المذبح ، وهو عبارة عن مصطبة حجرية – وقلما صنعت من الخشب – يوضع على جانبيها مصباحان ، ينتصبان على قاعدتين عاليتين[6] ، ويتخذ المذبح شكلاً بين المربع والمستطيل ، تتناسب مساحته مع مساحة مدخل المعبد ، واتساع أعتابه ، وذوق المعماري[7] .

---

[1] Rawlinson, op. cit, p. 163 .

[2] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص198 .

[3] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص86 .

[4] هيرودوت ، المصدر السابق ، ص129 .

[5] Williams, op. cit, p. 223 .

[6] ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص332 .

[7] عبد العزيز صالح ، مداخل الروح (الأبواب الوهمية) ، وتطوراتها في أواخر الدولة القديمة ، حوليات كلية الأداب ، (مج2 ، جامعة القاهرة ، 1964) ، ع1 ، ص118 .

وبعد أنْ يصل الحيوان إلى مذبحهِ توقد النار كأسلوب يراد به إثارة الإله ، ثم يذبح الحيوان ، ويقطع رأسه ، ويسلخ جلده . فيما تكال اللعنات على رأسه المقطوع الذي يعتقد المصريون القدماء أنه سيحمل كل الشرور عن الناس ومصر ؛ لذا فانهم يحرمون تناوله[1] .

أما أحشاء الحيوان فيختلف أسلوب استخراجها بين معبد وأخر ، إلا أن الشائع في معابد الآلهة العظمى هو إخراج المعدة ، بينما تترك الحوايا والدهن داخل جسم الحيوان . ويجري قطع الأرجل ، ونهاية العجز ، والأكتاف ، والرقبة ، ثم يملأ جسم الحيوان بالخبز، والعسل ، والزبيب ، والتبن ، والبخور ، والمر ، ويسكب عليه الزيت ، ويشوى فيما تؤدى الصلوات والإبتهالات[2] .

ويقدم اللحم للإله مشوياً بعد أن تقدم للإله مواقد فحم صغيرة لشي اللحم وليس لحرقه؛ لأن القرابين المحروقة لم يستعملها المصريون في طقوسهم حتى العهود المتأخرة التي أصبح فيها حرق القرابين أمراً مألوفاً[3] .

أما الأبقار فهي مقدسة لدى المصريين القدماء ؛ لذا فإنهم يحرمون ذبحها تكريماً لمعبودتهم " ايزيس – حتحور "[4] . وإذا ماتت الثيران ، والأبقار فإنهم يلقون بالإناث منها في في النهر ، وتدفن الذكور في ضواحي المدينة مع ابقاء قرنيها أو أحدهما بارزاً كعلامة على مكان الدفن حتى تتحلل الجثة ، فيأتي قارب من جزيرة واقعة على الدلتا ، أما المدينة التي تأتي منها القوارب لحمل عظام البقرة فتسمى " انارابيخيس "[5] .

هذا وتبقى القرابين التي شويت – كما تقدم – على المذابح الى أن يرضى الإله فيقبل الاستمتاع بها وهنا يجيء الكاهن فيرفع أواني طعام اليوم السابق الموضوعة في قدس الأقداس ليملأها مرة اخرى من قاعة المذبح بالخبز والفطائر الحلوة الطازجة[6] .

اما عن كميات تلك القرابين فيمكن معرفتها من خلال إلقاء نظره على قائمة القرابين التي قررها " رمسيس الثاني " . ففي كل يوم كان المعبد يستلم (3220) رغيفاً من الخبز، و(24) قطعة كعك ، و(144) قدراً من الجعة ، و(32) أوزة ، وبضعة قدور من النبيذ . يضاف إلى ذلك انه في اليوم الثاني والرابع والعاشر والخامس عشر والتاسع والعشرين والثلاثين من كل شهر كانت تقدم (83) رغيفاً من الخبز ، و(15) قدراً من الجعة ، و(6)

---

[1] هيرودوت ، المصدر السابق ، ص131.

[2] Williams, op. cit, p. 223 .

[3] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص198 .

[4] Williams, op. cit, p. 224 .

[5] هيرودوت ، المصدر السابق ، ص133 .

[6] سونيرون ، المصدر السابق ، ص ص91–92 .

طيور وقدر واحد من النبيذ . وفي مطلع القمر الجديد وفي اليوم السادس من كل شهر كانت القرابين تبلغ (356) رغيفاً من الخبز، و(14) كعكة ، و(34) قدراً من الجعة ، وثوراً واحداً، و(16) طيراً ، وثلاثة قدور من النبيذ[1].

ولكن على الرغم من ضخامة هذه الكميات المتنوعة من الأغذية ، فإن الإله لا يأكل منها ، وإنما كانت تقدم إلى تمثاله حيث تكمن الروح فيه ، وما إن يعتقد الكهان أن الإله قد شبع ومعه بقية الآلهة الأخرى التي يستضيفها في معبده حتى توضع تلك الأطعمة أمام تماثيل المتوفين من ذوي المقامات الرفيعة في الدولة ممن وضعت تماثيلهم داخل المعبد ، يلي ذلك سحب الطعام ليوزع بين الكهان في المعبد . وهكذا كانوا يعيشون على تلك القرابين المقدمة للإله مستمتعين بحقيقتها المادية بعد أن شبعت روح الإله ، وأرواح ضيوفه من الآلهة[2] .

وخلال الاحتفالات الدينية كانت هناك جموع من الفقراء تحضر الى المعابد لتتناول ما يقدم لها من طعام هو في الأصل ما تبقى من القرابين المقدمة للآلهة وحسمت منها حصة الكهنة ، ونتيجة لكثرة عدد أولئك الفقراء ، واندفاعهم بشكل متكرر خصصت لهؤلاء الفقراء قاعات في المعبد[3] .

أما مصدر هذه القرابين فهو إما من الدولة لاسيما في ايام الدولة الحديثة[4] ، أو من الأفراد فقد توجب على من يريد دخول معبد الإله من الافراد تقديم قربان ، فإذا فعل ذلك استطاع اجتياز الفناء الذي تكثر فيه تماثيل الكباش التي يتمثل فيها الإله ، ثم يقترب من بركة الماء التي يسبح فيها التمساح الذي يمثل الإله " سوبك " ، ومن الأفضل أن يقدم تمثالاً للإله "آمون " إذا كان من أهل " طيبة " ، وتمثالاً للإله " بتاح " إذا كان من أهل " ممفس " ؛ ليستمع الى شكواه . فالمعروف أن الإله لا يخرج من معبده إلا مرة واحدة كل عام[5] . كما تقدم ذكره ذكره في مجال الاحتفالات الدينية .

فقد كان استرضاء الآلهة يقوم على اساس معاملتهم كما يعامل البشر والتقوى تعني احياناً تقديم الهدايا للمعبودات من اللباس ، والطعام ، وغير ذلك مما يتناسب مع ثراء وفقر، وظروف وحالة ودوافع الواهب[6] .

---

[1] ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص ص298–299 .

[2] سونيرون ، المصدر السابق ، ص92 .

[3] Rawlinson, op. cit, p. 163 .

[4] ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص298 .

[5] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص86 .

[6] ابراهيم ، المصدر السابق ، ج4 ، ص189 .

ويتبقى لنا أن نذكر النوعين الآخرين للقرابين ، وهما : المتصلان بالموتى فهي إما تضحيات للموتى تعرف بالتضحيات الجنائزية ، أو هبات لصالح الأموات تعرف بالهبات الجنائزية[1] .

فقد اعتقد المصري القديم أن الموتى يعيشون ولكن بطريقة أقل واقعية ، لذا فإنهم بحاجة إلى الطعام والشراب كما كانوا يفعلون قبل مماتهم ، لذا فان الرجل منهم كان يعمل على ضمان كل شيء لروحه بعد مماته ، لاسيما أنهم أدركوا أن الموتى لا يأكلون ، ولا يشربون بأجسادهم بل بأرواحهم[2] .

ولم يقتصر حرص العديد منهم على ذلك الأمر بالإكتفاء بوجود تماثيلهم في معابد الآلهة ، بل تجاوزه إلى تكليفهم كهنة مقابرهم بتوفير عدد معين من أرغفة الخبز في الأعياد بعد موتهم ، لتوضع أمام تماثيلهم ، ثم تكون من بعد ذلك من نصيب كهنة مقابرهم[3] .

يضاف إلى ذلك القرابين التي يقدمها أهل المتوفى لفقيدهم في يوم نقله إلى قبره لدفنه حينما يضعونها أمام مومياءه[4] . بالإضافة إلى ما يقدمه الملك من قرابين الطعام والشراب، ومساهمته في دفنه ، والسماح بقطع أحجار قبره من المحاجر الحكومية المتميزة ، وصنع مداخل الروح ، والتوابيت ، والتماثيل في مصانعه الملكية وتحت إشراف كبار فنانيه إن كان المتوفى يحظى بتقدير الملك[5] .

السحر .

يعرف السحر بإنه مناداة لقوى خارقة بغية إحداث تغير ما في العالم الطبيعي ، أو بلوغ فائدة ما لشخص ما ، فقد اعتقد المصريون القدماء أن العالم مسكون بأرواح طيبة ، وشريرة، ولكل منها فائدتها أو آذاها[6]. انطلاقاً من قناعتهم بأن الأرض،والهواء،والنار، والماء مليئة بالأرواح، وأنّ كل واحد منها قادر على ايقاع الأذى بهم رغم وجود قسم آخر وصفوه بالرحمة والطيبة، وانه يميل بصورة كبيرة نحو الإنسان إلا أنَّ اكثرها–بحسب اعتقادهم – كان حاقداً وشرساً، ويريد الإنتقام من الإنسان،ومن جميع أعماله[7] . وأنهم كانوا

---

(1) ابراهيم ، المصدر السابق ، ج4 ، ص189 .

(2) Hawkes, op. cit, p. 718 .

(3) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص301 .

(4) ارمان ، ورانكه ، المصدر نفسه ، ص341 .

(5) صالح ، مداخل الروح (الأبواب الوهمية) ، المصدر السابق ، ص121 .

(6) Ward, op. cit, p. 141 .

(7) بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص235 .

قد وجدوا بأن الآلهة والموتى جزء من هذا العالم غير المرئي مما زاد في صعوبة الفصل بين السحر والدين فالسحر عند المصري القديم جزء من خبرته اليومية ومن دينه[1] .

لذا حظي السحر بالإعتراف بين الفنون والصناعات لما له من أثر بالغ في تفكير المصريين واعمالهم ، فلم يمارس قدماء المصريين عملاً ذا أهمية دون استعمال القوى السحرية . حتى ان البرديات تحوي أدلة مادية على ذلك الإزدهار الذي مر به السحر منذ أيام الأسرة الرابعة[2] .

غير أن ما تقدم لا يعني بالضرورة أن السحر لم يكن معزولاً في العصور الحجرية عن الدين ؛ لأن السحر كان مستعملاً في تلك العصور ، للإيقاع بالحيوانات التي كانت طعاماً للإنسان[3] .

ومع ذلك فإن كل الفنون السحرية في مصر القديمة تعود إلى أقدم العصور التاريخية ففي النقوش الدينية القديمة المعروفة عند المؤرخين " بمتون الأهرام " نجد الرقية للشفاء من لدغة الحية مثلاً قد انتشرت انتشاراً عظيماً في ذلك العهد ، وفي نهاية عهد الدولة الحديثة عندما تسرب الفساد إلى الديانة ، وصارت عبارة عن تكرار جمل محفوظة ، وعندما اصبح للساحر والسحر مكانة عظمى في حياة الناس الدينية[4] .

وهو الأمر الذي زاد من صعوبة التمييز بين الإيمان بقوى ما وراء الطبيعة ، والسحر، والدين[5] .

فقد تأثر المصريون القدماء بالسحر ، ولجأوا إليه لطرد الأرواح الشريرة ، واستحضار الأرواح ، وفي التأثير على تغيير مجرى الحياة الطبيعية في وقت لم تخل فيه مظاهر الحياة اليومية من آثار السحر . فلم يكن المصري يعد طعاماً ، أو يتخذ موضعه للنوم ، أو يقوم بأيٍّ عمل له أهمية في حياته دون تلاوة بعض التعاويذ ، والصيغ السحرية الخاصة والملائمة لكلٍّ من مظاهر الحياة تلك[6] . وامتزج السحر بالدين والكهانة والعرافة والطلاسم[7] .

---

(1) Ward, op. cit, p. 141 .

(2) صموئيل باسيليوس ، السحر ظاهرة اجتماعية عند الشعوب المختلفة، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة، (مج26 ، مطبعة جامعة القاهرة ، 1969) ، ج1 ، ص67 .

(3) كون ، المصدر السابق ، ص234 .

(4) استيندرف ، المصدر السابق ، ص87 .

(5) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص109 .

(6) حاطوم ، المصدر السابق ، ص18 .

(7) استيندرف ، المصدر السابق ، ص ص83-84 .

وقد نشأ السحر حينما اعتقد الناس بالطرق التي حكي أنَّ الآلهة قد استعملتها واتت بنتيجة حسنة ، لاسيما إذا ما استعملت تلك الطرق في أحوال مشابهة ، ومثال ذلك : شفاء "حوريس" من لدغة العقرب بالإستعانة بالإله " رع " الذي أرسل التعاويذ السحرية إليه مع إله الحكمة "تحوت" ، لذا اعتقد المصريون أنَّ هذه التعاويذ هي نفسها التي أدت إلى شفاء "حوريس" ، مما حل به فاستعملوها[1] .

وقد ذكر بإن " رع " أخترع السحر لأنه لم يكلف نفسه عبء معالجة كل قضايا البشر، لذا فإنه أعطى الإنسان هدية كانت هي " السحر " ، لكي يكون بإمكانه السيطرة على القوى غير المنظورة ، والقوى الخارقة للطبيعة ، ويقسم إلى : السحر الأبيض حينما يستعمل من قبل الإنسان لفائدة أخيه الإنسان . والسحر الأسود حينما يستعمل لقتل ، أو جرح الإنسان أو الحيوان[2] .

ومثلما أرتبط السحر بالدين فانه كان من الطبيعي أن يرتبط بالكهنة إرتباطاً وثيقاً في مصر القديمة في الوقت نفسه الذي اعتقد فيه بأن السحر كان مصدراً لقوة الآلهة . لهذا سميت " ايزيس " بسيدة السحر ، ويسمى الإله " تحوت " سيد السحر . وبما أن السحر هو مصدر قوة الآلهة فإن الإنسان قادر على السيطرة عليها إذا عرف تلك القوة من خلال طرق السحر المتبعة التي تشمل القيام بإعمال معينة ، أو النطق بكلمات معينة[3] .

لذا يمكن التمييز بين شكلين للسحر أولهما التعاويذ ، والتمائم ، والكلمات السحرية وثانيهما المجسمات الطينية ، والحجرية[4] . فقد أزدهرت صناعة التماثيل ، والشواهد الصغيرة التي تقام في البيوت ، أو تعلق في الرقاب ، لتوفر الحماية لحاملها من مختلف أنواع الحيوانات الشريرة . وكثيراً ما كانت تمزج آلهة عدة مجتمعة لتكون الحماية أقوى[5] .

فقد تم إقحام الآلهة في هذه الصيغ حينما استنجد السحرة بالآلهة ، لاسيما " رع " الذي يرد كل شئ أو بالإله " اوزيريس " ، و " سخمت " ، و " تحوت " لرد أذى التماسيح ، وسائر ما في الماء من إنسان وحيوان ، واستحضار " ايزيس " للشفاء من لدغ العقرب . فيما تذكر "ايزيس" لإطفاء الحرائق ولمواجهة الحيوانات المفترسة[6] .

---

[1] استيندرف ، المصدر السابق ، ص ص84-85 .

[2] بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص236 .

[3] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص79 .

[4] Ward, op. cit, p. 141 .

[5] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص346 .

[6] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص80 .

مما تقدم يظهر واضحاً تعدد الأغراض التي يستعمل فيها السحر ، وبحسب ضروريات الحياة ، فهو يصرف العاصفة والزوبعة ، ويرد اللصوص ، ويوفر الحماية من اللصوص، ومن الحيوانات المفترسة على اليابسة ، وفي الماء[1] ، وإبعاد الشياطين عن المعابد ورد العين الحاسدة[2] . وللإستشفاء من كل الأمراض ، وحالات الإختناق والغرق والحمى[3] ، ولتحضير الأدوية ، وللتخلص من السموم ، وشفاء الجروح ، ومحاربة الموتى الذين يجلبون المكاره للاحياء[4] ، ولإكتساب رضا الحبيب[5] ، وجذب الرجال للنساء ، والنساء للرجال ، ومثال ذلك: التعويذة التي تقول: " اجعل فلانة تتبعني كما يتبع الثور علفه ، وكما تتبع الخادمة اطفالها ، وكما يتبع الراعي قطيعه " ، أو " هيا قيدي هذا الذي أنظر إليه حتى يصير حبيبي"[6]. فقد كان إجتلاب الحب من أهم ما يستعمل فيه السحر في الأزمنة القديمة والحديثة على حد سواء . فقد كانت هناك العديد من الرقى الشائعة في هذا المجال مما كان يتلى سراً ليلاً[7] .

أما تسجيل السحر في كتب فقد تم بأمر من الفراعنة في مدارس توضع تحت رعاية الأخيرين حتى أن الفرعون كان يلقب نفسه برئيس السحرة . إذ لم يكن يتتلمذ في هذه المدارس إلا من أتم دروسه ، وأخذ أكبر الشهادات الدالة على نبوغه ، وتفوقه . ولا يلقب بلقب حامل الكتب الإلهية " شرحب " إلا أبناء الملوك والأمراء فقد عدت كتب السحر داخلة في العلوم المقدسة التي حفظت في دور الكتب الملكية المجاورة للمعابد[8] .

وقد وضعت الكثير من الصيغ السحرية في هذه الكتب كي لا يضيع شئ منها . فيما ابقي على طرق استعمالها سراً من الأسرار لا تنقل إلا بالتلقين وكان للسحرة إشارات يستعملونها أثناء تلاوة العزائم بالأيدي ، ولا يتم السحر إلا بها[9] .

---

(1) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص340 .

(2) سونيرون ، المصدر السابق ، ص181 .

(3) Kaster and Lane, op. cit, p. 144 .

(4) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص81 .

(5) استيندرف ، المصدر السابق ، ص83 .

(6) سونيرون ، المصدر السابق ، ص182 .

(7) مري ، المصدر السابق ، ص305 .

(8) زكري ، المصدر السابق ، ص118 .

(9) المصدر نفسه ، ص127 .

وإن الرجال الذين اصبحوا ، سحرة كانوا قد ملكوا دون شك قوى سايكولوجية تفوق العادة ، وكانوا ذوي مقدرة وذكاء كبيرين ، ويعرفون جميع علوم عصرهم ، وقد اعتادوا كتابة التسبيحات والتعاويذ والطلاسم ؛ لأن التسبيحة كانت تعد الأداة الرئيسة للساحر الذي يؤدي تعاويذه المؤثرة وهو على طهارة ، ويرتدي رداءه وتجهيزاته الخاصة بنغمة خاصة، وبصورة صحيحة لأن نسيان جزء من تلك التسبيحة يعني بطلان أثرها[1] .

وعليه كان الكاهن المرتل بارعاً في شؤون السحر والرقى ، لاسيما أنه أعتاد في حياته المدنية ممارسة مهنة طارد الجن وأمور أخرى مما تقدم ذكرها[2] .

أما أهم مستلزمات حصول السحر وفعاليته فهي ان يتطهر الساحر قبل كل شيء اذا أراد أن يتلوا ورداً جالباً للحظ مثلاً ، ثم أنه يستعمل نوعين من الزيوت ، ويتبخر من وراء اذنيه ، ويطهر فمه بملح النطرون ، ويغتسل بماء الفيضان ، ويتخذ نعلاً من الجلد ويرسم على لسانه علامة الحق بمداد اخضر ، ويدخل دائرة لا يجوز له أن يتركها طوال أدائه للطقس السحري وتضاف مستلزمات أخرى في طقوس السحر لإغراض اخرى يستهدفها الساحر[3] .

هذا وينقسم السحرة إلى طائفتين – تعد الأولى قانونية ، والأخرى غير قانونية ولا تعترف الدولة إلا بالقانونيين للممارسة السحر ، وتعتمد عليهم ، وتعول على رأيهم في الطوارئ ، لاسيما أنَّ الفراعنة كانوا يجلون هؤلاء السحرة ، ويلقبونهم بكتبة بيت الملك وكتبة الحياة[4] .

ففي حالات كثيرة مارس رجال الدين العمل كسحرة يدعون الآلهة لمساعدة الأحياء أثناء تأديتهم لبعض الطقوس الدينية . إلا أنَّ هنالك أشخاصاً من غير الكهنة كانوا قد مارسوا السحر وليست لديهم مناصب دينية ممن اثبتوا فعالية في ممارسة السحر ، لذا كان المجتمع يرحب بهم ، لاسيما أن السحر والطب كانا مرتبطين ببعضهما بشكل وثيق لدرجة أنَّ المصري القديم كان يعد الحمى والصداع ذات علاقة بقوى الشر ، مما جعل الطب ميداناً للساحر حتى أنَّ العديد من المخطوطات الطبية تبين وجود التعاويذ السحرية كعلاج ، أو أنَّ بعض العلاجات تتم بعد تلاوة تعويذة سحرية فضلاً عن الإهتمام بالاعشاب الطبية ذات المزايا السحرية[5] .

---

[1] بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص236 .

[2] سونيرون ، المصدر السابق ، ص182 .

[3] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص338–339 .

[4] زكري ، المصدر السابق ، ص ص118–119 .

[5] Ward, op. cit, p. 145 .

وقرب الفراعنة السحرة لتسليتهم بالالعاب السحرية ، أو في تفسير أحلامهم[1] لاسيما أن كتباً في تفسير الأحلام قد وضعت منذ أيام الدولة الحديثة تماثل ما في عصرنا من تفاسير للأحلام ، ومثال ذلك : أن تلك الكتب نصت على أن من يحلم بسقوط اسنانه فإنه سيموت قريباً، وإذا رأى الانسان نفسه في المرآة فهذا فال سيء ، أو أن معناه زوجة ثانية . ومن يحلم بقطة كبيرة فإنه سيحصل على محصول وفير[2] ، فضلاً عن وجود بعض التفسيرات الملغزة، أو ذات رموز[3] .

أضيف إلى السحر مهنة أخرى وهي كشف الطوالع[4] ، والتنبؤ بما يخبأهُ الغيب ، ودرء خطر العين الحاسدة ، بعد أن انتشرت العرافة في العصر المتأخر حينما أصبح يستحب تسمية الاطفال باسماء يظن بانها تقيهم العين الشريرة[5] .

فقد استعان الكهان الذين امتهنوا هذه المهنة بالآلهة من خلال طرحهم لفظاً ، أو بحركات على الأرض بغية إجابة الناس عن اسئلتهم ، وقضاء حاجاتهم ممن كانوا يؤمنون أيضاً بإن هنالك أيام سعد ونحس في حياتهم[6] .

وكان الكهنة يضعون إناءاً مملوءاً بالماء ، ومن فوقه طبقة رقيقة من الزيت يركع أمامه طفل يفتح عينه في الماء ، فإذا لاح ضوء من سطح الزيت فإن ذلك يعني حصول الإتصال بالإله الذي يكشف المستقبل والأسرار[7] . ولما كثرت مثل تلك الاعمال تراكمت الأموال لدى الكهنة والسحرة[8] .

ولعمل سحر مضاد كان يتم كتابة أسماء من يخشى خطرهم مع بيانات دقيقة عنهم على قدور ، بغية تسهيل مهمة الآلهة والأرواح ، للإهتداء إليهم ، وممارسة السحر عليهم ، ثم تهشيم تلك القدور ، لإحداث السحر المضاد ، ثم أضيفت إلى تلك الأسماء عبارات ، وأفكار واحلام سيئة ، كان يخشى منها أن تحل بطالب عمل السحر ، وبعد تهشيم القدور فإنَّ ذلك

---

[1] زكري ، المصدر السابق ، ص119 .

[2] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص81 .

[3] Kaster and Lane, op. cit, p. 153 .

[4] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص348 .

[5] الدباغ ، الفك الديني القديم ، المصدر السابق ، ص81 .

[6] استيندرف ، المصدر السابق ، ص ص87-89 .

[7] سونيرون ، المصدر السابق ، ص182 .

[8] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص349 .

الشخص يتخلص من كل ما يرهقه من تلك الامور والشرور . وكان يصنع تمثال من الطين أو الشمع تعلق به لوحة من البردي ، ويحطم في موضع معين ، وذلك لتوفير الحماية[1] .

وحين لا تكفي تلك الأمور للتأثير على السحر كان يتم توسيط أحد الأموات لرد ذلك السحر وإنهائه[2] . ويمكن تسخير الآلهة لذلك الغرض ، لاسيما بعد قنصها ، وحفظها في تماثيل بواسطة التعاويذ السحرية[3] وكذلك الامر بالنسبة للحيوانات الاليفة، والمؤذية كالثور، والكبش ، والثعبان ، والذئب التي تدخل في التعاويذ السحرية المستعملة في الحياة العامة[4] .

واعتقد المصريون القدماء بأثر السحر في عالم ما بعد الموت ، لذا اعتمدوا عليه في شؤونهم حتى أنهم أعتقدوا بأن الصيغ السحرية تمكنهم من التأثير حتى على الآلهة ، ومثال ذلك: النقوش والكتابات السحرية على جدران حجرات الأهرام وممراتها منذ عهد السلالة الخامسة والسادسة[5] ، والنقوش الموجهة للملك الميت كي يستعملها للإنتصار على الموجودات في العالم الآخر[6] .

يضاف إلى ذلك فإن كتاب الموتى كان يعد كتاباً للتعاويذ السحرية بالنسبة للموتى، ومثال ذلك : تعويذة " يا قلبي لا تقف ضدي كشاهد "[7] .

أما القدرة السحرية الكامنة في التماثيل والصور مثل العقارب والثعابين فقد تنبه إليها المصريون القدماء وتنبهوا إلى أن تلك الكائنات ستلتهم القرابين المعدة لصاحب المقبرة ، لذا فإنهم سلبوها قوة الحياة ببتر أعضاء معينة من صورها فقد رسمت الطيور والحيوانات بلا أرجل ، والعقارب بلا أذناب[8] .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل وضعت تعويذات في المقابر لتحويل الملك في عالمه الآخر إلى ساحر ، لاسيما إذا ما كان الميت في حظرة " آتوم " إله الشمس[9] .

---

(1) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص342-343 .

(2) مري ، المصدر السابق ، ص307 .

(3) حسن ، المصدر السابق ، ج1 ، ص221 .

(4) المصدر نفسه ، ص ص240-243 .

(5) باقر ، المصدر السابق ، ص99 .

(6) Jacqmetta Hawkes, History of Mankind. Cultural and scientific Development, Vol. I (London, 1964). P. 723 .

(7) برستيد ، المصدر السابق ، ص412 .

(8) سبنسر ، المصدر السابق ، ص ص181-182 .

(9) حسن ، المصدر السابق ، ج3 ، ص502 .

فقد كانت معرفة التعاويذ السحرية وحيازتها وسيلة هامة للغاية ، لإحراز القوة والسعادة بعد الموت للملك وللأفراد الآخرين[1] .

لأن الصيغ السحرية لم تكن تؤثر على الاحياء وحدهم فقط بل تتجاوزهم الى المـــوتى وكان المصريون القدماء يعتقدون إذا ما كرر مثلاً شخص الكلمات الآتية في إحـــدى المقـــابر "قربان يعطيه الملك ، وقربان يعطيه انوبيس ، ألف من الخبز ، وألف من الجعة ، وألف مـــن الثيران ، وألف من الارز لك فلان " ، فان ذلك يهيئ للمتوفى الإستمتاع بالأطعمة الجنزية[2] .

.

والسحر بالنسبة للمتوفى لا يقتصر على ما تقدم من أغراض ، بل يتجاوزه إلى ضمان النصـــر العظيم له في السماء ، وتجنبه العقبات ، والمخاطر التي قد يتعرض لها من الكائنات الشـــريرة في العالم الآخر عن طريق التراتيل ، وتعريف المتـــوفى بالصـــعوبات ، والمخـــاطر دون أن تستهدف تلك الطقوس تحويل الميت إلى إله[3] . فالديانة الجنزية كانت مؤسسة على مجموعـــة من الصيغ ، والطقوس التي ألفها الكهان[4] .

---

[1] تشرني ، المصدر السابق ، ص124 .

[2] ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص327 .

[3] يويوت ، المصدر السابق ، ص75 .

[4] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص109 .

التحنيط ، وحفظ جثة الميت

يطلق على العملية التي جرت في مصر القديمة بداية عهد الأسرات والتي تستهدف المحافظة على جسم الميت بالتحنيط . فيما يطلق على الجثة التي تمت معالجتها بالتحنيط بالمومياء[1] . وهي لفظة مشتقة من كلمة " Mum " وهي مادة مكلفة تستعمل في عملية التحنيط[2]. وهذه المادة كانت من أكثر العقاقير شيوعاً في مجالات الأدوية ، وراجت تجارتها؛ لأهميتها في تجفيف الجثث المراد تحنيطها[3] .

أما عن اسباب نشوء التحنيط ، أو الهدف منه ، فتعود الى جملة من العقائد المصرية القديمة . فقد ساد الاعتقاد في مصر القديمة بإنَّ الروح تحيى بجوار الجثة في القبر ، مما أوحى بالاجراءات اللازمة لحماية الجسم من خلال التحنيط الذي يقصد منه جعل الجثة غير قابلة للفساد ولأنَّ الأخير يؤدي الى ابادة الروح التي يجب عليها أن تعود إلى الجسد من جديد، كي تتغذى على القرابين المقدمة للميت[4] .

فقد أمن المصريون بأنَّ الروح تفترق عن الجسد ، فتكون على هيئة طير ، إلاَّ أنها تغادر هذه الهيئة لتعود الى الجسم القديم الذي إذا سمح له بالتفسخ فإنَّ الروح لا يمكن لها العودة اليه مطلقاً ، فأصبح التحنيط ضرورة لإنقاذ الجسد الميت من التلف ، وبالتالي تسهيل عودة الروح اليه[5].

وكذلك اعتقد المصريون القدماء بإنَّ بقاء الروح " الكا " متمتعة بالحياة يتطلب شروط معينة ، لذا اتخذوا وسائل عدة لتسهيل هذه المهمة ، فاقتضى الأمر حفظ الجسد بالتحنيط حتى تحل فيه الروح عندما تريد[6] . أي أن يتم تشجيع الروح لتعود إلى الجثة ، والتلبس بها[7] .

واعتقد المصريون القدماء أن التحنيط يحفظ قوة الحياة ، لاسيما بعد منح الجسم القوة الحيوية ، كإمكانية الكلام ، والاشارة بعد التحنيط[8] فقد امنوا بعدم امكانية حياة الروح إلى ما

---

[1] باقر ، المصدر السابق ، ص100 .

[2] Neubert, op. cit, p. 63 .

[3] Leslie Greener, The Discovery of Egypt, (London, 1966), p. 39 .

[4] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص103 .

[5] Rawlinson, op. cit, p. 63 .

[6] الخطيب ، المصدر السابق ، ص136 .

[7] صالح ، الشرق الادنى القديم ، المصدر السابق ، ص315 .

[8] المرزوقي ، المصدر السابق ، ص170 .

لا نهاية دون المحافظة على الجسد[1] الذي ركزوا على المحافظة على شكله الخارجي، ليتمتع به صاحبه أثناء خلوده في عالم الموتى[2] .

وفيما يتصل بالفرعون فقد آمن الناس أن من مصلحتهم بقاء الميت العظيم (الفرعون) حياً ، لأنه ما دام حياً لن يعانوا أبداً من مشكلة نقص الطعام ، فهم يعدون الفرعون المسؤول عن زيادة الحاصل الذي يزرعونه ، ويحرصون على زيادته ، وعليه فإن دوام حياة جثة الفرعون تؤدي المصلحة نفسها لهم ، لذا فإنهم كانوا مع تحنيطها ، وابقاءها حية بواسطة التحنيط[3] .

ولم يبتعد خيال المصري القديم في تبرير التحنيط عن الآلهة ، بل ربط التحنيط بأوزيريس من خلال القول بأنَّ التحنيط جاء على الصورة التي يظن أن جسد أوزيريس قد تم تحنيطه على وفقها بالتعاون بين ايزيس وانوبيس[4] .

فتخيل المصريون بأن للتحنيط راعيٌ قادرٌ على حفظ جثث الموتى وحاميٌ للجبانات ممثلاً "بأنوبيس" وانتشر الايمان بذلك من طائفة إلى أخرى حتى أصبح الجميع يتوجهون إليه بدعواتهم الأخروية فقد عدوه رباً للتحنيط ، بارعاً فيه ، ورمزوا إليه بهيئة ابن آوى[5] ، الذي ساعد ايزيس في تحنيط اوزيريس ، فجعل إلهاً للتحنيط مكافأة على عمله[6] ، وبالنتيجة أسند المصريون فن التحنيط إلى براعة الإله " انوبيس " ، وقد دل على ذلك براعته في تحنيط جثة اوزيريس[7] .

ومن كل ما تقدم من العقائد التي يكمل بعضها بعضاً يتضح انها تركز على فكرة واحدة تقريباً هي : فكرة الخلود فإنَّ التحنيط لم يدخل حيز التطبيق إلا في عهد الأسرة الثالثة[8] . إذ لم يظهر دليل على محاولة الحفاظ على جثث الموتى بالتحنيط في عصور ما قبل التاريخ[9] سوى ما ظهر في بداية العصر التاريخي من انتشار استعمال التوابيت التي تحللت فيها أجساد الموتى ، حتى أدرك المصريون حقيقة أنهم لن يستطيعوا مقاومة الفناء ، لذا عمدوا إلى

---

[1] Ward, op. cit, p. 125 .

[2] Richard Carrington, The Tears of Isis : The story of A New Journey from The mouth to the source of the River Nile, (London, 1959), p. 148 .

[3] الخطيب ، المصدر السابق ، ص131 .

[4] ابراهيم ، المصدر السابق ، ج2 ، ص191 .

[5] صالح ، الشرق الادنى القديم ، المصدر السابق ، ص315 .

[6] سالم ، المصدر السابق ، ص41 .

[7] رزقانه واخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص97 .

[8] مري ، المصدر السابق ، ص271 .

[9] تشرني ، المصدر السابق ، ص126 .

محاولة حفظ أجسادهم بطريقة صناعية بعد أن ثبت لهم فشل حماية التوابيت لأجسادهم ، وعدم بقاء شيء مما دفنوه في رمال الصحراء ، إلاَّ الهياكل العظيمة[1] .

لذا دخل التحنيط حيز التطبيق في عهد الأسرة الثالثة التي شهدت –أيضاً– دخول عبارة الشمس ، واستعمال الحجر[2] في اقامة الأبنية الضخمة ، وتشييد الأهرام للملوك ، والمصاطب والمصاطب لكبار النبلاء في البلاد إذ أنَّ أقدم مومياء مكتشفة تعود إلى الأسرة الثالثة[3] التي دلت القبور فيها على أن المصريين كانوا يعمدون الى نزع الجلد ، وتجريد العظام من اللحم ، ثم لف الأعضاء منفصلة ملفوفة بلفائف من الكتان ، ومضمومة الى بعضها ، ثم يتم لف الجسم بالكامل ، ليدفن . وفي تلك المدة عرف المصريون طريقة التحنيط بالطرق الكيمياوية التي تم بواسطتها اخراج الأمعاء والحوايا التي تم حفظها ببعض المواد الكيمياوية ، ومنها النطرون والقار[4] . بعد أن كانت الطريقة اللازمة لتجفيف الجثة تتم بملامستها رمال الصحراء التي كانت كافية لإحداث التجفيف الذي يحفظ الرفات البشرية[5]، ثم يلفونها بجلود بعض الحيوانات، الحيوانات، أو بحصران القصب ، ثم يدفنونها[6] .

وعليه تمت أول محاولات التحنيط في العصر " الثيني " بوضع النطرون على الجثث وهي محبوكة في الاكفان التي يتم لفها بأربطة مشبعة بالراتنج[7] ، ثم تطورت الطريقة بعد ترسخ العقائد الخاصة باوزيريس ، ونضوج محاولات المصريين ، وتجاربهم في فن التحنيط. فأخذ المحنطون يرفعون الأحشاء الداخلية للجثة ، ثم يجففون تلك الأحشاء بالشمس ، أو يملحونها ، ويربطونها ، لاسيما أجسام الملوك في عهد الأسرة الثالثة على الأرجح[8] .

فقد أخذ المحنطون يتفننون بالتحنيط ، واجراء أحسن العمليات[9] . فملؤا التجويف بالتوابل والراتنج ، ولفوا الجثة بالكتان الرقيق . فيما وضعوا أحياناً قناعاً جصياً مذهباً فوق

---

(1) سبنسر ، المصدر السابق ، ص132 .

(2) للتفاصيل عن استعمال الحجر في اقامة الابنية الضخمة والمقابر ينظر : سيريل الدريد ، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، ترجمة : مختار السويفي ، ط3 (القاهرة : العربية للطباعة والنشر ، 1996) ، ص ص124–125 .

(3) Murray, op. cit, p. 185 .

(4) بدوي ، المصدر السابق ، ص164 .

(5) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص103 .

(6) باقر ، المصدر السابق ، ص104 .

(7) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص103 .

(8) باقر ، المصدر السابق ، ص104 .

(9) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص94 .

الوجه ، ثم وضعوا المومياء كلها في تابوت خشبي على شكل صندوق ، وحنطوا الأعضاء الداخلية كلاً على حدة ، ولفوها بالكتان ، ووزعوها على أربعة أواني تسمى الأواني الكانوبية[1] التي توضع في صندوق الى جانب التابوت في غرفة الدفن[2] .

وبغية تعويض أكثر الأجزاء أهمية من الجسد وهو الرأس ظهرت عادة في مصر القديمة منذ أيام الأسرة الرابعة تقضي بأن يدفن مع المتوفى رأس بديل يماثل صورة وجهه منحوت من الحجر [3] .

أما أهم المراحل التي تمر بها الجثة في عصر الدولة الوسطى ، فهي : غسل الجثة، وتطهيرها ، وهذا ما يتطلب وقتاً قصيراً ، ثم يبدأ التحنيط الذي يحتاج لوقت أطول على الرغم من أنه لم يكن كامل الاتقان إذ يتم إزالة الاعضاء الداخلية بما فيها المخ ، ثم تحفظ هي والجسم بالجير الحي أو بنقعها في الملح[4] . فتستمر العملية سبعين يوماً قبل تسليم مومياء المتوفى الى أقاربه[5] بعد أن تمت عملية التحنيط بشكل جيد ، ووضعت باقي الأعضاء المستخرجة من الجسد في جرار خاصة لترافقه في القبر[6] .

ومع كل ذلك الجهد والعناية ، بقيت مومياءات الدولة الوسطى دائماً هشة[7] ، رغم المعالجة ، بالراتج ، والعطور ، والتوابل الغالية الثمن ، والمقصورة على كبار شخصيات البلاد[8] .

أما وضع اليدين بعد عملية التحنيط فقد اتخذ اشكال عدة فتارة تغطيان العضو التناسلي، وتارة اخرى تمتدان على طول المومياء ، واحياناً تعقدان على الصدر[9] .

---

[1] يرجع أصل هذه الأواني إلى بحار اسمه " كانوبس " ظن اليونانيون أنه كان يعبد بهيئة إناء منتفخ له رأس أدمية ، تمثل أصحابها ، أما في عهد الأسرة الثامنة عشرة أصبحت صوراً لأولاد حورس الأربعة الذين يحرسون الأحشاء ، ينظر : سبنسر ، المصدر السابق ، ص181 .

[2] مرى ، المصدر السابق ، ص272 .

[3] تشرني ، المصدر السابق ، ص127 .

[4] Ahmed Fakhry, The Pyramids, (London, 1961), p. 16 .

[5] مري ، المصدر السابق ، ص272 .

[6] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص94 .

[7] Carrington, op. cit, p. 148 .

[8] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص103 .

[9] سبنسر ، المصدر السابق ، ص133 .

وفي عهد الدولة الحديثة تدفقت الأفاويه ، والعطور الأسيوية إلى السوق المصرية، فظهرت المومياءات الجميلة التي لا تبلى ، والتي لم يكد لحمها ينكمش ، ولم يسود جلدها إلا بمقدار بسيط[1] وطليت باللون الأخضر دلالة على الحياة[2] .

فتقدم التحنيط في هذا الوقت تقدماً كبيراً ، يفوق التقدم الذي تحقق في الدولة الوسطى من أنواع عدة منها : ما يتصل بالأواني الكانوبية التي أصبحت أغطيتها تمثل أولاد حورس الأربعة وهم آلهة الجهات الأربع الأصلية . فاتخذت شكل رأس بشري ، ورأس قردة ، ورأس ابن آوى ، ورأس صقر ، لذا كانت الأحشاء الداخلية للمتوفى المحفوظة في تلك الأواني في حماية ايزيس ، ونفتيس ، ونبت ، وسلكت[3] .

وتزايد ظهور التماثيل الصغيرة التي تمثل في الأصل الميت نفسه ، واندمجت مع تماثيل الخدم ، وأصبحت تسمى " الأوشابتي " ، ويكتب عليها اسم صاحبها[4] ، وقد تمت تغطية هذه التماثيل القصيرة بطبقة مزججة زرقاء لامعة جميلة ، فيما كتبت عليها كتابات سوداء عمودية من الأمام[5] .

وفي عهد الأسرة الحادية والعشرين ظهرت طريقة تحشية الجثث ، فاستعمل المحنطون نشارة الخشب والطين لهذا الغرض[6] ، وهي طريقة شاعت فقط لمعالجة جثث كبار رجال البلاد من أصحاب المراكز العالية ، بهدف اظهار المومياء الخاصة بهم بمظهر الشخص الحي من خلال حشو الوجنات وغيرها من أجزاء الوجه بالطين الذي يدفع الى الداخل من فتحات تعمل في الجلد ، وقد رافق ذلك طلاء وجه الميت بالألوان ، كما شاع وضع التمائم على الجثة[7] .

هذا وقد ترك لنا هيردوتس وديودورس الصقلي تفاصيل عن طرق التحنيط التي مورست في مصر القديمة من حيث الأثمان والطقوس ومدتها[8] .

---

[1] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص103 .

[2] Elise J. Baumgartel, The Cultures of prehistoric Egypt, Vol. II (London, 1960), p. 104 .

[3] مري ، المصدر السابق ، ص274 .

[4] المصدر نفسه ، ص274 .

[5] المصدر نفسه ، ص275 .

[6] سبنسر ، المصدر السابق ، ص136 .

[7] مري ، المصدر السابق ، ص275 .

[8] المصدر نفسه ، 275 .

فللتحنيط ثلاث درجات أو طرق من حيث الأثمان والتعقيد ، كان أكثرها كلفة يكلف أهل المتوفى ثلاث وزنات فضة ، أي ما يقارب 5.500 فرنك ذهب[1] أو مائتان وخمسون دينار ، وكانت الثانية تكلف نحو ستين دينار ، فيما كانت الثالثة ذات نفقات أقل بكثير تتناسب مع بساطة طقوسها[2] .

وتتلخص الطريقة الأكثر تعقيداً بأن يحضر المحنطون المعروفون بالمهارة والاختصاص الى بيت المتوفى بعد استدعاء أقربائه لهم ، فيستلمون جثة المتوفى ويضعونها على منضدة ، ثم ينقلونها الى موضع عملهم الذي كان عبارة عن خيمة تسمى مكان التطهير، أو المنزل الطيب . حيث تجرى على الجثة فعاليات عدة تصل إلى سبعين يوماً يتم فيها تقليد اسلوب المعالجة التي تلقاها اوزيريس ، وعليه يصبح الشخص المتوفى خلال ذلك أوزيريس[3] أوزيريس[3] اذ يلقب الميت بالاوزيريس ، فيقال الأوزيريس فلان ، وهذا شمل الملوك فقط في في الدولة القديمة ، إلاَّ أنه عم تدريجياً فيما بعد حتى شمل جميع الموتى[4] .

وخلال عملية التحنيط كان المحنطون يشخصون الآلهة التي شاركت في تحنيط جثة أوزيريس ، فكان كبيرهم هو الإله " انوبيس " بينما كان مساعدوه يوجدون مع أبناء حورس، ومع الإله " خنت ختاي " . أما كاهن الخدمة والكاهن المرتل فكانوا يعيدون قراءة التعليمات للمحنطين ، ويرددون الرقى المناسبة ، لاسيما وإنَّ اجراءات التحنيط تبدأ بغسل الجثة بماء النيل[5] ، ونثر البخور عليها ، وتطهيرها من قبل كاهن اسمه " سم " ، وذبح الثور قرباناً[6]. وفي غضون ذلك ينشغل أهل المتوفى باحضار المواد التي طلبها المحنطون مما يتصل بالأثاث الجنائزي[7] .

يلي ذلك اخراج المخ بواسطة خطاف[8] من الحديد يتم ادخاله الى المخ من فتحة الأنف، فيتم اخراج المخ قطعة قطعة[9] . واذا ما تعقد ذلك فإنَّه يتم استخراج المخ بواسطة

---

[1] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص103 .

[2] باقر ، المصدر السابق ، ص103 .

[3] تشرني ، المصدر السابق ، ص ص149–150 .

[4] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص104 .

[5] تشرني ، المصدر السابق ، ص ص149–150 .

[6] ابراهيم ، المصدر السابق ، ج2 ، ص152 .

[7] Williams, op. cit, p. 236 .

[8] يذهب سبنسر بان طريقة اخراج المخ لا تتم قطعة قطعة وانما بواسطة التصاق اجزاء المخ بالقضيب المعدني الذي يصل الى داخل الجمجمة ينظر : سبنسر ، المصدر السابق ، ص132 .

[9] المصدر نفسه ، ص132 .

عقاقير كاوية[1] ثم ظهرت طريقة جديدة لاستخراج المخ تتم بإدخال خطاف حديدي عبر فتحة في الجمجمة ولكنها لا تبدأ بالأنف وإنما في العنق عن طريق احداث فتحة في الاخير ، للوصول إلى المخ لاستخراجه[2] .

وبعد اتمام استخراج المخ تحول الجثة لكاهن معني فقط بشق بطنها مستعملاً في ذلك سكيناً حجرية تسمى بالحجر الجبسي ، وما ان يتم ذلك حتى يرمي الكاهن تلك السكين ، ويفر هارباً[3] . وهو ما يمكن تفسيره بالخوف والهيبة من فتح الجسم الانساني أما استعمال الحجر فيبدو أنه لتجاوز إصابة الجثة بنجاسة السكين المعدنية[4] .

أما عن هروب الكاهن المعني، وإنه يهرول ومن ورائه اقارب الميت ورميه بالحجارة، لاعتقادهم بأنه مذنب بجرم شنيع وكريه ، لأنه جرح الجسد ، وأفصح عن عنفه نحوه[5]، فهو كلام لا يمكن قبوله لأنَّ أهل المتوفى يتركون المتوفى في عهدة المحنطين منذ لحظة استلام جثته من قبل المحنطين ولأن المحنطين يحظون باحترام عالي بين المصريين القدماء .

وبعد فتح بطن المتوفى تبدأ عملية استخراج الأحشاء الداخلية ، عدا القلب[6] ، حيث يدخل أحد المحنطين يده في صدر المتوفى وبطنه ، لاستخراج الأحشاء الداخلية[7] ، يلي ذلك قيام كاهن أخر بتنظيف ، وتطهير هذه الأحشاء ، وغسلها بمحلول من الشراب والعطور[8] .

يلي ذلك تتبيل الجثة ، وتحشيتها بالمر والقرفة ، ومواد عطرية أخرى[9] ، ولكن يستثنى من ذلك البخور[10] ، ثم يخيطون الجسم ، ويتركونه منقوعاً مدة سبعين يوماً في محلول[11] ملح النطرون ، ثم انهم يغسلونه بعد ذلك[12] ، ويدهنونه بمراهم وزيوت معينة ، ثم

---

(1) استيندرف ، المصدر السابق ، ص114 .

(2) سبنسر ، المصدر السابق ، ص132 .

(3) باقر ، المصدر السابق ، ص101 .

(4) المصدر نفسه ، ص101 .

(5) Williams, op. cit, p. 236 .

(6) Loc. Cit .

(7) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص104 .

(8) Williams,Loc. Cit.

(9) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص104 .

(10) Williams, op. cit, p. 236 .

(11) يذهب سبنسر الى القول بإنَّ المصريين لم يستخدموا محلول النطرون الملحي لانه يتلف الجثة بسرعة بل استخدموا مسحوق الملح لفعاليته في تجفيف الجثة ، سبنسر ، المصدر السابق ، ص126 .

(12) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص104 .

يعرضونه على أقاربه عندها يبدأ تحديد موعد اقامة الطقوس الجنائزية، تمهيداً لدفن الجثة[1]، ولكن بعد ان يتم تلوين الوجه ، والشفاه ، والأظافر ، وراحات اليدين ، وباطن القدمين[2] .

بعد ذلك يبدأ المختصون بالتكفين بلف الجثة بلفائف من القطن أو الكتان ، ولصقها باللبان[3] ، مع دس الأفاويه خلال عملية اللف بين اللفائف[4] ، ثم يعاد الميت الى أقاربه الذين الذين يضعونه في تابوت خشبي يشبه جسم الإنسان[5] . وتستعمل خلال عملية التحنيط مواد كثيرة، أهمها : خمس عشرة مادة ، هي : شمع النحل لتغطية أذان وعيون الميت، وفتحة أنفه، والفم، والشق الذي أجراه الجراح في بطن الميت ، والخيار ، والدارسين ، وزيت خشب الأرز ، وهو في الحقيقة الزيت الناتج من شجر العرعر ، والصمغ ، والحناء ، وثمار العرعر، والبصل ، ونبيذ النخيل (عرق البلح) فضلاً عن أنواع من المواد الراتنجية ، ونشارة الخشب، والقار ، والقطران ، والنطرون الذي يتوفر في الوادي ، والملاحات الموجودة غرب الفيوم[6].
الفيوم[6].

وقد اعتقد المصريون القدماء أن هذه المواد هي نتاج دموع الآلهة التي تساقطت على الأرض عندما بكوا على موت " اوزيريس " . وهي تحيي جسد الميت المحتفظ بقوى هذه الآلهة[7] على الرغم من أن هذا الجسد لا يبقى منه بعد انقضاء السبعين يوماً إلا الجلد والعظم[8] .

فبعد انتهاء التحنيط يصبح الجسد هيكلاً عظمياً مكسواً بجلد أصفر اللون رغم احتفاظ الوجه بشكله الأصلي ، ويمكن التعرف عليه رغم أنَّ الخدود غائرة ، والشفاه تكون دقيقة[9] .

يلي ذلك اكساء المومياء بالملابس ، وتزيينها بالحلي ، فتعلق بها العقود والقلائد والتمائم، لاسيما قرب القلب ، وتوضع الأساور والكفوف ، والصنادل ، والخواتم[10] .

---

[1] Williams, op. cit, p. 234 .

[2] Ibid, p. 234 .

[3] Ibid, op. Cit, p. 236 .

[4] دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص104 .

[5] Williams, op. Cit, p. 236.

[6] مونتيه ، المصدر السابق ، ص432 .

[7] تشرني ، المصدر السابق ، ص150 .

[8] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص92 .

[9] مونتيه ، المصدر السابق ، ص433 .

[10] المصدر نفسه ، ص433 .

فقد كان من عادة المصريين القدماء دفن مقدار كبير من المجوهرات مع موتاهم كي تتمتع بها ارواح الموتى كما كانوا يعتقدون[1] .

وكانت توضع صفحة سميكة من الذهب على هيئة ورقة في موضع الجرح الذي استخرجت منه الأحشاء الداخلية ، ورسمت على هذه الورقة عين لأن خاصيتها هي شفاء الجروح ، وكان الميت يزود بكتاب الموتى الذي يوضع بين ساقيه ، ليكون له مرشداً في الآخرة . وكان يتم يلف الجسد والأعضاء الخاصة به بلفائف من الكتان ، ثم يقنع بقناع مصنوع من الذهب مربوط بخيوط إلى ثياب المتوفى من الملوك ، أما العامة فقد قنعت مومياءاتهم بقناع من القماش ومن خليط المرمر المسحوق ، والجير ثم يتم لف الجثة بأكملها بكفن يثبت بواسطة شرائط متوازية[2] .

أما المنضدة التي حنط عليها الميت والبقايا الناتجة عن عملية التحنيط فقد حرص المصريون على دفنها قرب المقبرة ، لأنها تحتوي على بعض أنسجة الميت ، وليكون جسد الميت كاملاً غير منقوص في العالم الآخر في الوقت نفسه الذي لم يسمحوا بدفنها داخل المقبرة ، لأنها تفتقر إلى الطهارة الطقسية ، ولأنها ببقائها خارج القبر ولكن على مقربة منه تحول دون تمكن أعداء المتوفى من الحصول على أجزاء من جسده خشية استعمالها لغرض سحري شرير ، أو لإنزال الأذى به[3] .

إنَّ ما تقدم يمثل الطريقة المكلفة التي مورست على جثث الملوك والأثرياء في مصر، أما الطريقة الأقل كلفة وتعقيداً فتتم بإزالة الأحشاء الداخلية للجسم بتمديد جثة المتوفى في محلول ملحي مدة سبعين يوماً وتبلغ كلفة هذه الطريقة نصف كلفة الطريقة الأولى ، وهنالك طريقة تتمثل بحقن الجسم من خلال الأوردة الدموية بمادة قوية محافظة ، ثم يوضع الجسم في محلول ملحي مدة سبعين يوماً فيما تغسل الأجزاء الداخلية بزيت النخيل، وتجفف بالأعشاب، ثم توضع هذه الأجزاء في أربع أوانٍ ، تحتوي الأولى على القلب ، والأخرى على الكبد ، فيما تحتوي الآنيتين الأخيرتين على باقي الاعضاء[4] ، بسبب الاعتقاد بان ذلك الحفظ يحميها من الإحساس بألم الجوع والعطش[5] .

هذا وتنقش سطوح هذه الأواني وتهدى للآلهة وتدفن مع الجثة التي توضع التمائم حول عنقها ، إضافة الى التماثيل التي تساعد الميت في العالم السفلي ، وحجارة حمراء كان

---

[1] Arthur Weigull, Tutankh a man and other Essays (New York, 1924), p. 41 .

[2] مونتيه ، المصدر السابق ، ص433 .

[3] سبنسر ، المصدر السابق ، ص129 .

[4] Nina Nilson, Your Guide to Egypt (London, 1964), p. 22 .

[5] ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص336 .

المصريون يعدونها مفتاح للحياة مع أصابع صناعية متوسطة الحجم تمثل اصبعي حورس لمساعدة الميت[1].

وفيما كانت عملية التحنيط تتم من قبل المحنطين بطلب من ذوي المتوفى فإنَّ جثة الغريب ، أو الجثة الطافية في النهر ، أو جثة أيٍّ انسان مقتول من قبل حيوان كانت تحظى باحترام وتبجيل بين المصريين ، لاسيما أبناء المدينة أو القرية التي تكتشف تلك الجثة بالقرب منها ، فيتم تحنيطها واحراقها في مكان مقدس وكأنها جثة إله[2] .

وعلى أثر إتمام عملية التحنيط التي كان لها أثر فاعل في تطور التشريح والطب في مصر[3] كان يتم تجهيز الميت بكامل جهازه ، ويوضع في تابوت مزخرف مليء بالأدعية السحرية[4] ، بعد أن كان ذلك التابوت لا يتألف أكثر من حصير ، أو جلد ، أو نسيج تطور إلى السلة التي تطورت بدورها إلى الصناديق الخشبية في عهد الأسرة الأولى ليتطور في عهد الأسرتين الثالثة والرابعة من ناحية الصنع والزخرفة ، فظهر كأنَّه بيت للسكن ذو باب وشبابيك وستائر ، ثم التفنن بها منذ عهد الأسرة السادسة وحتى الأسرة الثانية عشرة من ناحية الصناعة من الأخشاب الثمينة كخشب الأرز ، وزخرفتها بأسماء أصحابها ، والأدعية والصلوات للآلهة والأموات ولأولاد حورس بحقول متوازية منتظمة ورسمت فيها خارطة وتعاويذ سحرية لإرشاد الميت في العالم السفلي[5] .

ومن الجدير بالذكر أنَّ التحنيط لم يقتصر على الجثث البشرية ، بل تعداه إلى الحيوانات المقدسة[6] ذات الصلة بمعتقدات المصريين الدينية القديمة ، كالقطط ، والكباش، والثيران ، والعجول ، والتماسيح ، فتم استعمال الطرق نفسها التي استعملت لتحنيط البشر[7] .

.

وعمدوا إلى دفن هذه الحيوانات المقدسة ، فخصصوا لها جبانات لدفنها لاسيما العجل "ابيس" ، والعجل " منفيس " ، وكبش " منديس " فالعجل " ابيس " يحنط كما يحنط الإنسان تماماً وتشيع جنازته باحتفال كبير[8] .

---

(1) ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص337 . وكذلك : Nilson, op. cit, p.p. 22-66 .

(2) Nubert, op. cit, p. 65 .

(3) Glanville, op. cit, p. 187 .

(4) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص104 .

(5) باقر ، المصدر السابق ، ص106 ، وكذلك : بدوي ، المصدر السابق ، ص195 .

(6) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص96 .

(7) المصدر نفسه ، ص96 .

(8) استيندروف ، المصدر السابق ، ص119 .

ثانياً : الدفن والقبور

لقد فهم المصريون الحياة فهماً جيداً ، فدفعهم فناءها إلى التفكير بالآخرة من ناحية، والتعلق بالحياة من ناحية أخرى ، لذا فإنَّ القبر عندهم لم يكن إلاَّ صورةً صادقة لما يقوم به الفرد في حياته الدنيا ، فقد شغلت مشكلة استمرارية حياة الموتى في الآخرة المصريين على نحو واضح[1] .

فأحب الناس الحياة الدنيا ، وأخذوا يتحدون الموت معتقدين أنَّ الحياة الناجحة تستمر في العالم الأخر ، وتعيد نفسها ، لذا فإنهم اعتنوا بقبورهم التي عدوها جسراً يمتد بين وجودين بتأكيدهم على امتلائها بالحياة معبرين عن ذلك بالعناية بالرسوم الدينية التي امتلأت بها ، لاسيما مشاهد الدفن منها[2] .

إلاَّ أنَّ ما يتوجب تأكيده هنا أَن الدفن لم يكن يتم على طريقة واحدة ، بل أصابه التغير والتطور ، فقد دفن المصريون موتاهم منذ العصر الحجري الحديث في قبور كانوا يوجهونها نحو مساكنهم ، رغبة منهم في تمكينهم من ملاحظة ذويهم ، وإنهم كانوا يقربون يد الميت إلى فمه بعد أن يضعوا فيها حبات من القمح ، وكذلك حول رأسه[3] .

وقد حظيت القبور عند قدماء المصريين باهتمام عالٍ لأنهم نظروا إليها كمواضع اقامة ابدية ، فأطلقوا على القبر تسمية (البيت الابدي) ، على غير الحال الذي تناولوا فيه بيوتهم في الحياة الدنيا التي عدوها مقرات مؤقتة ينتقلون منها إلى بيوتهم الأبدية (المقابر) حالما يحين وقت انتقالهم لها (الموت)[4] .

وقد كانت تلك القبور في بدايتها عبارة عن حفرة صغيرة توضع فوقها كومة من الأحجار لتحمي القبر من أن تذروه الرياح ، وللدلالة على موضع القبر الذي كان يدفن فيه الميت على هيئة القرفصاء على جنبه الأيسر ، بعد أن يُضم فخذاه الى بطنه ، وذراعاه الى صدره بحيث تكون يداه أمام وجهه ، فيما كانت تغطى جوانب قبور هؤلاء الموتى بالطين ، أو تؤزر باللبن ، أو بالخشب ، وبينما يخصص من القبر موضع للجثة ، كان يخصص القسم الآخر منه للأثاث الجنائزي . وفي بعض الحالات كان يجعل بين قسمي القبر فاصل من

---

[1] شالي ، المصدر السابق ، ص53 .

[2] فرانكفورت واخرون ، المصدر السابق ، ص130 .

[3] شالي ، المصدر السابق ، ص53 .

[4] كمال ، المصدر السابق ، ص58 . وللمزيد من التفاصيل عن البيت المصري ينظر : فرنسيس عبد الملك غطاس ، البيت في مصر القديمة ، المجلة التاريخية المصرية ، (مج3 ، مصر : مطبعة الجيلاوي ، 1976)، ص ص3-9 .

الخشب ، أو جدار من اللبن ، وبذلك بدأ قبل عصر الأسرات تقسيم القبر إلى : قسم للجثة ، والآخر للقرابين ، ثم يوضع فوق سطح القبر ما يدل عليه[1] .

ونتيجة لهذه الطريقة القديمة للدفن فإنّ عظام الميت تتناثر ، وهو ما دفع أهل الميت الى الدعاء للأخير كي تلتئم عظامه من جديد ، وأن يلتحق رأسه بعظامه مرة أخرى[2] .

ولما تطورت طريقة الدفن أخذ يحفر للميت حفرة عمودية أو مربعة ، ويمدد جسده فيها على جنبه مستلقياً ، بعد أن يلف بحصيرة من البردي ، وتوضع حوله ممتلكاته الشخصية القليلة ، كالقلائد ، وأدوات الصيد ، والقدور الحاوية على الطعام والشراب[3] . وهو الجهاز الجنائزي الخاص بالميت الذي يراد به إطعام الروح في العالم الآخر[4] .

فقد كان الدافع لدى المصريين لبناء هذه القبور ، هو : أن حيازة الحياة الأخرى تعتمد على شرطين :- أولهما المحافظة على الجسد من الدمار والإزعاج ، وثانيهما تزويده باحتياجاته اللازمة للحياة الأخرى[5] اما السبب الكامن من وراء اضطجاع الميت على جنبه الأيسر فهو : يبين أنه في وضع النوم ينتظر إعادة الحياة له[6] .

وبذلك تجتمع هنا فكرتان هما : أنَّ القبر مكان يبغي الميت مغادرته ليرى الشمس في الوقت نفسه الذي يمكن لعظام الإنسان التجمع فيه ثانية بعد الموت،بعد أن يقوى الميت على النهوض من موته،وهو ما يتم مساعدة الميت عليه بتلاوة بعض التعاويذ أثناء عملية الجنازة، فيم يذكر أعداء الميت مثلاً للخلاص منهم، والدعاء للميت بعدم اعاقة حركته ونهوضه ثانية[7]. ثانية[7].

ونتيجة للخشية من تأثر الميت برطوبة الأرض فقد حفر القبر على عمق أكبر وكسيت جوانبه باللبن ، ووضع فوقه لوح من حجر كي يحمي ما بداخله من الرطوبة أو التحطم ، ثم عمد المصريون الى حفر بئر في الصخور ولكنه غير عميق تتصل بقاعه غرفة صغيرة كانت

---

[1] رزقانه واخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص ص99-100 .

[2] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص274 .

[3] Edward Iorweth Eiddon, The Pyramids of Egypt, (Great Britain, 1961), p. 38 .

[4] L.W. King (et. Al), Egypt and the western Asia in the light of Recent Discoveries . (London, 1907), p. 22 .

[5] Ediddon, op. cit, p. 38 .

[6] Alderd, op. cit, p. 26 .

[7] J. Zandee, Death As An Enemy According to Ancient Egyptian conceptions, (Leiden, 1960), p. 102 .

تستعمل للدفن يتم اغلاقها بالأحجار ، ثم يردم البئر ، ويتم جمع كومة من الحجر فوقها بقصد حماية الجثة من اللصوص وبنات أوى[1] .

إلاَّ أنَّ القبور لم تبق على هذا الوصف، بل تطورت في عهد الأُسرتين الأُولى والثانية، فقد اخذت الجثة توضع في حجرة تحت الأرض ، توصل إليها الجثة بزلاقة منحدرة ، فيما كانت هناك حجرتان أخريتان فوق الارض : احداهما للعطايا المقدمة للروح ، والأخرى توضع فيها تماثيل الميت ، كما توضع في الجدار الغربي من كل مقبرة فجوة غائرة في الحائط، تحاكي الباب ترد الروح منها كما يعتقدون بأنها تتناول ما تريد من قرابين ، فيما كان القبر يبنى من اللبن على شكل هرم ناقص الأضلاع قليل الميل وهو الشكل الذي يسمى بالمصطبة[2] .

فلما تطورت الحياة في مصر ، وتقدم الزمن بعقائد المصريين الدينية ، اصبح للدفن طقوس تبدأ بتشييع الجنازة بحضور أهل الميت وأقربائه واصدقائه مع استئجار النائحات لاظهار حزنهم على الميت بالعويل والبكاء ، فيما كانت النسوة يلطمن على رؤوسهن بايديهن، ويلطخن وجوههن بالطين ، ويمزقن ثيابهن ، يتحرك الموكب خلال ذلك ، فيما يحمل الميت على أكتاف الحمالين وما يدفن معه من أدوات ولوازم ، ثم يوضع التابوت داخل نعش ، يجره ثوران وبعض الرجال[3] .

ويبدأ في ذلك الوقت الكهنة بسكب اللبن أمام الموكب[4] حتى يصلوا الى شاطئ نهر النيل ، حيث ينتقل النعش الى قارب صغير ، يجره مركب كبير ، يجتمع فيه المشيعون والنائحات[5] اللواتي يرتدين ملابس الحداد الزرقاء الداكنة اللون[6] . فيما تستعمل مراكب أخرى لنقل الأثاث الجنائزي[7] ، وترافق التابوت سيدتان تجسدان الآلهتين " ايزيس ونفتيس "

---

[1] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص275 .

[2] عمر الاسكندري والميجر أ.ج. سفدح ، تاريخ مصر الى الفتح العثماني مع نبذ في أخبار الأمم التي ارتبطت بمصر إلى ذلك العهد ، ط6 (مصر : مطبعة المعارف ، 1932) ، ص12 .

[3] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص96 .

[4] تشرني ، المصدر السابق ، ص151 .

[5] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص96 .

[6] تشرني ، المصدر السابق ، ص151 .

[7] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص96 .

مع تواصل النائحات بذرف الدموع والصراخ بصوت عالٍ[1] . أما الأشخاص الأكثر رزانة فانهم يذكرون فضائل الميت فقط[2] .

وفي الشاطئ الاخر ينظم الموكب من جديد ، ثم يوضع النعش فوق عربة يجرها ثوران يمشي خلفه المشيعون والحمالون حتى يصلوا اسفل سفح الجبل الغربي ، وهناك يحمل النعش على اكتاف المشيعين ، يتقدمهم كاهن يرش الماء المقدس على النعش ، فتخرج الآلهة "حتحور" حينها لاستقبال القادمين . وآخيراً يصل الموكب إلى المقبرة ، فيشتد العويل واللطم، ويبدأ الكهنة باعداد مواد وأدوات خاصة ؛ لابطال مفعول التحنيط حتى يستطيع الميت استعمال اعضائه وأطرافه من جديد ، لكي يرى ، ويتكلم ويأكل ، ويحرك يديه وساقيه[3] .

وعملية ابطال مفعول التحنيط هذه تسمى " طقوس فتح الفم " ، وهي : من أهم الطقوس التي تقام قبل انزال الميت في فوهة القبر ، إذ يتم فتح فم الميت بواسطة خطاف ، فيما تتلى تعاويذ سحرية ، فتعود إليه خاصية استعمال فمه للكلام ، أو للأكل ، أو لشراب[4] .

ثم يوضع التابوت الذي يحتوي المومياء في تابوت آخر من الحجر على شكل حوض تنقش عليه النصوص ، وتوضع حوله أشياء عدة كالأسلحة والرقى ، والتعاويذ ، والعصي، ثم يغطى صندوق المومياء بغطائه الحجري الثقيل ، فيما توضع الجرار الأربعة بجانب التابوت داخل صندوق خاص مع بقية الأثاث ومواد الطعام[5] .

وبعد العودة من الجنازة كان أهل الميت يقيمون وليمة يحضرها كلَّ المشيعين الذين شاركوا معهم في موكبهم الجنائزي[6] .

لقد كانت هذه المراسيم خاصة بالملوك والأمراء وأفراد الطبقة الراقية ، بينما ظل أفراد الطبقات الدنيا يدفنون بمراسيم طبيعية ومقابرهم كانت عبارة عن مقبرة قديمة خالية ، يزيدون في سعتها ، ويضعون فيها التوابيت ، ويقدم أقرباء الموتى من هؤلاء الهدايا للآخرين قرب قبورهم . أما من كان في فقر ، ولا يستطيع ايجاد مكان ولو في مقبرة عامة ، فان جثته كانت تدفن في الرمال ، وتوضع معه دمى صغيرة من الخشب تشبه المومياء ، يكتب عليها اسم

---

(1) تشرني ، المصدر السابق ، ص152 .

(2) مونتيه ، المصدر السابق ، ص434 .

(3) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص97 .

(4) استيندرف ، المصدر السابق ، ص119 .

(5) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص97 .

(6) تشرني ، المصدر السابق ، ص152 . ولمزيد من التفاصيل عن مراسيم التشييع والدفن ينظر : مونتيه ، المصدر السابق ، ص ص434-443 .

الميت بعد لفها بقطعة من الكتان ، ويتأمل للميت أن ينال السعادة بفضل تلك الدمية الخشبية[1].

هذا وكانت الحفرة في الرمال الصحراوية قد بقيت حتى آخر التاريخ المصري القديم كشكل تتخذه مقبرة الفقراء وحصل تطور على مقابر الملوك والأمراء من عظمة وفخامة ، فقد ازداد اتساع هذه الحفرة وعمقها ، واتخذت أشكالاً منتظمة مربعة ، فأصبحت غرفة تستقر فيها الجثة في تابوت خشبي بسيط[2] .

وقد كان هنالك غرف أخرى تستعمل لحفظ أواني الطعام والشراب وغيرها من الأشياء وشيد فوق سطح الأرض بناء من اللبن له جدران مائلة يزداد حجمه ضخامة حتى يتحول في عصر الاسرة الثالثة (في مقبرة زوسر) إلى شكل المصطبة التي كانت مرحلة انتقالية نحو ما يسمى بالمصطبة المدرجة التي كانت بدورها قد تطورت إلى الهرم[3] .

وتتخذ المصطبة في مظهرها الخارجي شكلاً مستطيلاً .[4] أما داخلها فهي تبدأ بحفرة عميقة في الأرض الصخرية تسمى البئر[5] ، تنقب في نهايتها غرفة صغيرة جانبية تخصص[6] لتوضع فيها الجثة فيما توضع فوق الحفرة الواح حجرية مستطيلة الشكل ثم تكسى تكسى جوانبها بجدران من الحجر المنحوت[7] فتبدو المصطبة كانها بناء مشيد لها جدران مائلة[8] .

وفي يوم الدفن تنزل الجثة في المصطبة ثم يسد المدخل الى غرفة الميت وتملاء الحفرة التي اعلاها بالاحجار[9] وعليه فان المصطبة تحتوي القبر الذي يحتضن الجثة وغرفة القربان وتمثال للمتوفي في الاخيرة امامها مذبح مدرج يوضع عليه القربان ثم السرداب الذي يخبأ فيه تمثال الميت[10] وتسمى غرفته " ببيت التمثال "[11] ولا يفصل بين السرداب وغرفة القربان إلا حائط حتى يتاح المجال " للكا " ان تحضر على مقربة منه عند تقديم القربان[12]

---

(1) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص100 .

(2) ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص330 .

(3) ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص330 .

(4) المصدر نفسه ، 330 .

(5) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص282 .

(6) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص98 .

(7) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص282 .

(8) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص98 .

(9) ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص ص331-332 .

(10) تشرني ، المصدر السابق ، ص155 .

(11) ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص332 .

(12) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص283 .

الذي يوضع امام الجدار الشرقي للمصطبة بحيث كان مقدم القربان يتجه الى الغـرب حينمـا يخاطب الميت لاسيما ان المصريين القدماء كانوا يعتقدون بان الدخول الى مملكة الغرب كـان من جهة الغرب لذا فانهم كانوا يتجهون ايضاً الى هذه الناحية من السماء كلما كانوا يأتون من اجل الميت وكانت مقابرهم تأخذ مكانها على حافة الهضبة الغربية حيثما أمكن[1] .

كما زود حائط السرداب – المار الذكر – بفتحات تسمى عيـون " الكـا " لتسـمح او لتساعد الميت على رؤية ضوء النهار ومشاهدة الاحتفالات التي تؤدى قربه وللتمتع بـالبخور المحترق بجانبه[2] واحتوت قبور الدولة القديمة ايضاً على ابواب علوية لتسمح لروح الميـت بالصعود الى السماء[3] .

اما بالنسبة للمصطبة ذات الطبقات أو الهرم المدرج فقد ظهرا بعد استعمال الحجر فـي البناء في عهد الملك " زوسر " ؛ بحثاً عن الخلود الأبدي[4]فالمصريون القدماء اعتقـدوا بـأنَّ بقاء الانسان بعد الموت يعتمد على بقاء جسده الارضي في القبر ، والمحافظة عليه[5].

وقد أقام " زوسر " مقبرة حجرية بنى فوقها خمس مصاطب يتناقص حجمها تـدريجياً ليكون الشكل العام للبناء ما يشبه الهرم المدرج او الدرجات . مستعيناً بخبرة ومهـارة كاهنـه ووزيره ومهندسه " ايمحتب "[6] الذي يعد أول بناء لمقبرة مشيدة بالحجر في مصر القديمـة، إذ بلغ ارتفاع الهرم المدرج الذي بناه " ايمحتب " لسيده " زوسر " ستين متراً[7] ، وهو مؤلف من من ست طبقات ، لم تبن احداها فوق الأخرى بل كان في بداية الأمر على هيئة مصطبة ، ثـم زيد في حجمها ، فاضيفت لها اضافات جانبية على مراحل مختلفة روعي بالاضافات الـثلاث الأخيرة ان تكون أعلى ومتدرجة ، أما الاضافة الأخيرة فكانت بست طبقات[8] وقد بني الهرم، الهرم، بالحجر وكسيت طبقاته بالحجر الجيري ، فيما كانت غرفة الدفن في الهرم تحت سطح الأرض[9] ، وهي متصلة بدهاليز وغرف أخرى كسيت جدران بعضها بقراميد صغيرة[1].

---

[1] تشرني ، المصدر السابق ، ص155 .

[2] Zandee, op. cit, p. 102 .

[3] تشرني ، المصدر السابق ، ص153 .

[4] المصدر نفسه ، ص153 .

[5] Williams, op. cit, p. 536 .

[6] تشرني ، المصدر السابق ، ص153 .

[7] بدوي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص135 .

[8] ا. ا. س. ادواردز ، اهرام مصر،ترجمة:مصطفى احمد عثمان ، (لجنة البيان العربي ، 1956)،ص69 .

[9] رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص102 .

وقد ألحق بهذا الهرم بهو المدخل ، ومعبد اليوبيل ، والمعبد الجنائزي ، ومعبد الوادي[2]، ومن حولها سور عظيم يزيد طوله على نصف كيلومتر وعرضه على ربع كيلومتر زينت سطوحه الخارجية بأبراج عالية[3].

ثم اتخذت المقبرة الملكية في بداية الأسرة الرابعة شكل الهرم الكامل ذي القاعدة المربعة ، والجوانب الأربع المثلثة الشكل التي تميل الى الداخل كلما ارتفعت للأعلى حتى تلتقي في نقطة واحدة هي قمة الهرم[4] .

وقد فسر اختيار الشكل الهرمي ليكون شكلاً لمقابر الفراعنة المصريين بتفسيرات عدة منها : أنَّ شكل الهرم مقدس أساساً لدى المصريين ؛ لأنه رمز لإله الشمس ، فالرمز الهرمي يمثل أشعة الشمس المنبعثة من مصدرها فيما ذهب آخرون إلى ربط معنى كلمة الهرم " مير " بالهيروغليفية التي تعني الصعود الى السماء مع فكرة العلو والاتصال بواسطة بناء مرتفع بالآلهة في السماء ، وهي فكرة كانت معروفة في حضارات الشرق القديم ، ومنها فكرة "الزقورة" في بلاد وادي الرافدين مضاف إلى وجود رأي يقول بأنّ شكل الموضع الذي تمت فيه الخليقة حسب الأساطير المصرية حيث كان ذلك فوق تل ، وجد فوقه الإله الخالق "اتوم"[5].

فقد بدأ " سنفرو " كخطوة أولى ببناء الجزء الأسفل من الهرم حتى أتم تشييد جميع ممراته الداخلية ، وجعل له مدخلاً شمالياً ، ينتهي بدهليز منحدر ، يؤدي الى دهليز آخر، يوصل بدوره الى حجرة الدفن ، ولكن البنائين غيروا تصميمه الأصلي بعد أن بلغ ارتفاعه ثمانية وأربعين متراً بتغيير زاوية الميل ، ولما تم البناء أصبح كأنه هرم كامل فوق هرم ناقص بارتفاع اجمالي مقداره (101.15) متراً ، وطول قاعدته المربعة (188.60) متراً ، وله مدخلان ، ثم أقام "سنفرو" هرمه الثاني ، وجعل له زاوية ميل مماثلة لزاوية ميل الجزء العلوي من الهرم السابق ، ومقتصراً على مدخل واحد عند الناحية الشمالية ، ويؤدي الى

---

[1] نعمت اسماعيل علام، فنون الشرق الاوسط والعالم القديم، ط2(القاهرة : دار المعارف ، 1975)،ص77 .

[2] رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص102 .

[3] رشيد الناضوري ، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا ، وشمال أفريقيا (بيروت : 1969) ، ج3 ، ص82 ، وكذلك : علام ، المصدر السابق، ص77 .

[4] رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص102 .

[5] باقر ، المصدر السابق ، ص ص57-58 .

المدخل ثلاث حجرات متتالية بدلاً من حجرة واحدة ، ويعد هذا الهرم أول هرم حقيقي في تاريخ العمارة المصرية ، فبلغ ارتفاعه تسعاً وتسعين متراً[1] .

وقد بلغ فن تشييد المقابر الهرمية قمته في عهد " خوفو وخفرع ومنكاورع " فقد نقل معماريو " سنفرو " ، خبرتهم إلى أهرام هؤلاء الفراعنة . فشيد " خوفو " هرمه على ساحة اثنى عشر فداناً بارتفاع مائة وستة وأربعين متراً تميزت الكتل الحجرية المستعملة في بنائه بالضخامة فكان يزن الواحد منها طنيين ونصف الطن . وكسيت جوانب الهرم بطبقة مصقولة من الحجر الجيري ، وانتقلت غرفة الدفن التي كانت تحت الأرض في هرم "زوسر" الى غرفة أقيمت في جسم الهرم ، غطيت جدرانها وسقوفها بأحجار ضخمة من الكرانيت[2] .

وكان الهرم يؤلف مركز الجبانة الملكية ، لذا نجد في شرقه وغربه اهرامات صغيرة[3] خاصة باعضاء الأسرة المالكة ، بينما تقع مصاطب عظماء رجال الدولة في الجنوب ليكونوا بصحبة الملك في العالم الآخر ، وفي خدمته كما كانوا في حياتهم الدنيا[4] .

وقد ألحق بالهرم من الناحية الشرقية معبد جنائزي ، ينفتح على طريق يؤدي الى معبد ثان يعرف بمعبد الوادي[5] .

اما بالنسبة " لخفرع " فإنّ مهندسيه لم يصلوا إلى ما وصل إليه زملاؤهم في عهد "خوفو" من اتقان . فهرم " خفرع " من الداخل بسيط مقارنة مع هرم " خوفو "[6] ، إلاَّ أن احسن المجاميع المعمارية الملحقة بالأهرام هي تلك المحيطة بهرم " خفرع " ، بسبب وجود تمثال أبي الهول[7] الذي بلغ ارتفاعه عشرين متراً ، وطوله ستة وأربعين متراً وله وجه انسان انسان وجسم أسد[8] .

أما " منكاورع " فلم يستطع اتمام تشييد هرمه الصغير ، أو معبده الجنائزي ، أو معبد الوادي الخاص به . بل أتمه ابنه " شبسكاف " . ومعبد الوادي مشيد من اللبن إذ لم يشيد به شيء من الحجر إلاَّ بعض الأرضيات ، والأعمدة وعتبات الحجرات ، والتماثيل المصنوعة

---

(1) المصري ، المصدر السابق ، ص21 .

(2) علام ، المصدر السابق ، ص79 .

(3) شالي ، المصدر السابق ، ص53 .

(4) رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص105 .

(5) علام ، المصدر السابق ، ص79 .

(6) المصري ، المصدر السابق ، ص23 .

(7) علام ، المصدر السابق ، ص79 .

(8) الاسكندري ، المصدر السابق ، ص19 .

من حجر الشست التي يمثل كل منها الملك " منكاورع " مع رمز لإقليم من الأقاليم ، وأحد المعبودات الهامة[1] .

وفي عصر الأسرة الخامسة تغيرت حجوم الأهرام ، وكذلك قوارب الشمس التي كانت تحفر قرب الهرم لاستعمال الفرعون المتوفى لها في سفره مع الإله الشمس . وقد زيد في حجم هذه القوارب ، فيما تراجع حجم الهرم ، وبولغ بحجم المسلات الخاصة بالإله " رع " مقارنة مع هرم الفرعون . فبنى " يوسركاف " لنفسه هرماً في أبي صير كما فعل ذلك بعض ملوك هذه الأسرة ، اما أشهر الاهرام في عهد الأسرة الرابعة، فهي أهرام " سحورع ، ونفريركارع، ونيسورع " فضلاً عن " اون س " الذي كان أول من أوجد عادة النقش على الجدران الداخلية بكتابات دينية[2] .

وأقام " تيتي الأول " مؤسس الأسرة السادسة هرمه في سقارة وقد زود جدران حجراته الداخلية بالنصوص السحرية من التعاويذ والرقي[3] .

ومنذ بداية عهد الأسرة السادسة حصل كبار الموظفين المنتدبين من البلاط لإدارة بعض المقاطعات على امتياز اقامة مقابرهم في مقراتهم كامتداد للجبانة الملكية في العاصمة. فظهر طراز من القبور الصخرية منذ ذلك الوقت جنباً إلى جنب مع المصطبة على طول عصر الدولة الوسطى باسره[4] ، ومثال ذلك مقبرة " امنمحات وخنوم حيت الثاني " بأعمدتها ذات الأضلاع الثمانية ، والستة عشر ضلعاً على التوالي[5] .

في غضون ذلك خضعت قبور الأفراد لشروط المقبرة المنحوتة في الصخر ففيها صحن أمام المصلى الممتد داخل الصخر ، مع حفر بئر عمودية في الصحن أو في غرفة تحت الأرض[6] .

اما بالنسبة لأهرام ما بعد الأسرة الرابعة عموماً فإنها لم تكن بالدقة والعناية التي بذلت في تشييد اهرام الجيزة . فقد بنيت بأحجار صغيرة لا يحتاج قطعها ونقلها ودفعها إلى موضعها من البناء من الجهد والمهارة التي كانت تحتاجها الأحجار الضخمة . على غير الحال التي كانت عليها مقابر عظماء الأفراد في الأسرتين الخامسة والسادسة . فقد بلغت

---

(1) المصري ، المصدر السابق ، ص25 .

(2) باقر ، المصدر السابق ، ص ص37–39 .

(3) باقر ، المصدر السابق ، ص39 .

(4) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص107 .

(5) للتفاصيل ينظر : جيمس بيكي ، الأثار المصرية في وادي النيل (كتاب وصفي مختصر) ، ترجمة : شفيق فريد ، ولبيب حسين ، (القاهرة : 1967) ، ص63 وما بعدها .

(6) دريوتون ، وفانديه ، المصدر السابق ، ص108 .

مقابرهم غاية الاتساع ، وكثرت فيها على سطح الأرض الغرف ، وزينت جدرانها بالصور والمناظر والأبواب . وزودت بسرداب ، أو عدد من السراديب ، توضع فيها تماثيل صاحب المقبرة وأفراد اسرته ، ومعها تماثيل للخدم تمثلهم وهم يعدون الطعام والشراب للميت . ومن أشهر هذه المقابر في الجيزة مقبرة " رع ور " من عصر الأسرة الخامسة ، و" رع حتب " من عصر الأسرة السادسة ، وتحتوي المقبرة الأخيرة على احدى وثلاثين غرفة ، مع غرف أخرى لزوجته ، وأربع لابنائه ، فيما كانت غرفة الدفن تحفر في الصخر ، ويؤدي اليها بئر أو اخدود[1] .

هذا وكان " تحوتمس الأول " أول من هجر الشكل الهرمي لأسباب غير معروفة ، بعد أن تقلص حجم الهرم ، وازدادت زاوية ارتفاعه حدة ، وبني فوق هياكل المقابر المحفورة في الصخر التي بنيت بالكامل من الحجر ، أو قوالب الطين المطلية باللون الأبيض ؛ ليماثل لونها لون الحجر الجيري . فابتدع " تحوتمس " طرازاً جديداً للمقبرة فحفر في صحراء وادي الملوك عند الجانب الغربي من طيبة قبره في الصخر الذي احتوى على غرفتين صغيرتين نسبياً ، أما الملوك الذين اعقبوه ، فقد وسعوا أبعاد مقابرهم ، محولينها الى سلسلة من القاعات والممرات السفلية الطويلة التي تنتهي بغرف ذات أعمدة، تحوي توابيتهم الحجرية وثرواتهم[2].

فأخذت المقابر الملكية تتسع ، وتمتد في باطن الأرض وتزداد روعةً وفخامةً فضلاً عن ذلك تم تعمد تغيير شكل المقبرة ؛ امعاناً في تظليل اللصوص . فأصبحت جميع الغرف مستطيلة كما في مقبرة " امنحوتب الثاني " التي انحرف محورها مرتين . إلاَّ أنَّ مقبرة "اخناتون " صممت على محور واحد حتى تواجه جميع اجزائها الشمس عند شروقها بما يتفق وعقيدته الدينية[3] .

وتغير محور المقبرة في عهد " توت عنخ آمون " إلى اليمين بشكل حاد[4] ، وكان مدخل هذه المقابر يردم بالأحجار بعد الدفن ، وفي حالات كثيرة يصعب التمييز بين المدخل وبين الأحجار والحصى المحيط به . ولم تعد توجد في وادي الملوك القديم معابد جنائزية ؛ لأنها لم تعد جزءاً من المقبرة ، بل تشيد بعيداً عنها[5] .

وأصاب التغير في عهد الأسرة الثامنة عشرة التوابيت ، فبعد أن كانت تصنع من الخشب بطراز صندوقي ، أدخلت " حتشبسوت " تجديداً عليها ، حينما اتخذت لنفسها تابوتاً من

---

[1] رزقانه واخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص ص106-107 .

[2] تشرني ، المصدر السابق ، ص ص156-157 .

[3] عبد الحليم ، مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص333 .

[4] تشرني ، المصدر السابق ، ص157 .

[5] المصدر نفسه ، ص158 .

الحجر على صورة التابوت الخشبي في شكله وفي نقوشه . فأصبحت التوابيت الملكية بعدها تصنع من الحجر وتنحت بشكل يشابه الجسم البشري[1] .

فالتابوت يعد أهم قطعة في الأثاث الجنائزي حتى أنَّ الأغنياء لم يكتفوا بتابوت واحد، بل كانت المومياء توضع داخل تابوت فضي يشابه شكلها المومياء وهو موضوع في تابوت آخر من الكرانيت الأسود ، والأخير موضوع داخل صفحة مستطيلة الشكل متسعة نوعاً ما، ومزخرفة من الداخل والخارج برسوم تمثل الآلهة المكلفة بحراسة المومياء . وترسم على طول الغطاء صورة المتوفى بينما رسمت على غطاء التابوت من الداخل المعبودة " نوت " آلهة السماء ، تحيط بها القوارب ومجموعات الكواكب ، فتمنح الميت الأبدية[2] .

وأصاب التقلص أيضاً عدد الكهان الذين أصبح عددهم كاهن واحد للميت لا يجوز أن يورث وظيفته ودخله الناتج عن العناية بالقبر إلاَّ للابن الأكبر من أولاده . وتناسب عدد أولئك الكهان مع ثراء المتوفى[3] .

وشمل التغير ايضاً الأدوات المرفقة مع الميت ، لاسيما الدمى الصغيرة ، والسفن المصغرة[4] ثم انتقلت حالة التصغير لتكون فكرة دفعت المصريين نحو صناعة تماثيل مصغرة ترفق مع الميت ضمن أثاثه الجنائزي[5] .

هذا وقد ظهر خلال الدولة الحديثة طراز من المقابر سمي بالمقاصير الجنزية المبنية، التي كانت عبارة عن مجموعة من المباني التي أقيم جزؤها العلوي في هيئة معبد أو مقصورة على سطح الأرض ، يدخلها الكاهن لتقديم القرابين عبر سلسلة من الأفنية ، تفصلها صروح من اللبن . واستمر ذلك منذ الأسرة الثامنة عشرة حتى العصر المتأخر مع وجود تغييرات في التصميم بين مقبرة وأخرى ، ويمكن النزول إلى الجزء الأسفل من المقصورة عبر آبار محفورة في أفنيتها ، تؤدي إلى غرفة الدفن المنقورة في الصخر حيث لا يوجد أكثر من غرفة أو غرفتين في الأسفل والتي تكون أوسع في مقابر كبار الأثرياء ، وتمتد لمسافات كبيرة أسفل المقبرة[6] .

---

[1] جون ولسن ، الحضارة المصرية ، ترجمة : احمد فخري ، (القاهرة : 1955) ، ص318 .

[2] مونتيه ، المصدر السابق ، ص422 .

[3] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص ص98-99 .

[4] مونتيه ، المصدر السابق ، ص424 .

[5] المصدر نفسه ، ص424 .

[6] سبنسر ، المصدر السابق ، ص292 .

عقائد ما بعد الموت عند المصريين القدماء

لقد تمت صياغة المعتقدات المصرية القديمة عن الحياة الأخرى في بداية عهد الدولة الوسطى . ولم تطرأ عليها تغيراتٌ هامة في عهد الدولة الحديثة على الرغم من اهتمام المصريين ومحاولاتهم لتغيير وتعديل عقائدهم ، وعنايتهم بأمر يوم الحشر ، وهو ما تؤشره نصوص ما قبل التاريخ مروراً بالدولة القديمة ووصولاً إلى أواخر الأسرة الخامسة فقد أشارت تلك النصوص تزويدهم لموتاهم بزاد الآخرة والحياة المستقبلية ، والقرابين ، والأوقاف على المقابر[1].

وأدى الاعتقاد المبكر بأنَّ الموتى يحيون في القبور ، أو على مقربة منها ، الى ايمانهم بوجوب تهيئة الضروريات للميت في حياته الأخرى[2] .

وعليه يمكننا القول بأنَّ المصريين القدماء قد أمنوا على الدوام بالخلود . على الرغم من عدم وجود أية كلمة لديهم تفيد بمعنى الخلود في لغتهم فكلمة الحياة نفسها كانت تستعمل لكل من الحياة على الأرض ، والحياة بعد الموت[3] .

فهم إذن يعتقدون بأنَّ الانسان يحيى بعد الموت حياة أخرى تماثل الحياة الدنيا في جميع أحوالها ، دون تغير في الشكل فيبقى الرجل والمرأة ، والشيخ ، والطفل في الحياة الأخرى كما كانوا في الحياة الدنيا ، وموطنهم الجبانة . اما منزلهم فهو القبر . واعتقدوا أن المتوفى في هذا العالم الأخر على وفق هذا الوصف ، يسيطر على زوجته وأولاده ، ويحتفظ بخدمه من الذكور والاناث وهو يحتاج في حياته الأخرى كلَّ ما يمكن أن يجلب له الفرح والسرور اللذين كانا يتمتع بهما في دنياه[4] .

طبقاً لذلك فقد وضع المصريون القدماء في قبورهم تماثيل على هيئات قوية مستبشرة، لم يمثلوا فيها عيوب البدن ، فالعاهات في تلك التماثيل نادرة ؛ لأنَّ عقيدة البعث التي آمن بها المصريون بشرتهم بأنّهم يبعثون وهم أصحاء من كل مرض وعيب ، فصنعوا تماثيلهم على وفق تلك الصورة الصحيحة القوية المعافاة[5] .

---

[1] ابراهيم ، المصدر السابق ، ج4 ، ص189 .

[2] برستيد ، المصدر السابق ، ص87 .

[3] تشرني ، المصدر السابق ، ص110 .

[4] محمد سيد كيلاني ، ذيل الملل والنحل للشهرستاني ، ط2 (بيروت : 1972) ، ص ص8-9 .

[5] صالح ، الشرق الادنى القديم ، المصدر السابق ، ص317 .

والخلود هنا لا يقتصر على الفراعنة فقط ، بل إنه يشمل عامة أفراد الشعب المصري القديم . لذا أصبح من أهم مهام الإنسان في حياته تجهيز منزله الأبدي الذي ينعم فيه بالخلود مما نجم عن ذلك تطور عمارة المقابر المصرية منذ العصور التاريخية تطوراً كبيراً[1] .

فعقيدة خلود الروح قديمة في مصر ؛ لأن نقوش الأسرة الثانية عشرة احتوت اقتباسات من طقوس الموتى القديمة جداً ، فقد شكل خلود الروح والاعتقاد بالحياة الأخرى نقطتين اساسيتين في الديانة المصرية القديمة[2] .

فكان من الضروري للمتوفى قبل كل شئ أن يأكل ويشرب ، فحياته الأخرى متوقفة على ذلك كما توقفت حياته الأولى على تلك الأمور الأساسية لاستمرار الحياة والتي يعاني من دونها من ألم الجوع ، وحرقة العطش ، من جهة أخرى فإنَّ الميت كان بحاجة إلى أن يقدم له أهله كل ما يحتاجه بعد دفنه . أما بالنسبة للمتوفين الميسورين فأنّهم كانوا قبل وفاتهم يكلفون الكهنة بتقديم القرابين اللازمة لهم ، أو أنْ يقوم أهل المتوفى بتكليف الكهنة بذلك[3] .

ومن الأدلة على وجود مثل هذه العقائد في العصور التاريخية المبكرة ، ما اكتشف من أثار احتوتها مقابر تلك العصور ، كالطعام والأدوات الأخرى التي زود بها الأموات اعتقاداً منهم بإن الحياة تمتد بعد الموت تحت ظروف شبيهة للغاية بتلك التي انقضت على الارض[4].

فيتم وضع الطعام والمؤن الضرورية مع الميت في يوم دفنه ، فضلاً عن تقديم الامدادات الطازجة له مما يجلب بواسطة ذويهم بعد حين[5] . فقد رسخ في قلوب المصريين قديماً أن الموت ليس النهاية الحقيقية لكل شيء ، بل إن الانسان سوف يستمر في الحياة تماماً كما كان يحياها على الأرض إذا ما تم تأمين الشروط الضرورية لذلك الوجود الثاني ، لاسيما توفير الغذاء والشراب اللذين يعدان حاجتان ماستان ومهمتان للمتوفى في قبره[6] .

ولما كان كل ما يقدم من الطعام للموتى غير كاف ؛ فان المصريين عمدوا منذ عهد الدولة القديمة إلى تغطية جدران القبور والأكفان بالنقوش السحرية ؛ لتلبية واشباع كل الحاجات المادية للمتوفى الغني والفقير إلى جانب صلوات الكهنة عند القبور وهذا ما يبقي

---

(1) الناضوري ، المصدر السابق ، ص ص80-82 .

(2) Clifferd, op. cit, p. 104 .

(3) استيندرف ، المصدر السابق ، ص90 .

(4) تشرني ، المصدر السابق ، ص110 .

(5) تشرني ، المصدر نفسه ، ص110 .

(6) Steindorff and Seele, op. cit, p. 144 .

الميت حياً كما يعتقدون . ومع تقدم الزمن تعددت المواد التي توضع مع الملك ، ومنها: الملابس وأدوات الزينة ، والأسلحة التي ترافق الميت لحمايته من أعدائه[1] .

فقد توجب على الميت الحذر من ان ينقض عليه أعداؤه المؤذون من الأفاعي السامة، والعقارب ، والتماسيح وهذا ما استلزم تسلحه بالاسلحة ، أو بالتعاويذ السحرية التي تعينه لرد شر هؤلاء الأعداء[2] .

وقد اعتقد المصريون القدماء أيضاً أنَّ بقاء الميت حي وسعيد في العالم الآخر متوقف على معرفته بالرقى ، والتعاويذ السحرية ، وكيفية تطبيقها[3] . إذ إن امتلاك الميت ومعرفته للتعاويذ السحرية يعدان وسيلتان هامتان ؛ لإحراز القوة والنشاط بعد الموت ، وهو ما يبدو طبيعياً حسب ما أوردته نصوص الأهرام بالنسبة للملك الذي يرتفع فوق البشر جميعاً بصفته الهاً أما ما يخص الأفراد أنفسهم فإن مفهوماً اكثر تبلوراً قد تطور تدريجياً ، وأصبح منافساً للمفاهيم التي تعتمد فقط على قوة السحر ، يقضي بان سعادتهم في العالم الآخر هي الجائزة التي يحصلون عليها بشرط سلوكهم سلوكاً فاضلاً ومستقيماً على الأرض[4] .

فقد حاول المصريون كغيرهم من الأمم القديمة فهم أسرار الموت ، وخباياه الغامضة، لاسيما أن الإنسان حينما يموت يفقد احباءه ، وزوجته ، واخوانه ؛ لذا كان الاسلوب الوحيد الذي يطرح نفسه أمامهم هو أن روح الإنسان تبقى خالدة بالبعث وبالتالي فان ذلك يمكن أن يقتل الاحساس بالنفور من الموت[5] . فاعتقد المصريون بالحياة المتجددة التي سيحيونها في منطقة ما غير معروفة لهم لكنها تشابه الحياة التي عاشوها على الأرض[6] .

ونتيجةً لتقديس المصريين للشمس ، التي تشرق صباحاً ، وتسطع نهاراً ، وتختفي مساءاً ، في الغرب[7] ، الذي تخيلوه مدخلاً إلى مملكة الموتى[8] في حالة اختفاء ظاهري مؤقت لأنها تظهر مرة أخرى في صباح اليوم التالي وبذلك شكل المصريون اعتقادهم بأن الحياة الإنسانية تتماثل مع المسار اليومي للشمس فالإنسان يولد كما تولد الشمس في الصباح ،

---

(1) Ibid, p. 145 .

(2) كيلاني ، المصدر السابق ، ص9 .

(3) استيندرف ، المصدر السابق ، ص89 .

(4) تشرني ، المصدر السابق ، ص124 .

(5) استيندرف ، المصدر السابق ، ص89 .

(6) Budge, The Dwellers on the Nile, p. 269 .

(7) تشرني ، المصدر السابق ، ص116 .

(8) ارمان ، ورانكه ، المصدر السابق ، ص329 .

ويعيش حياته الأرضية ، ثم يموت مثلها، ثم يواصل الإنسان الحياة بعد الموت في عالم خارج نطاق حواسه، ويبعث مرة أخرى الى حياة أخرى[1] .

وعليه نلاحظ ان المصريين قد آمنوا بامكانية نهوض الميت من موته بعد أن يتم توفير مستلزمات ذلك ، من أداء للصلوات والشعائر ، والنصوص ، والتمائم ، والصيغ السحرية[2]. فضلاً عن ذلك فإنَّ هناك اعتقادات لدى المصريين التي تقضي بضرورة وجود بعض الرقي التي تحمي الميت من أن يطويه النسيان كان عنوانها : " ضد الفناء في عالم الموتى " أو "لتجنب الموت الثاني "[3] .

أما معتقدات المصريين بخصوص مصير الروح فانها متضاربة ، فمنهم من يرى أنّها ترقى إلى السماء ، وتستقل قارب الإله " رع " ومنهم من يرى أنها تحيا في عالم الموتى مع " أوزيريس "[4] لكنهم على الرغم من ذلك آمنوا بأنها تبقى حية بعد موت الجسم الطبيعي. واعتقد المصريون القدماء أنَّ للإنسان سبعة عناصر ومقومات هي : " خت " ، وهو : الجسم المادي ، و" اب " أي : القلب المدرك ، و" كا " أي : النفس الفاعلة ، وهناك " البا " ، وهي: الروح التي تسري في الباطن والظاهر ، و" آخ " أي : النورانية التي تتكشف في الآخرة ، و"شوت " أي : الظل الملازم ، و" رن " وهو : الاسم الشخصي أو السمعة[5] ، مع أنهم كانوا يرون أنَّ دوام شخصية الإنسان يعود الى الجسد وليس للنفس ، أو البا ، أو الروح ؛ لأن النفس نفحة من الروح العلوي الناتج من جوهر الإله وهي ليست مخصصة لواحد فهي لا تحمل ذاتية الإنسان وعليه فان كل مراسيم الموتى تقام " للكا " وحدها ، ولاجلها تقام التماثيل، ويحنط الجسد ، وتنقش التعاويذ ، وترفق التمائم[6] .

واعتقدوا بأنّ الروح تغادر الجسد لحظة الموت ، ثم تطير متخذة صورة طائر ، ويمكن لهذه الصورة أنْ تتغير حسب الشكل الذي تحب الروح أن تتخذه[7] ويبدو أن الصورة المألوفة

---

[1] تشرني ، المصدر السابق ، ص116 .

[2] بودج ، الديانة الفرعونية ، المصدر السابق ، ص225 .

[3] سبنسر ، المصدر السابق ، ص163 .

[4] المصدر نفسه ، ص163 .

[5] عبد العزيز صالح ، ماهية الانسان ومقوماته (العقائد المصرية القديمة) ، مجلة كلية الاداب (مج27 ، مطبعة جامعة القاهرة : 1969) ، ص160 ، وكذلك ، مري ، المصدر السابق ، ص279 .

[6] عزت زكي ، الموت والخلود في الأديان المختلفة ، (القاهرة : دار الجيل للطباعة ، د.ت) ، ص12 .

[7] تشرني ، المصدر السابق ، ص ص112-113 .

المألوفة للروح لدى المصريين ، كانت هي صورة مالك الحزين . أما في العصور المتأخرة فظهرت بصورة طائر له رأس انسان ، وفيه ملامح المتوفى[1] .

واعتقد قدماء المصريين بأنَّ الميت يمكن أنْ يغادر قبره نهاراً ، وبالتالي فإنَّه يتخذ أية صورة يريدها ؛ شرط ذلك هو أن يعرف التعويذة السحرية الملائمة للصورة التي يختارها، فكان يمكنه ان يتحول الى بجعة أو كبش أو تمساح ، أو على هيئة زهرة ، أو غيرها ، بمجرد تلاوة التعويذة السحرية الملائمة[2] .

وتسمى تلك التعاويذ " تعاويذ الخروج نهاراً " . فالعالم السفلي كما يعتقد المصريون القدماء مليء بالفخاخ والمخاطر التي يمكن للروح اجتنابها لو علمت ما يجب عليها اتباعه من اجراءات ، وتلاوة ما يناسب من القراءات[3] . والحال هنا في تعدد الأشكال التي يمكن أن تتخذها الروح يختلف عما هو سائد في عقائد الهنود البرهمية الخاصة بتناسخ الأرواح[4] .

اما المنفذ الذي يستطيع المتوفى الاتصال من خلاله بالعالم الخارجي كما يرى المصريون القدماء ، هو : الباب الوهمي[5] الذي كان في الأساس عبارة عن فجوة في جدار المقبرة ثم تطور الى رسم باب يسمح للمتوفى بالدخول والخروج من المنزل الأبدي أي المقبرة إلى العالم الخارجي[6] .

واعتقد المصريون أيضاً أنَّ الروح يمكن أن تعاون المتوفى في التحدث مع الإله العظيم " رع " أو تقديم المتوفى له وأن لها امكانية البحث عن المؤن ، واحضارها للمتوفى ؛ كي يأكلا معاً[7] .

فالروح لديهم ينبغي أن لا تبقى بعيدة عن جسد صاحبها بعد الموت في الوقت الذي يتوجب تركها حرة لتعود الى مجرة المتوفى ، وتبقى مع جسده ، لاسيما أثناء الليل حيث تحوم الشياطين حول الجبانات فتقوم " الكا " بحراسة ذلك الجسد بعد الموت كما رافقته منذ ولادته، وحتى مماته[8] .

---

(1) ا ستيندرف ، المصدر السابق ، ص94 .

(2) استيندرف ، المصدر نفسه ، ص95 ، وكذلك : كيلاني ، المصدر السابق ، ص9 .

(3) سبنسر ، المصدر السابق ، ص165 .

(4) For more Details see clifford, op. cit, p. 104 .

(5) للتفاصيل عن مداخل الروح او الابواب الوهمية ينظر : عبد العزيز صالح ، مداخل الروح (الابواب الوهمية) المصدر السابق .

(6) الناضوري ، المصدر السابق ، ص83 .

(7) برستيد ، المصدر السابق ، ص90 .

(8) استيندرف ، المصدر السابق ، ص95 .

وحينما يموت الإنسان يرقد جسده في القبر ، فيما تذهب " البا " الى العالم الاخر؛ لترتبط با " لكا " التي تقترن باسم الكاهن الجنزي ، فهو يسمى خادم " الكا "[1] فضلاً عن وجود طائفة خاصة من الخدم ، هم : (خدام الكا) الذين كان عليهم تموين موائد القرابين يومياً أو دورياً بألوان الطعام ، وتسكب عليها حاجتهم من الماء[2] .

واعتقد المصريون بصعود المتوفى الى السماء ، فتخيلوا الميت على هيئة طائر ، أو جندب سابح في الاثير في السماوات العلى أحياناً ، أو تصوروه صاعداً على سلم كبير نصب في الغرب كأنه عمود موصل بين السماوات والأرض ، تحرسه الآلهة ليلاً ونهاراً . غير أنه لم يكن في استطاعة أي فرد أن يضع قدمه على هذا السلم ما لم يعلم التعويذة السحرية الخاصة به ، والتي يتوجب عليه تلاوتها قبل شروعه بالصعود[3] .

وقد صورت النقوش منذ أيام الأسرتين الخامسة والسادسة مصير الملك بعد الموت، الذي تصعد روحه إلى السماء التي تجسدها الآلهة " نوت " وتظهر النجوم على جسدها ليلاً فنوت كانت هي الواحدة ذات الألف روح ، وهذه النجوم التي لا حصر لها لا تعود للملوك الموتى فقط بل انطوت على الموتى الاخرين أيضاً[4] .

وقد برر المصريون هذا الاقتران بين الموتى والنجوم بأمرين ، الأول أنهم اعتقدوا بأن الموتى الذين لم يرضوا بان يكون مقرهم تحت الارض صاروا نجوماً في السماء[5] . وان الملوك يتحولون الى النجوم القطبية التي تعد رمزاً للديمومة ؛ لأنها لا تأفل أبداً في سماء مصر[6] .

أما الاتجاه الاخر : الذي يبرر ذلك الاقتران ، فيذهب إلى أنَّ هذه النجوم ذات العدد اللامتناهي المنتشرة في السماء ما هي الا موتى وأرواح سعيدة ، وجدت طريقها إلى السماء فظلت في سناء دائم الى جانب الآلهة[7] .

فعملية الصعود المارة الذكر على السلم لا تسلم حسب الاعتقادات المصرية القديمة من الأخطار اذ قد تزل قدم الميت فيهوي الى الحضيض إلاَّ إذا أخذت بيده آلهة رحيمة في وقت الخطر ، فترفعه الى أعلى ، وعندما يصل المتوفى نهاية السلم تفتح له أبواب السماء العظيمة،

---

(1) ابراهيم ، المصدر السابق ، ج4 ، ص191 .

(2) سونيرون ، المصدر السابق ، ص119 .

(3) استيندرف ، المصدر السابق ، ص96 .

(4) تشرني ، المصدر السابق ، ص ص114-115 .

(5) الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص101 .

(6) سبنسر ، المصدر السابق ، ص160 .

(7) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص238 .

فيدخل العالم العلوي وهو لا يختلف عن العالم الدنيوي الذي فارقه ، فهو يرى وادياً منبسطاً مستطيلاً ، يخترقه نهر عريض ، تتفرع منه ترع عدة وبحيرات ، يتطهر بمائها ، ويجتازها بزوارق ، يطلب صاحبها ليحمله بها بواسطة تعويذة تشمل اسمه السري[1] .

ومما أمن به المصريون القدماء ، وجود طرق أخرى للصعود الى السماء ، منها : أن يصعد الملك قابضاً على ذيل البقرة السماوية ، أو محلقاً إلى السماء كطائر ، أو محمولاً إليها على دخان البخور المحترق ، أو على عاصفة رملية[2] .

وقد ذكرت نصوص الأهرام بعض تلك الطرق فضلاً عن طرق أخرى، منها: الصعود على أشعة الشمس ، أو على ظهر سحابة . كما ذكرت تلك النصوص أنَّ الآلهة كانت توفر بعض العون خلال عملية الصعود[3] إلى السماء بعدها المستقر الفعلي للميت[4] .

فالموتى يقطنون في مقرين رئيسين في السماء ، هما : حقل القربان ، وحقل البردي بصفة ملائكة النور ، ويعدهم الناس مخلوقات أرفع منهم درجة أي كانصاف آلهة ، أما الفرعون المتوفى فكان لا يزال ذا مكانة عظيمة في عالم الموتى ؛ لأنَّه بعد مماته يصير ملكاً مرة أخرى وتحني الآلهة نفسها الرؤوس اجلالاً ، واحتراماً لهُ . وكان يجلس على عرش المُلك، ويتسلم الصولجان والسيف ؛ رمزاً لما له من الجلالة والشرف[5] .

وقد عد الملوك آلهة وهم أحياء على الارض ؛ لأنهم متصلون بـ " الكا " منذ ولادتهم[6] . ولأن الملك يعد ابن " لرع " إله الشمس ، لذا فإنَّه يلتحق به بعد وفاته ، ويرافقه في مركبه المقدس خلال رحلته اليومية عبر الأفق[7] .

أما عامة الناس فانهم لم يعدوا انفسهم ابناءاً " لرع " بل أمنوا بأنهم من خلقه ، لذا فإنهم سرعان ما اقتبسوا مصير الملك نفسه[8] الذي يكتسب من الاتحاد " برع " الخلود ، ومساواته بالرب الخالد ، ورئاسة الآلهة ، والقوة التي تمكنه من القضاء بين المتخاصمين ، فضلاً عن الاستفادة من كرم الإله ؛ لانه يقدم له الطعام والشراب[9] .

---

(1) استيندرف ، المصدر السابق ، ص97 .

(2) تشرني ، المصدر السابق ، ص112 .

(3) ابو غازي ، المصدر السابق ، ص167 .

(4) تشرني ، المصدر السابق ، ص112 .

(5) استيندرف ، المصدر السابق ، ص97 .

(6) ابراهيم ، المصدر السابق ، ج4 ، ص196 .

(7) تشرني ، المصدر السابق ، ص115 .

(8) المصدر نفسه ، ص115 .

(9) ابو غازي ، المصدر السابق ، ص169 .

ونشأ عند المصريين القدماء اعتقاد بامكانية تحويل الميت إلى مادة الإلـــه مـــن حيـــث امكانية القيامة والحياة بعد الموت ، أو حتى تأليه الميت . فكان الفرعون عندهم أثنـــاء الحيـــاة يطابق ، ويعادل الإله " حورس " ابن " أوزيريس " ، وعند المـــوت يصـــير " اوزيـــريس " ، ويصبح ابن الملك الذي يعتلي العرش في مكان أبيه الإله " حورس " . ثم توسعوا فـــي هـــذا الامتياز ، وجعلوه يشمل أعضاء الأسرة المالكة ، ثم صار الإتصال بأوزيريس حقـــاً لجميـــع الناس إلاَّ أنَّ الفرعون يتحد مع الآلهة في السماء ، ويصبح إلهاً مثلهم[1] .

وأعتقدوا أيضاً أنَّ الملك يجوب السماء نهاراً مع إله الشمس الذي يتلقاه بشكل حســـن، ويهيء له مكاناً في مركبه أو يتخذه كاتباً له يجلس أمامه أو إلى جانبه ويجوب الملك السماء ليلاً ولكن مع إله القمر . وفي السماء يدخل الملك حقل الأسل " يارو " حيث يزدهر الـــزرع، وينمو القمح والشعير الى ارتفاع سبعة أذرع ، فيجلس على عرش كبير ، وتكرمـــه رعيتـــه، ويقضي بينهم على نحو ما كان يفعل على الأرض . وبهذا لا يكـــون دخـــول جنـــة الأســـل مقصوراً على الملك وحده ، بل يدخلها أتباعه وحاشيته والأبرار من شعبه[2] .

واذا كانت الشمس ترتحل عبر السماء نهاراً ، لتضيء أرض مصر ، ولتـــؤمن الأمـــن والاستقرار ، فإن الإله " رع " يمضي الليل عبر العالم الاسفل في رحلـــة تكتنفهـــا الصـــعاب والمخاطر حتى يطلع فجر يوم جديد[3] .

ولا يعني اتحاد الميت مع اوزيريس التخلي عن التعاويذ القديمة التي كانت ترتل خلال الإحتفالات الجنائزية الرامية إلى المحافظة على وجود ورفاهية الميت بقواها السحرية ، بل ان العديد من هذه التعـــاويذ اقتبست لاستعمالهـــا لحساب البسطـــاء من الناس ، فأصبحت لـــدينا تعاويذ جديدة من النوعية القديمة نفسها أضيفت إلى الحصيلة السابقة لها ، غير انها لم ترتـــل فقط في الجنازات ، بل كان يعتقد أنَّ من المفيد وضعها بمتناول الميت في أية لحظـــة عنـــدما يحتاجها ؛ لذا كتبت أولاً على جدران التوابيت وهو ما نطلق عليه نصـــوص التوابيـــت ، ثـــم أصبحت تسمى كتاب الموتى منذ أيام الدولة الحديثة بعـــد أنْ أصـــبحت تكتـــب علـــى أوراق البردي، وتودع مع جسد الميت[4] .

ومن أهم المساعدات التي يمكن أن تقدمها هذه التعاويذ حسب اعتقاد المصريين القدماء هو حماية الميت من الجوع والعطش في العالم الآخر ، والقدرة على اتخاذ اشـــكال مختلفـــة،

---

[1] باقر ، المصدر السابق ، ص99 .

[2] رزقانه واخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، المصدر السابق ، ص96 ، وكذلك : الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص102 .

[3] سبنسر ، المصدر السابق ، ص106 .

[4] تشرني ، المصدر السابق ، ص123 .

والخروج نهاراً وليلاً ؛ لتناول ما يقدم من قرابين ، وبذلك فإنها ضرورية لتحقيق القوة، والسعادة بعد الموت للمتوفى[1] .

ومما يلاحظ على بعض العقائد المصرية في العالم الآخر أنها كانت متناقضة . ولعل ذلك يعود إلى أنَّ النصوص التي اشرت تلك العقائد قد تبلورت خلال زمن طويل ، فهي تكشف التغير في شخصية الفرعون ، وتعمل على تسجيل مروره من منزلته كملك في هذا العالم الى منزلة مساوية أو أعظم في الحياة الأخرى . وإنَّ كثرة مصادر النصوص تفسر التناقض الذي نلاحظه الآن فيها[2] .

ومن العقائد الأخرى التي أمن بها المصريون مما يتصل بعالم ما بعد الموت ، هو : أنَّ الميت قد يصطدم مع الأفراد الذين لا يزالون في ريعان شبابهم ، فيحسد الأحياء على سعادتهم ، ويسعى إلى جذبهم الى حافة الموت ؛ ليصبحوا له خلاناً جدداً في الغرب وكان يعتقد أن نجاحه العاجل هو في المكان الذي يخيم فيه المرض ، لذلك كان ظهور الميت فيه مدعاة للخوف والفزع ، فكانت الأم المحزونة القلب تراه ينسل الى البيت بوجه متحول وهي جاثية بجانب فراش طفلها المريض ، فتخاطبه مدافعة عن ولدها ومستعملة أدوية واقية من شرور الموتى، لاسيما أن هنالك دافعاً آخر لوجود الميت بين الأحياء، هو:حب الإنتقام منهم فكان اهتمام الميت كله في هذا الشأن أنْ يصب عليهم كل أنواع المصائب وبخاصة المرض[3]

وآمن المصريون بإنَّ الموتى يعملون في آخرتهم في حقل البردي بزراعة الارض التي تعد احب الحرف ، ويجني هذا الفلاح " المتوفى " من عمله هذا ثمرة عظيمة تختلف اختلافاً كبيراً عما كان يجنيه في الحياة الدنيا . فالقمح ينمو على ارتفاع سبعة اذرع ونصف ، والسنبلة وحدها تربو على ثلاثة اذرع ونصف . فكان الموتى يعدون الأرض ، ويبذرون البذور، ويحصدون المحصول ، ويخزنونه ، ثم يلهون بلعب النرد في نهاية اليوم بعد الفراغ من العمل تحت ظلال شجرة الجميز[4] .

وعلى الرغم من الاعتقادات المصرية في امكانية حركة الروح بحرية فانهم اعتقدوا ايضاً أنها غير قادرة على معرفة صورة الميت الذي خرجت منه لذا كان قبر الميت يزود بصورة له ، كي تتعرف الروح على صاحبها ، وتستطيع زيارته بين حين وآخر[5] .

---

[1] المصدر نفسه ، ص ص123-124 .

[2] الاحمد ، واحمد ، المصدر السابق ، ص100 .

[3] استيندرف ، المصدر السابق ، ص92 .

[4] المصدر نفسه ، ص92 .

[5] سالم ، المصدر السابق ، ص48 .

العالم السفلي

أمن المصريون القدماء بوجود عالمين أحدهما سفلي يحكمه " اوزيريس " ، وآخر سماوي يحكمه " رع " . وفي الغالب أن العالم الأوزيري كان أقدم من الفكرة الشمسية إلا أنه لم يكن موصوفاً من الناحية العملية في نصوص الأهرام ؛ لأنها من عمل كهنوت هليوبوليس الشمسي[1] .

وقد اعتقد المصريون قديماً أنَّ عالم الموتى عالم سفلي يقع في الغرب ؛ لأن الشمس تغيب كل مساء في الغرب لتظهر من جديد في الشرق عند الصباح . لذا فانهم وجدوا إنَّ الشمس لابد ان تكون قد اجتازت عالماً يمتد تحت الارض . وهو ما تسبب في نشأة الاعتقاد بأنَّ هذا العالم هو عالم الأموات الذي لا يسمح للأحياء دخوله ، أو الحياة فيه . في الوقت نفسه الذي أعتقدوا فيه أنَّ الأموات ينزلون في الغرب ، ويعيشون في عالم مظلم ، لذلك يسمى عالم الأموات باسم الغرب ، ويسمى الأموات بأهل الغرب[2] .

وينطلق المصريون في ذلك من خلال اعتقادهم بوجود عالم تحت مستوى العالم المعروف ، ويسمى " دوات " ، وهو أشبه بمصر إذ يخترقه نهر ، وتتواجد على كلتا حافتيه ممرات طويلة ، وكهوف عميقة يتخذها الموتى مساكن لهم ، فتظهر خلال النهار قاحلة قفراء، يخيم عليها الحزن والكأبة ، حتى إذا ما حل الظلام ، ونزلت الشمس في الغرب خلف تلك الجبال الخرافية "منو" ، سطع نورها على الموتى ، وعندئذ يشاهدون فيها نور " رع " وجلاله، ويسبح الموتى الذين في حجراتهم وكهوفهم بحمد الشمس كما انهم حينما يشاهدونها تفتح عيونهم ، وتمتلئ قلوبهم غبطة وسروراً ، ويصيحون فرحاً عندما يرون جرم الشمس في افقهم[3] .

هذا وتعد كلمة " دوات " أو " دات " الكلمة الأقدم إستعمالاً للدلالة على العالم السفلي . إلا أنَّه اسيء استعمالها في متون الأهرام ، فجعل كهنوت هليوبوليس منها معنى يشير إلى أسماء عامة ، أو إلى الجزء الشرقي منها ، أو إلى العالم السفلي بصورة مبهمة . ومنذ أيام الدولة الوسطى استعملت كلمة دوات للدلالة على دولة " أوزيريس " في العالم السفلي[4] ، أي أنها اصبحت تطلق على جزء من العالم السفلي ، وليس على مجمله .

---

[1] ابراهيم ، المصدر السابق ، ص198 .

[2] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص91 .

[3] استيندرف ، المصدر السابق ، ص98 .

[4] ابراهيم ، المصدر السابق ، ج4 ، ص203 .

ثم استعملت إلى جانب تلك الكلمة كلمات أخرى ، كالقاب للعالم الاوزيري السفلي. فسمي مثلاً " ايمنت – Imnt " ، أي : الغرب ، و" حرت نثر " أي : مملكة الموتى ، و"ايجرت " أي : العالم السفلي ، و" قبحو " أي مكان الماء البارد ، و" زرست " أي : الأرض المقدسة و" تاعنخ " أي أرض الحياة ، و" ثننت " أي المكان المرفوع إلى أعلى ، فيما كان "اوزيريس" هو سيد " الدوات " التي كانت على صورة مصر[1] .

إلا أنَّ الصورة الجميلة هذه عن العالم السفلي لم تكن كذلك في بدايتها ، فقد صور المصريون أرض العالم السفلي أول الامر بانها ارض الظلام ، والنوم الثقيل ، وبيت الحزن والأسى للماكثين فيها . فهم ينامون باشكال متنوعة ، ولا يتبادلون الزيارة مع اخوانهم ، ولا يعرفون امهم ولا ابيهم ، وليس لقلوبهم مشاعر نحو حياتهم وأطفالهم ، وهم في أرض الإله الذي ينادي الجميع فيخضعون له ويصلون له ، ويبتهلون اليه ، لانه لا يبالي لهم ولا يهتم بأمورهم ، فهم في أرض الغرب والظلام ، والمكان السري ، وأرض اللاعودة ، والمنزل الذي لا وجود فيه ، وهي أرض الآلهة أو أرض الاشباح ، أو أرض الصمت والسكوت، ومكان الجنازة ، والأرض اللامرئية ، وهي العالم السفلي " امنت – Amenti " المشتقة من كلمة " آمون "[2] .

والعالم السفلى ينقسم إلى اثنى عشر قسماً يوافق ساعات الليل الإثنتى عشرة ، وتسمى هذه الأقسام بالحقول أو المغارات ، وهي أهلة بالآلهة والأرواح ، والموتى ، ويتولى السيادة في كل منها أحد الآلهة وكما يجوب الفرعون مقاطعات بلاده أثناء حياته فإن الإله الشمس ينتقل بين هذه المغارات الواحدة تلو الأخرى ، ويلقي أوامره إلى الآلهة التي توجد فيها فضلاً عن انه يوزع الحقول بينها . وتتألف حاشية " رع " من آلهة شتى مع مصاحبة الإله المعين للمغارة أو الساعة المعينة من الليل ورحلته الليلية اليومية[3] .

هذا ويفصل الأقاليم الاثنى عشر بعضها عن بعض بوابة ضخمة ، تحرسها ثعابين غلاظ ، وعلى مقربة من كل مدخل يوجد ثعبانان ينفثان ناراً حامية ، وإلهان لحماية البوابة. وكان لابد لإله الشمس من معرفة أسماء هذه الثعابين والشياطين المختلفة ، فهي لا تغادر تلك البوابات حتى يتفوه باسمائها ، وحينها تفتح البوابات ، ويمر زورق الشمس إلى اقليم جديد[4] .

---

[1] المصدر نفسه ، ص203 .

[2] James Bonwick, Egyptian Belief and Modern Thought, (colorado, n.d), p,46 .

[3] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ص263–264 .

[4] استيندرف ، المصدر السابق ، ص98 .

وتبدأ رحلة الإله الشمس التي تدوم أثنتى عشرة ساعة يومياً بولوجه في الأرض من الباب العظيم للافق الغربي ، حتى يصل إلى آلهة العالم السفلي . أما في الساعة الثانية فإنه يصل الى حقل يسمى حقل " ورنس " ومنذ ذلك الحين فإنَّ الإله يستعمل سفينة جديدة ، تقودها في البداية اربعة زوارق غربية[1] ، تسير في نهر يطلق عليه " توات – Tuat " قبل الوصول إلى مجد " رع " وهو بمستوى مصر تقع بدايته عند الحافة الغربية للنيل ، وبعدها ينحرف إلى الشرق وينتهي حيث تشرق الشمس[2] .

ويدخل الإله الشمس في الساعة الثالثة حقلاً أخر ، يماثل الحقل السابق من حيث المساحة ، وفيه يقطن " اوزيريس " مع حاشيته ، وتتقدمه هنا طائفة من السفن ، فيقام له استقبال بهيج ثم يعود في الساعة الرابعة والخامسة الى منطقة السراديب او المغارات الغربية السرية حيث يسكن اله الموتى في منف ، وحيث تنعدم المياه ، فتتحول سفينة " رع " إلى ثعبان يمشي خلال السرداب[3] . رغم أن بعض المصريين القدماء يعتقدون أن الموتى المتقين يجروه إلى الجانب الشرقي من السماء ، أي إلى المكان الذي تولد فيه الآلهة[4] .

وفي الساعة السادسة تجد السفينة مجراها مرة اخرى في الماء ، إلا أنها تتعرض في الساعة السابعة الى خطر تنين العواصف (ابوفس) ، فيستعان بالسحر لتجاوز تلك الصعوبات، ثم تنادي شتى الأرواح الإله " رع " في الساعة الثامنة فتحدث ضوضاء تشمل مواء القطط ، أو طنين النحل ، أو بكاء البشر ، أو خوار الثيران ، أو اصوات الصقور ، وزقزقة العصافير، أو اصوات ارتطام الماء بالشواطئ[5] . بعد ذلك يمر الإله خلال الساعة الثامنة بموضع يسمى الظلام الكلي الذي تحرسه ثلاثة آلهة مع رؤوس تمثل التمساح والأسد والكلب[6] .

ولا تحين ساعة الراحة في السفينة إلا في الساعة التاسعة[7] . فقد أعتقد المصريون القدماء إنَّ عامة البشر يسكنون في العالم السفلي على هيئة أشباح ، يلقون التحية لإله الشمس، ويجرون قاربه أحياناً في ماء النهر . أما الفرعون المتوفى فإنه يأخذ مكانه مع إله الشمس في

---

(1) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص264 .

(2) Nelson, op. cit, p. 226 .

(3) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص264 .

(4) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص91 .

(5) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص266 .

(6) Bonwick, op. cit, p. 48 .

(7) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص266 .

قاربه ، ويصبح مثله ، فيسمح له بالإشتراك في سياحته الليلية العجيبة على شرط معرفته باسماء الشياطين ، والثعابين السرية[1] .

فالملك المتوفى ليس بإنسان لأنَّ أباءه ليسوا من البشر ، وإنَّ امهاته لسن من الناس، وإنما هو الإله " تحوت " أقوى الآلهة ، أو الإله " شو " ابن " رع " الذي يحمل السماء[2] .

ولم يقتصر سفر الملك في زورق الإله الشمس فقط بل سرعان ما قلده عامة الناس في ذلك حتى سرى الاعتقاد بان كل ميت يمكنه مرافقه إله الشمس في سياحته الليلية ، أو يقوم بها بنفسه كأنه إله الشمس بشرط معرفته للتعاويذ السحرية ، وأن يكون في قبره وصف دقيق أو خارطة للعالم السفلي[3] .

وفي الساعة الحادية عشرة تتم مشاهدة تعذيب أعداء " اوزيريس " ويتحول الحبل الذي يتم به جر السفينة إلى ثعبان ، ثم تسحب السفينة من جوف الثعبان عند الموضع المسمى (نهاية السحر) وبعد أن استقر أحد الجعلان منذ الساعة العاشرة إلى جانب " رع " ، تخرج السفينة ثانية من بين فكي الثعبان ، فيصبح إله الشمس هذا الجعل ، أي أنه تحول إلى إله شمس الصباح ، وبينما يظل جسده القديم في العالم السفلي يستقبل " شو " الجعل ، ويخرج الإله الجديد من العالم السفلي ، ويستقر في زورق الصباح ، ثم يصعد إلى حضن آلهة السماء، فتولد الشمس وهي تبدأ يومها الجديد[4] .

فتولد عن ذلك وعن عقيدة موت وبعث الإله " اوزيريس " الذي عد ملكاً للموتى أجمعين[5] الذين يعيشون في العالم السفلي بحمايته وزوجته " ايزيس "[6] إعتقاداً لدى المصريين بانهم سيبعثون احياءً ، ولن يموتوا مثل " اوزيريس " في حياة جديدة وسعيدة . فاعتقدوا أن الميت سوف يصحو ثانية على النحو الذي بعث به " اوزيريس " للحياة من جديد ليس على شكل شبح خيالي وانما في بعث مجسد لأن الآلهة جمعت عظام " اوزيريس " معاً ، وأعادته إلى الحياة وإن "توت" و" اوزيريس " سوف تقتربان منه حينما يموت ، وتضم عظامه إلى بعضها من جديد، وتجمع له اعضاءه ، ويوضع قلبه في جسده ، وستأتيه روحه ، وتصاحبه من جديد (الكا) الخاصة به ، وهذا هو مصير الاتقياء الذين يعبدون " اوزيريس "

---

[1] استيندرف ، المصدر السابق ، ص98 .

[2] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص91 .

[3] استيندرف ، المصدر السابق ، ص ص98–99 .

[4] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص266 .

[5] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص92 .

[6] Rawlinson, op. cit, p. 155 .

فهم لا يذهبون أمواتاً بل احياءً ، ولا يحيون – كما تقدم – بعد الموت حياة الأشباح ، وإنما يبعثون لحياة جديدة يحرزون فيها أجسامهم وارواحهم وسائر اعضائهم[1] .

ولا يقتصر العالم السفلي على " اوزيريس " واله الشمس كآلهة بل إنه يضم عدداً اخر من الآلهة ، منها : " حور ، وايز ، واوت ، وسوكر " فضلاً عن " ابش ، ونوكار " ، وبعض الشياطين ، ولربما كان "ست" أحدهم فهو يظهر بهيئة شيطان له رأسان احدهما رأس "حور"، والأخرى رأس "ست" . ومادام " حور " يقترن بالسماء دائماً فإن " ست " يقترن بالأرض وربما بتحت الأرض[2] .

ويعود إرتباط " ست " بالعالم السفلي ، والدوات إلى ارتباطه بالصحراء كإله للصحراء، وكإله له شهرة سيئة ، وبالعالم السفلي الذي كان يظن أنه يبدأ في الجانب الآخر من الصحراء الغربية الواسعة حيث تربض الشياطين والمخلوقات الشريرة متربصة لأله الشمس في رحلته الليلية[3] .

محاكمة الموتى

راجت عقيدة محاكمة الموتى أمام محكمة إلهية يتولى القضاء فيها " اوزيريس " نفسه بمساعدة " توت ، وانوبيس ، وتحوت ، ومعات ، واثنان وأربعون قاضياً " وراجت معها عبادة " اوزيريس " منذ أيام الدولة الوسطى ، إلاَّ أنَّ تعاظماً طرأ عليهما من حيث الشمول في عهد الدولة الحديثة ؛ لأن الفرد في المجتمع المصري القديم كان يرجو أن يكون مثل "اوزيريس" في الحياة الأخرى[4] .

فقد رسخ الاعتقاد بالعقيدة الاوزيرية منذ أيام الأسرة الثامنة عشرة[5] . إذ تشوق الناس الى البعث والحياة بعد الموت مثل " اوزيريس " ، والتماثل معه[6] ، لاسيما ان المصري كان قد اقتنع بان الاعمال التي يقوم بها في حياته تخضع لتحليل وتمحيص على أيدي القوى الآلهية بعد موته[7] ، فولدت فكرة محكمة " اوزيريس " وتطورت ، فهي تنتظر كل إنسان بعد مماته كي يحاكم على تصرفاته وفقاً لقواعد الأخلاق .

---

(1) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص92 .

(2) ابراهيم ، المصدر السابق ، ص203 .

(3) المصدر نفسه ، ص ص203–204 .

(4) عبد القادر حمزة ، على هامش التاريخ المصري القديم ، (القاهرة : 1957) ، ص55 .

(5) سبنسر ، المصدر السابق ، ص166 .

(6) تشرني ، المصدر السابق ، ص124 .

(7) بودج ، الديانة الفرعونية ، المصدر السابق ، ص145 .

ومن الجدير بالذكر أن أول المحاكمات الآلهية قد جرت " لاوزيريس " ، وخرج منها بريئاً فبعد أن قتل " اوزيريس " على يد " ست " نسب الأخير " لاوزيريس " اموراً شائنة تلحق العار بشرف ايزيس عندما وضعت " حورس " بعد وفاة زوجها "اوزيريس" ولما شب "حورس" قامت بينه وبين " ست " مشاجرات احتكموا بعدها الى المحكمة العليا ، فحكمت بصحة نسب حورس ، وأدانت " ست " الذي عرف من ذلك الحين بإله السوء فكان لهذه الأسطورة أثر عظيم في عقائد قدماء المصريين ، لأنهم اعتقدوا ان كل من احسن في دنياه وخصوصاً كل من ذاقت نفسه الآلام مثل " اوزيريس " لابد ان يكافأ بالنعيم في الحياة الاخرى وبعكس ذلك يكون مصير من أساء في دنياه كما هو الحال مع " ست "[1] . لاسيما أنَّ الآلهة في محاكمتها قررت احضار " اوزيريس " للمحكمة من مسكنه في سماء " انو " فيما تولى تحوت[2] إجراء التحقيقات في تهم " ست " ضد اوزيريس ، فبرهن على براءة اوزيريس . واقتنع الآلهة بذلك ، وبان " ست " كان كاذباً ، وأن " اوزيريس " كان بريئاً وذاكراً للحقيقة، فقرر جميع آلهة السماء والأرض تنصيبه قاضياً للموتى ، وجعلوا مملكته في العالم الاخر[3]. أما "ست" فقد ربط بالحبال والسلاسل مثل الوحوش التي تقدم كقربان ، وتم تقطيعه إرباً على مرأى من " تحوت "[4] .

على الرغم من شيوع الاعتقاد بمحكمة الموتى بين المصريين إلا أنه مر بمراحل قبل ان يكون على الصورة التي ظهر بها في الدولة الحديثة . فبعد أن عد "اوزيريس" قاضياً والهاً للموتى ، تطورت الأفكار الدينية بين المصريين ، وتيقنوا من أنَّ الذين نالوا رضا اوزيريس بقولهم الصدق والامانة في تعاملهم على الأرض هم فقط الذين يسمح لهم بالدخول الى مملكته. وعندما اصبحت قوة " اوزيريس " مهيمنة على العالم السفلي ، ظهرت شهرته كقاضي عادل وصادق ، وأصبح راسخاً بين المصريين الإعتقاد بإنَّ كل الناس سيقفون بعد موتهم أمام "اوزيريس" في قاعة الحساب ؛ ليواجهوا حكمه عليهم إما بالعقاب أو بالثواب[5] .

---

[1] سالم عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص ص41-42 .

[2] يعده المصريون مؤلف ما يعرف " بكتاب الموتى " ، وأعتقدوا أنه قلب الخالق وعقله ، ولسانه والناطق بارادته ، وإنه الكاتب والناسخ الذي يحتفظ بسجل لكلمات وأفعال الناس ، وهو مبتكر القانون المادي والمعنوي، وهو رمز مجسد للعدل ، وهو معين لتقييم أفعال وكلام الناس ، وقد أصبح أكثر قوة في العالم الآخر حتى من " اوزيريس " نفسه الذي يعزو براءته وانتصاره على " ست " إليه ، لذا فإن كل مؤمن وتابع "لاوزيريس " يعتمد على " تحوت " لتأمين بقائه اللانهائي في محكمة اوزيريس ينظر :
Budge, The Book of Dead, p. 14 .

[3] بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص217 .

[4] Budge, The Book of Dead, p. 19 .

[5] Ibid, p. 20 .

فقد كانت عقيدة " اوزيريس " تعد الناس الذين يتبعونها بالخلاص من خلال البعث والحياة الأبدية " الخلود " . ولكي يحصلوا على ذلك كان عليهم ممارسة حياة أخلاقية ، وعمل الفضائل ، واجتناب الكذب ، وأعمال الغش ، والخداع ، وانواع النفاق ، ومراعاة القوانين للإله الوطني والمحلي أو إله المدينة[1] .

واخذت جميع المواعظ في القوانين الأخلاقية العالية تغذى عن طريق الهدايا والتضحيات إلى المزارات المحلية . إلا أن اوزيريس كان يتوقع من اتباعه تجنب كل انواع الزلل في القوانين الأخلاقية والذنوب ، لكي لا يكون مضطراً لمعاقبتهم أثناء حسابهم بعد موتهم . فكان يتوقع من الرجل ان يكون نقي الضمير كما هو نقي اليد واللسان[2] .

وفي الوقت الذي بدأت فيه عقيدة " اوزيريس " والحساب قريبة من قلوب كل الناس كان الإله " رع " مقدساً من قبل الفراعنة وموظفيهم ونبلائهم وكهنتهم الرسميين ، إلا أن عقيدته لم تكن شعبية مع كثير من المصريين[3] .

على أيٍّ حال اعتقد المصريون بأن محكمة اوزيريس تقوم بالقرب من ابيدوس[4] ، أو

في " بوتو " و " ممفس "[5] عند منتصف الليل[6] ، وهي : المحكمة التي تشهد في كل مرة تبرئة أوزيريس من قبل تحوت[7] .

ويحضر هذه المحكمة جمع كبير برئاسة اوزيريس الذي يرمز له دائماً بشكل مومياء ذات لحية ، وأحياناً يلبس التاج الأبيض أو التاج الأبيض الذي يحمل ريشتين ، وزوج من القرون المتصلة به ، وهو يمسك الصولجان بيده اليمنى والسوط بيده اليسرى ويجلس على غطاء جنائزي مع أبواب مسمرة[8] . ويقف خلف اوزيريس كل من ايزيس ونفتيس ، ويجلس انوبيس إلى يساره فهو الذي يتولى إدخال المتوفى إلى قاعة المحكمة . ويجلس تحوت (كاتب

---

[1] بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص222 .

[2] المصدر نفسه ، ص222 .

[3] Budge, The Book of Dead, p. 21 .

[4] Loc. Cit .

[5] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص92 .

[6] Budge, The Book of Dead, p. 21 .

[7] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص92 .

[8] بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص217 .

المحكمة) إلى يمينه[1] . اما ابناء " حورس " فيقفون على وردة عروس النيل بالقرب من اوزيريس ، ويظهر بالقرب من عرش الاخير جلد ثور بلونين أسود وأبيض ، مربوط إلى عمود اذ ان اجسام الملوك والرؤساء غالباً ما كانت توضع في جلود الثيران قبل دفنها ، ويسمى هذا الجلد " مسكا " ، وهو اسم لمكان البعث في السماء ووضع عرش الإله فوق مياه من المحيط السماوي . أما جدران مزاره فكانت لهيباً من النار ، يقف على ساحته صف من الكوبرا المقدسة[2] .

ويحضر المحكمة الوحش المفترس " عمعم " ، أي الضاري وهو آكل الموتى من الاشرار ممن تدينهم المحكمة ، وهو يجمع في هيئته بين جاموس البحر والتمساح[3] . فضلاً عن ذلك يوجد في قاعة المحكمة قرد برأس كلب ، يجلس على قمة عمود وقد انتخبه تحوت كشريك له لرؤيته الحادة ومقدرته الفائقة بالمراقبة[4] .

أما القضاة الأثنان والأربعون فهم يمثلون بجسم إنسان ورأس صقر أو عقاب أو سبع او كبش او حيوان اخر[5] ، وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة هي رمز للآلهة "معات" الهة الحق والعدالة[6] ، وفي يد كل منهم سكين[7] . ومهمتهم ملاحظة ما يظهر في كفتي الميزان الذي يزن الحسنات والسيئات ومراقبة ذلك بكل دقة ، وتطبيق نتيجتها على أقوال الميت[8] .

ولهؤلاء القضاة أسماء مخيفة ، ومنها : ملتهم الدم ، وعين اللهيب ، وكاسر العظام، وساق النار ، ولاوي الرأس ، وآكل الظل[9] ، والصائح[10] ، ومبتلع الظلام ، ومعلن القتال، وآكل الاحشاء ، وصاحب الوجه المستدير ، وصاحب الاسنان البيضاء ، وغيرها[11] .

---

[1] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص92 .

[2] بودج ، الساكنون على الارض ، المصدر السابق ، ص ص217-218 .

[3] زكري ، المصدر السابق ، ص124 .

[4] بودج ، الساكنون على النيل ، المصدر السابق ، ص224 .

[5] استيندرف ، المصدر السابق ، ص101 .

[6] زكي ، المصدر السابق ، ص124 .

[7] استيندرف ، المصدر السابق ، ص101 .

[8] زكري ، المصدر السابق ، ص107 .

[9] استيندرف ، المصدر السابق ، ص101 .

[10] مونتيه ، المصدر السابق ، ص415 .

[11] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص93 .

اما عدد هؤلاء القضاه فقد تصاعد حتى وصل الى الرقم المذكور أي اثنين واربعين قاضياً ، وهو عدد يمثل عدد اقاليم مصر[1] ، وقد أريد من وجود هؤلاء القضاة السيطرة على خليقة المتوفى من جميع أرجاء مصر القديمة[2] .

يضاف إلى ذلك أنّ هنالك أربعة عشر من النواب ، وينتصب في وسط قاعة المحكمة ميزان كبير ، تظهر عليه رأس الحقيقة ، وتارة أخرى رأس انوبيس ، وتارة برأس تحوت[3].

ويستعمل هذا الميزان لوزن القلب ، وهي الفكرة التي نشأت قبل نهاية الأسرة الرابعة[4] . اذ تمثل كفتا الميزان في حالة توازن تام ، فإذا وزن القلب مستقر الإرادة ومصدر ومصدر أفعال الإنسان فإنَّه يتساوى تماماً مع وزن الصدق الذي يعبر عنه بريشة آلهة الصدق أو بالاخيرة نفسها[5].

واظهرت بعض الرسوم عملية وزن الجسم مقابل القلب ؛ لمعرفة ما إذا كان الجسم قد نفذ أوامر القلب . فقد ساد اعتقاد قديم بأن حساب الموتى يحدث في الجسد قبل قدوم الموتى إلى محكمة " اوزيريس "[6] .

بناء على ما تقدم فإنَّ هنالك العديد من الآلهة الذين يحضرون عملية وزن القلب ، وهم: "رع" اله شمس الفجر والظهيرة ، وتيمو Temu أي إله الشمس في المساء ، ويرسم بشكل بشري وبوجه رجل والإله " شو – Shu " الذي يظهر برأس رجل وهو تجسيد لضوء الشمس ، والإلهة " تفنوت " ذات رأس الأسد وهي تجسيد للضباب ، والإله " سب " أو " جب " وهو تجسيد للارض ويظهر برأس رجل ، والإلهة " نوت " التي تعد تجسيداً للماء الاساسي، ومن ثم للسماء وتظهر برأس امرأة ، وتظهر ايزيس برأس امرأة ، ونفتيس برأس امرأة

---

(1) مونتيه ، المصدر السابق ، ص413 .

(2) برستيد ، المصدر السابق ، ص405 .

(3) مونتيه ، المصدر السابق ، ص413 .

(4) بودج ، الديانة الفرعونية ، المصدر السابق ، ص150 .

(5) تشرني ، المصدر السابق ، ص125 .

(6) E.A.Wallis Budge, The Egyptian Ideas of the future life : Egyptian Religion, (New York, 1959), p. 166 .

ايضاً، وحورس برأس صقر ، أما " حتحور " فتظهر برأس امرأة وهي تجسيد لـذلك الجـزء الذي تشرق الشمس منه ، وتغرب فيه ويظهر " حو " برأس رجل ، و" سـا " بـرأس رجـل ايضاً[1] .

وتبدأ المحاكمة بإدخال " انوبيس " للميت إلى قاعة المحكمة بعد أن يرتدي الميت ثوبـاً أبيض اللون ، فيقف مرتعداً خائفاً من هذه الساعة الرهيبة التي هي الفصل النهائي فـي امـر خلاصه أو هلاكه الابدي[2] .

فيلقي المتوفى التحية على جميع الآلهة الحاضرين وهو واقف على باب ردهة الحـق، فيترافع عن نفسه قائلاً : " الخضوع لك أيها الإله العظيم ، جئت اليك يا رب خاشعاً ؛ لأعـاين مجدك ، إني أعرفك ، وأعرف اسمك ، وأعرف أسماء الإثنين والأربعين قاضـياً الجالسـين معك في قاعة العدل ، لقد أتيت إليك متوسلاً بالحق ، لقد تخليت يا إلهـي عـن كـل رذيلـة ومعصية ؛ طمعاً في حبك ورضائك ، إني لم اسيء إلى احد ، ولم أظلم اسـرتي ولـم اسـلك طريق الظالمين ، ولم أعمل ما يغضب الآلهة ، إني لم اسيء إلى خادم ، ولم أهمـل الجـائع والمسكين ، ولم أقتل ، ولم أحرض احداً على القتل ، إني لم أحنث في يمين ، ولم أسـع فـي ضرر عبد عند سيده ، ولم أكذب ، ولم أضمر لأحد سوءاً ، ولم انتهك حرمة جثث الأمـوات، ولم أرتكب الفحشاء ، ولم أدنس معبداً مقدساً ، ولم أبخس المكيال ، ولـم أتعـد علـى أرض جاري ولا على ما خصص للآلهة من وقف "[3] .

ويضيف إلى ذلك قائلاً : " أنا لم أَزد أو أنقص من الأرض ، أنا لم أجِر علـى حقـول الاخرين ، أنا لم أضف إلى موازين الكفة ، لأغش البائع أنا لم اسيء قراءة مؤشـر الكفتـين لأغش المشتري "[4] . " ولم أغتصب اللبن من فم الرضيع ، ولم أقتنص طيور الآلهـة ، ولـم أطارد حيواناتها ، ولم اتصيد الاسماك المقدسة من بحيراتها "[5] " أنا لم أمنع الماء حين كـان يجب أن يجري ، أنا لم اقطع قطعاً في قناة ماء جارية ، أنا لم أخمد ناراً او ضوءاً كان يجـب أن تحترق وتتسع ، أنا لم اغتصب قطع اللحم ، أنا لم اطرد الماشية من أمـلاك الآلهـة "[6] ،

---

[1] Loc. Cit .

[2] زكري ، المصدر السابق ، ص109 .

[3] سالم ، المصدر السابق ، ص42 .

[4] ابراهيم ، المصدر السابق ، ص213 .

[5] زكري ، المصدر السابق ، ص109 .

[6] ابراهيم ، المصدر السابق ، ص213 .

"ولم أعطل سير الآلهة عند خروجها "[1] ، " ولم أحمل عاملاً على العمل فوق طاقتــه ، ولــم أكن قوالاً ولا نماماً ، ولم أتعد على كاهن قريتي المقدس "[2].

وبعد هذا الدفاع الذي يقدمه المتوفى يقوده انوبيس ، ليدخل قاعة العدل ، فيقف أمام كل قاضٍ من القضاة الإثنين والأربعين كل على حدة ، ويدعوه بإسمه الــذي يعرفــه ، ويخاطبــه متبرئاً من كل جريمة وخطيئة فيقول :

" تحية يا طويل الخطى	أيها القادم من ايونو	أنا لم أرتكب اثماً
تحية يا من يحتضنه اللهب	أيها القادم من خرعحا	أنا لم أسرق بعنف
تحية أيها الأنف المقدس	أيها القادم من خمنو	أنا لم أرتكب عنفاً مع انسان
تحية يا ملتهم الظلام	أيها القادم من مكان ارتفاع النيل	أنا لم اسرق
تحية يا نحا حعو	أيها القادم من رستاو	أنا لم اذبح رجلاً
تحية أيها السع المزدوج	أيها القادم من السماء	أنا لم أطفف المكيال
تحية يا من عيناه كالظران	أيها القادم من سخم	أنا لم أتعامل مخادعاً
تحية أيها اللهب	يا من تنبثق حين تتراجع	أنا لم أختلس مخصصات الآلهة
تحية يا مهشم العظام	أيها القادم من خنن نسوت	أنا لم أنطق بالباطل
تحية يا من تزيد استعار اللهب	أيها القادم من حت كابتاح	أنا لم أخطف طعاماً "

حتى يصل الميت الى العبارة الاخيرة " تحية يا من تحضر ذراعك أيهــا القــادم مــن "افرث" أنا لم افكر في السخرية من اله مدينتي "[3] .

ويقول الميت : " أنا طاهر أنا طاهر أنا طاهر سلام عليكم أيها القضاة بقاعة الحــق لا تنزلوا علي غضبكم ، ولا تقدموني إلى ألهكم الأعظم مذنباً ، ولا تكونوا سبباً فــي شــقائي، قولوا إني بريء ، فإني لم أعمل إلاَّ ما هو حق بمصر ، ولم أسب الاله ، ولــم أنســب الــى الملك سوءاً الخضوع لكم أيها الآلهة خلصوني يوم الحساب العظيم ، إني لم أعمل سوء فــلا تجعلوا للسوء اليَّ سبيلاً ، لقد أطعمت الجياع ، وسقيت العطشــى ، وكســوت العــراة . إذن فكونوا حماتي ، وخلصوني ، ولا تنسبوا اليَّ التهم في حضرة الإله الأعظــم ، انــي طــاهر اللسان ، طاهر اليدين ، فقولوا لي مرحباً مرحباً أدخل بسلام "[4] .

---

[1] مونتيه ، المصدر السابق ، ص413 .

[2] سالم ، المصدر السابق ، ص43 .

[3] ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ص213-215 .

[4] سالم ، المصدر السابق ، ص43 .

بعد ذلك يعرض قلب الميت على الميزان ، وتوزن أمامه ريشة إلهة العدالة[1] ، بهدف تحري مدى صدق قلب الميت وأقواله وأفعاله[2] . وهو ما يثير الخوف في نفس المتوفى، فيخاطب قلبه قائلاً : " أيها القلب الذي خلقت لي ، وأنا خلقت لك في عالم التكوين ... فلا تسقط كفة الميزان أمام اوزيريس الإله العظيم والديان الرهيب "[3] .

فيوقف " انوبيس " ذبذبة الميزان ، ويعلن أن الكفتين متوازنتان فلا يبقى على "تحوت" إلا تسجيل النتيجة ؛ ليقرر إنتصار الميت ، وإنه " ماع خرو " أي المرحوم صادق القول لينظم إلى مملكة " اوزيريس "[4] .

فيسجل " تحوت " إله الحكمة النتيجة ، ويقول : " اسمعوا أيها القضاه لقد وزن قلبه ، فلم يوجد فيه إثم ، انه لم يعمل سوءاً في دنياه ، ولم يبدد شيئاً مما خصص للمعابد ، ولم يضر أحداً ، ولم يؤذ احداً ، أن ما نطق به هو الحق الذي لا يمكننا أن نفاوض فيه . فليدخل الآن إلى حضرة الإله اوزيريس ، ولنقدم له اللحوم والشراب ، وليكن مسكنه من الأن نعيم الجنة " فينطق الإله اوزيريس بُحكمه قائلاً : " فليخرج الميت فائزاً من قاعة العدل ، وليذهب حيثما شاء ، ولتفتح له أبواب الجنة ، وليرد له قلبه ، ولتوهب له حياة جديدة "[5] .

فقد تصور الإنسان المصري القديم وجود فردوس خاصة بالإله اوزيريس حيث حقول (يام) وأُخرى خاصة بالإله الشمس[6] ، وقد تحدد مكان هذه الجنة على الأرض في الدولتين القديمة والوسطى . أما في الدولة الحديثة فقد أيد البعض وجود الجنة على الأرض لكنهم قالوا أن جنة الملوك في سفينة الشمس . فهم مع الآلهة الذين يرأسهم "رع أو آمون رع " ، ولم تزل هذه العقيدة سائدة في الدولة الحديثة حتى بطل هذا المذهب ، فنشأ مذهب ثانٍ ، يقول : بأَن الجنة التي في سفينة الشمس هي جنة الملوك وغيرهم من عموم البشر ، وبطل الاعتقاد بأنها في الأرض كلها "[7] .

واعتقد المصريون قديماً أن الميت الفائز يعد كأوزيريس ويسمى اوزيريس[8]، بعد أن يأخذ " حورس " بيد المتوفى البريء والذي ثبت صدقه ، ويقدمه إلى اوزيريس فيقول له :

---

(1) المصدر نفسه ، ص43 .

(2) الناضوري ، المصدر السابق ، ص84 .

(3) زكري ، المصدر السابق ، ص111 .

(4) مونتيه ، المصدر السابق ، ص415 .

(5) سالم ، المصدر السابق ، ص44 .

(6) الناضوري ، المصدر السابق ، ص ص84-85 .

(7) زكري ، المصدر السابق ، ص114 .

(8) المصدر نفسه ، ص114 .

"جئت اليك بالميت اوزيريس " ، وبفضل من اوزيريس يصبح الميت " ســاهو – Sahu " أي روح الجسد ، فيمر إلى مملكة اوزيريس بهذا الشكل التي توجد على أرض مستوية ، تتخلــل حقولها القنوات المائية ، ويسكن اوزيريس في جزء منها ، وينغمس الموتى فيهــا بالزراعــة والحراثة والحصاد ، وتوجيه الثيران ويرى فيها الموتى أرواح أجدادهم[1] .

وأعتقد المصريون بإنَّ من يثاب من الموتى يقيم في السماء ، ويطلق عليهم السعداء أو الممجدون الذين يقطنون مكان يقع في الجانب الشرقي من السماء ، وأصــبح لــديهم النعــيم الخالد وأنَّ هنالك ممجدين يقيمون في جزر السماء ، ومنها حقل يسمى حقــل الطعــام الــذي يتناول الممجدون الأطعمة الشهية والمتجددة منه ، وأعتقدوا أيضاً بأن الميت يجلس في قاعــة أمام اوزيريس ، ويخرج الى حقل " يارو " ، فيأكل خبزاً أو يكون له حقل من القمح والشعير يحصده خدام حورس فضلاً عن إمكانية الممجد ان يزرع ويحصد وأن يحوز النساء[2] .

ولكن بلوغ هذا النعيم لا يتم دون مرور الميت بمخاوف تكتنف سبيله ، ولابــد لــه أن يتغلب عليها في طريقه الى الجنة ، إذ يمر في مكان فيه غرف كثيرة ومظلمة تحت مراقبــة الوحوش الضارية ، إلا أنه يمكن إتقاء تلك المخاطر بالإستعانة بكتاب الموتى الــذي يحتــوي تفاصيل تلك المهالك وأساليب التخلص منها[3] .

وأخيراً يقدم للميت المتقي طعام مقدس تتحول روحه به إلى هيئة إلهية[4] . أما إذا تبين تبين خلال عملية وزن الأعمال أن المتهمين قد طغت سيئاتهم على حسناتهم فــإنهم يســلمون على الفور إلى مخلوق غريب يشبه الكلب اسمه (بابــاي) ؛ لابــتلاعهم[5] ، بعــد أن ينطــق أوزيريس بحكمه قائلاً : " أبعد عني أيها الشرير ، وأذهب الى حيث تلاقي أشد العذاب أيهــا القضاة اقتلوه بسيوفكم ، وتغذوا الآن من لحمه ودمه ، لقد جعلتك غنيمة للوحوش والافــاعي "[6]. وبذلك فإن الفاشلين في المحاكمة يبقون في مقابرهم ، يعانون من الجوع والعطش ، ولا ولا يأكلون إلا التماسيح البشعة ، ولا يرون الشمس[7] .

---

[1] Budge, The Book of Dead, p. 31 .

[2] الخطيب ، المصدر السابق ، ص155 .

[3] زكري ، المصدر السابق ، ص115 .

[4] سالم ، المصدر السابق ، ص44 .

[5] ارمان ، ديانة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص259 .

[6] سالم ، المصدر السابق ، ص44 .

[7] ديورانت ، المصدر السابق ، ص163 .

فيما يكلف الأموات الذين تتساوى سيئاتهم مع حسناتهم بخدمة الإلـــه اوزيـــريس وهـــم مثقلون بالتمائم[1] .

[1] الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص93 .

الاستنتاجات

1- في عصور السلالات الحاكمة الأولى حكم الملك مصر كاقطاعية شخصية له لأن مكانة الفرعون ذات اهمية كبرى فالحاكم هو الإله نفسه .

2- يتسم دين المصريين بتعددية واسعة تتمثل بسلسلات من المجاميع المحلية . وأما فكرة المعبود الواحد التي أوجدها الفرد ، أو الناتجة من الكل فقد تم ادخالها في مفهوم بعض الآلهة الرئيسة وإنَّ الآلهة التي لا يمكن احصاؤها ، ما هي إلا براهين لموجود واحد بكل قدراته المتعددة .

3- إنَّ الإله المحلي كان مطلقاً وعالياً في اقليمه العلوي ، ولم يكن للإله العالي أيَّ سلطة خارج نطاق وجوده العلوي .

4- إنَّ معايير المناطق والأقاليم في مصر القديمة تمثل الافكار المختلفة في وادي النيل فكلَّ منطقة منه لها إلهها الخاص الذي قد يكون بشر ، أو حيواناً ، أو نباتاً ، أو طيراً ، أو أيَّ شيء . إلا أن عبادة الشمس كانت النظام الديني النموذجي الأوحد .

5- هناك ثلاثة عناصر أساسية يمكن الاعتراف بها في الديانة المصرية :-

أ- التوحيد الشمسي أي هو الإله الواحد ، خالق الكون ، والذي تظهر قوته بشكل خاص في الشمس ووظائفها .

ب- عقيدة اعادة توليد قوة الطبيعة التي تعبر عن نفسها في تبجيل وتعظيم الآلهة ، كألهة الخصب ، وسلاسل من الحيوانات ومختلف المعبودات .

ج- فكرة الالوهية الدائمية : وهي الحياة في هذا العالم والعالم الآخر .

6- إنَّ محاولة توحيد عبادة الشمس من خلال خلق معبود مركب الى جانب " رع " دليل على تطور العقائد المحلية وتشتمل على تحول نحو الوحدة أو الجماعة في المملكة القديمة .

7- كانت هناك عبادة لرمز تجريدي غير مرئي قدمه (اخناتون) وعلى الرغم من كون العقائد الأخرى ملموسة وظاهرة للعيان كان (اخناتون) استثنائياً .

8- مع تعاقب القرون على مصر كان الدين الفرعوني قريباً من الحاجات الكبرى للسكان حتى وصل الى السكان التقليديين في شريعة او عقيدة (Osiris – اوزيريس) وأن آلهة مصر الصغيرة والكبيرة وما حولها من طقوس وشعائر واسماء مرفقة معها أشياء لا يمكن تفسيرها .

9- إن موقع الفطنة والذكاء يعتبر في مصر القديمة في (القلب) ، وإنَّ المصطلح الذي يستعمل له هو ما نسميه بـ(العقل) ، وإنَّ هذا الالهام من خلال لاهوت (Memphis – ممفيس) حول خلق كل الاشياء بمفهوم وأوامر (Ptah – بتاح) هو اكثر شيء توصل اليه المصريون حول النظرية الفكرية .

10- الاسطورة هي واحدة من أهم الوسائل الشائعة للتعبير عن الافكار الدينية والفلسفية في النظم المتعددة وإنَّ الأساطير المصرية صعبة الفهم ؛ لأنها تنطوي على الكثير من الأشياء الغامضة لنا .

11- حول كل إله مصري قصص كثيرة تحكى غير أنها تتنوع من حقبة لأخرى ، ومن مكان لأخر ، ونتيجة لذلك فإنَّ أساطير الديانة المصرية معقدة جداً وإن بعض التقاليد بقيت ثابتة خلال التاريخ . ويمكن عدها الأساطير الاساسية في النظام الديني وهي قصة الخلق الأول :

أ- الخلق الاساسي الاول .

ب- اسطورة الصراع بين (حورس) و " ست " وحلقة " اوزيريس " .

ج- طبيعة الالهة في الخلق شكلت مواضيعاً ذات اهتمام دائم عند المصريين .

12- كان هناك ميل قوي لعمل الانسجام بين العقيدة الشمسية مع العبادة القديمة الأولى للحيوانات (وإنَّ الرغبة في دمج الفكرتين قادت إلى أساطير متناقضة) .

13- هناك أساطير عدة حول الخلق في مصر القديمة احتوت جميعها على أفكار لاهوتية حول الخلق والموت من أصول متفرقة وخلال مدة طويلة من التطور .

14- هناك نوعان من اللاهوت المصري (الداخلي والخارجي) ، الداخلي المخفي للكهنة والحكماء ارتبط بوحدة وروحية المعبود . أما اللاهوت الخارجي للناس فقد تألف من التفاصيل الميثولوجية الخرافية " لأوزيريس وإيزيس " ومحاسبة الموتى ، وانتقال الروح، وكل شيء يخص العبادة الطقسية للآلهة .

15- في المجال النظري يعتبر الدين والأخلاق شيئين يعتمد احدهما على الاخر .

16- إنَّ اغلب الأشياء الباقية من الحضارة القديمة في مصر جاءت من المعابد والقبور وهذه الحقيقة تقود بالضرورة إلى الإدعاء بأن المصريين كانوا سكاناً دينيين بشكل خاص مشغولين 1بالدفن والموت .

17- فكرة إمتلاك الروح " Ka " عند المصريين القدماء لدى الانسان ولها شكل طير ويمكنها العودة إلى موطنها في الجثة " إذا لم يتفسخ الجسد " وهذه الخرافة ادت بالمصريين الى ابتكار فن تحنيط الأجسام الميتة .

18- إنَّ السمة الكبرى للاعتقاد القديم في مصر والتي بقيت خلال آلاف السنين هي الإيمان بالحياة المستقبلية ، وطبيعة العالم الآخر ، وهو الجانب المهم في الفكر الديني المصري القديم .

19- إنَّ الجوهر الحقيقي من كتاب الموتى أنه كتاب ارشادي ، أو دليل للحوار في العالم الاخر ، أو استعمال الارواح للضيافة في الفردوس المناسب .

20- مع مرور الوقت وتطور الأفكار الدينية والمعنوية بين المصريين أصبح مؤكداً لهم بأنَّ الذين يرضى عنهم " اوزيريس " بقولهم الصدق وأمانة تعاملهم هم فقط الذين سيسمح لهم بالدخول الى مملكته .

قائمة المصادر

أولاً : المصادر العربية والمترجمة :

1- الكتب :

1. ابراهيم ، نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الادنى القديم (مصر من فجر التاريخ الى قيام الدولة الحديثة) ، ج1 ، 4 ، ط3 ، (مصر ، 1960) .
2. أبو بكر ، عبد المنعم ، اخناتون ، (القاهرة ، د.ت) .
3. أبو زهرة ، محمد، محاضرات في مقارنات الأديان (القسم الأول)، (مطبعة يوسف، 1965).
4. ادواردز ، أ.أ.س ، اهرام مصر ، ترجمة مصطفى احمد عثمان ، لجنة البيان العربي، 1956 .
5. ارمان ، ادولف ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ، (مطبعة مصر ، د.ت) .
6. ارمان ، ادولف ورانكه ، هرمان ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ، (القاهرة ، د.ت) .
7. استيندرف ، ديانة قدماء المصريين ، ترجمة سليم حسن ، مطبعة المعارف ، ط1 ، (مصر ، 1923) .
8. الاحمد ، سامي سعيد ، واحمد ، جمال رشيد ، تاريخ الشرق القديم ، مطبعة التعليم العالي ، (بغداد ، 1988) .
9. الاسكندري ، عمر ، وسفدج ، الميجر أ.ج ، تاريخ مصر الى الفتح العثماني مع نبذة في اخبار الامم التي ارتبطت بمصر الى ذلك العهد ، ط6 ، مطبعة المعارف، (مصر، 1972) .
10. الدريد ، سريل ، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، ترجمة مختار السويفي ، العربية للطباعة والنشر، ط3 ،(القاهرة ، 1996) .
11. باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج2 ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، ط2 ، (بغداد ، 1956) .
12. بدوي ، احمد ، في موكب الشمس ، ج1 ، (القاهرة ، د.ت) .
13. برستيد ، جيمس هنري ، تطور الفكر الديني في مصر القديمة ، ترجمة زكي سوس ، (القاهرة ، 1961) .

14. بوترو ، جين وآخرون ، الشرق الادنى (الحضارات المبكرة)، ترجمة عامر سليمان ، مطابع جامعة الموصل ، 1986 .
15. بودج ، السيروااليس، الديانة الفرعونية (افكار المصريين القدماء عن الحياة الاخرى) ، ترجمة يوسف سامي اليوسف ، (عمان ، 1985) .
16. ـــــــــــ ، الساكنون على النيل ، ترجمة نوري محمد حسين ، ط1 ، مطبعة الديواني ، (بغداد ، 1989) .
17. بير ، مونتيه ، الحياة اليومية في مصر من عصر الرعامسة من القرن الثالث عشر الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ترجمة عزيز مرقس منظور ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة ، د.ت) .
18. بيكي ، جيمس ، الاثار المصرية في وادي النيل (كتاب وصفي مختصر) ، ترجمة شفيق فريد ولبيب حسين ، (القاهرة ، 1967) .
19. ـــــــــــ ، مصر القديمة ، ترجمة نجيب محفوظ ، مطبعة المجلة الجديدة ، (القاهرة ، د.ت) .
20. بيومي ، محمد احمد محمد ، علم الاجتماع الديني ، (الاسكندرية ، د.ت) .
21. تشرني ، ياروسلاف ، الديانة المصرية القديمة ، ترجمة احمد قدوري ، مطبعة هيئة الاثار المصرية ، د.ت .
22. جاردنر ، سرالن ، الثورة الدينية ، ترجة نجيب ميخائيل ابراهيم ، القاهرة ، 1973 .
23. حسن ، سليم ، مصر القديمة في عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الاهناسي ، ج3 ، مطبعة كوثر ، (مصر ، د.ت) .
24. حسين ، احمد ، موسوعة تاريخ مصر ، (القاهرة ، د.ت) .
25. حمزة ، عبد القادر ، على هامش التاريخ المصري القديم ، (القاهرة ، 1957) .
26. الخطيب ، محمد ، حضارة مصر القديمة ، مطبعة اتحاد الادباء والكتاب العرب ، (دمشق ، 1993) .
27. الدباغ ، تقي ، الفكر الديني القديم ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، 1992).
28. دريوتون ، اتيين وفانديه ، جاك ، مصر ، ترجمة عباس بيومي ، (القاهرة ، د.ت) .

29. ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة (الشرق الادنى) ، ترجمة محمد بدران ، ج2 ، (بيروت ، د.ت) .
30. رايفشتال ، اليزابيث ، طيبة في عهد امنحوتب الثالث ، ترجمة ابراهيم رزق ، (بيروت ، 1967) .
31. رزقانه ، ابراهيم ، حضارات ما قبل التاريخ (حضارة مصر والشرق القديم) ، (القاهرة ، د.ت) .
32. رزقانه ، واخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، دار مصر للطباعة ، (القاهرة ، د.ت) .
33. رمزي ، محمد ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة 1945 ، ج1 ، ط2 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، 1954) .
34. زايد ، عبد الحميد ، مصر الخالدة (مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام 332 ق.م) ، (مصر ، 1966) .
35. زكري ، انطون ، الادب والدين عند قدماء المصريين ، مطبعة المعارف ، (مصر ، د.ت) .
36. زكي ، عزت ، الموت والخلود في الاديان المختلفة ، دار الجيل للطباعة ، (القاهرة ، د.ت) .
37. سالم ، عبد الحميد ، الحضارة المصرية في العصور القديمة ، ط1 ، مطبعة صلاح الدين ، (الاسكندرية ، 1934) .
38. سبنسر ، أج ، الموتى وعالمهم في مصر القديمة ، ترجمة احمد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة ، 1987) .
39. سوسه ، احمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ط2 ، العربي للاعلان والنشر والطباعة ، (دمشق ، د.ت) .
40. سونيرون ، سيرج ، كهان مصر القديمة ، ترجمة زينب الكردي ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975) .
41. السويفي ، مختار ، مصر والنيل في اربعة كتب عالمية ، ط4 ، العربية للطباعة والنشر ، (المهندسين ، 2000) .
42. السيد ، رمضان عبده علي ، معالم تاريخ مصر القديمة منذ اقدم العصور حتى عام 332 ق.م ، (القاهرة ، د.ت) .

43. شالي ، فيلسيان ، موجز تاريخ الاديان ، ترجمة حافظ الجمالي ، ط2 ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، (دمشق ، 1994) .
44. شعراوي ، عبد المعطي ، اساطير اغريقية (اساطير الالهة الصغرى) ، ج2 ، ط1 ، (القاهرة ، 1995) .
45. شورتر ، الن .و ، الحياة اليومية في مصر القديمة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، 1956) .
46. صابر ، محمد ، مصر تحت ظلال الفراعنة ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، د.ت) .
47. صالح ، عبد العزيز ، الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، ج1 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، (القاهرة ، 1967) .
48. عبد الحليم ، نبيلة ، مصر القديمة (تاريخها وحضارتها) ، (الاسكندرية ، د.ت) .
49. عبد الله ، عبد القادر محمود ، الكتابة الابجدية في مصر القديمة اول اهتداء لمبدأ الابجدية ، ط1 ، (الرياض ، 1995) .
50. علام ، نعمت اسماعيل ، فنون الشرق الاوسط والعالم القديم ، ط2 ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1975) .
51. فخري ، احمد ، مصر الفرعونية (موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام 332 قبل الميلاد) ، دار ممفيس للطباعة ، (القاهرة ، د.ت) .
52. فرانكفورت ، هـ وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، (بغداد ، 1967) .
53. فرويد ، سيجموند ، موسى والتوحيد ، ترجمة جورج طرابيشي ، (بيروت ، 1979).
54. كمال ، محرم ، تاريخ الفن المصري القديم ، دار الهلال ، (مصر ، 1937) .
55. كون ، كارلتون ، قصة الانسان ، ترجمة محمد توفيق حسين ، وعبد المطلب الامين ، (بغداد ، د.ت) .
56. كيلاني ، محمد سيد ، ذيل الملل والنحل للشهرستاني ، ط2 ، (بيروت ، 1972) .
57. لوبون ، غوستاف ، الحضارة المصرية ، ترجمة صادق رستم ، المطبعة العصرية ، (مصر ، د.ت) .
58. مايرز ، ج.ل ، فجر التاريخ ، ترجمة علي عزت الانصاري ، (مركز كتب الشرق الاوسط، 1962) .

59. المرزوقي ، جمال ، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ، ط1 ، (القاهرة ، 2001) .
60. مري ، مرجريت ، مصر ومجدها الغابر ، ترجمة محرم كمال ، (مصر ، 1957) .
61. المصري ، كمال ، تاريخ الفن في العصور القديمة ، ط1 ، (مصر ، 1976) .
62. مهران ، محمد بيومي ، تاريخ الشرق الادنى القديم (الحضارة المصرية) ، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية ، 1984) .
63. ـــــــــــــ، دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم (اخناتون عصره ودعوته) ، (مصر ، 1979) .
64. ـــــــــــــ ، دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم (حركات التحرير في مصر القديمة) ، دار المعارف ، (مصر ، 1976) .
65. ميدكروفت ، ايندلا مونت ، هبة النيل (تاريخ مصر القديمة) ، (القاهرة ، د.ت) .
66. الناضوري ، رشيد ، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري السياسي في جنوب غرب اسيا وشمال افريقيا ، ج3 ، (بيروت ، 1969) .
67. الهاشمي ، طه ، تاريخ الاديان وفلسفتها ، (بيروت ، 1963) .
68. هردوت ، هردوت يتحدث عن مصر ، ترجمة محمد صقر خفاجه ، (دار القلم ، 1966).
69. ولسن ، جون ، الحضارة المصرية ، ترجمة احمد فخري ، (القاهرة ، 1955) .
70. ويلز ، هـ .ج ، موجز تاريخ العالم ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، (مكتبة النهضة المصرية ، د.ت) .
71. ويلكور ، كرستيان ديروش ، توت عنخ آمون حياة فرعون ومماته ، ترجمة احمد رضا ومحمد خليل النحاس ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1974) .
72. يويوت ، جان ، مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، (القاهرة ، 1966) .

2- المقالات المنشورة :

73. باسيليوس ، صموئيل ، السحر ظاهرة اجتماعية عند الشعوب المتخلفة ، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، المجلد 26 ، ج1 ، (مطبعة جامعة القاهرة ، 1969) .

74. ـــــــــــــ ، الملك بنت حتب رع مؤسس الدولة الوسطى حوالي سنة 2070ق.ن، مجلة كلية الاداب ، المجلد 6 ، ج1 ، (مطبعة جامعة القاهرة ، 1953) .

75. بدوي ، احمد ، حورمحب ، مجلة كلية الاداب ، المجلد 10 ، ج1 ، (مطبعة جامعة فؤاد ، ايار ، 1948) .

76. جمعة ، بديع محمد ، العلاقات المصرية الايرانية في عهد داريوس الكبير 522-486 ق.م ، مجلة الشرق الاوسط ، العدد 3 ، (مطبعة جامعة عين شمس ، 1976) .

77. حاطوم ، نور الدين ، لقاء الحضارات ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد 13 ، (القاهرة ، 1967) .

78. الدباغ ، تقي ، الهة فوق الارض (دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الشرق الادنى واليونان ، مجلة سومر ، المجلد 23 ، ج2 ، (بغداد ، 1967) .

79. الدسوقي ، خالد طه ، العلاقات المصرية الفلسطينية في النصف الاول من الالف الاول قبل الميلاد ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد 3 ، مطبعة الجيلاوي ، (مصر ، 1976) .

80. شكري ، محمد انور ، بين المادية والروحية في مصر القديمة ، مجلة كلية الاداب ، جامعة فؤاد الاول ، المجلد 2 ، العدد 9 ، كانون الاول ، 1947 .

81. صالح ، عبد العزيز ، ماهية الانسان ومقوماته (العقائد المصرية القديمة) ، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، المجلد 27 ، (مطبعة جامعة القاهرة ، 1969) .

82. ـــــــــــــ ، مداخل الروح (الابواب الوهمية) وتطوراتها حتى اواخر الدولة القديمة ، حوليات كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، المجلد 22 ، العدد 1 ، (مطبعة جامعة القاهرة ، 1964) .

83. عبد الحليم ، نبيلة محمد ، الولادة المقدسة ودورها في احقية عرش مصر القديمة ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد 26 ، (مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1979) .

84. عصفور ، محمد أبو المحاسن ، بين الفنون والبيئة في كل من العراق ومصر في عصورها القديمة ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، العدد 11 ، 1976 .

85. غطاس ، فرنسيس عبد الملك ، البيت في مصر القديمة ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد 23 ، مطبعة الجيلاوي ، (مصر ، 1976) .

86. لبيب ، ماهر ، الاشادة بالنصر عند الفراعنة ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد 2 ، العدد 1 ، 1949 .

87. منقوش ، ثريا ، تاريخ الآلهة اليمانية والتوحيد الإلهي ، مجلة المؤرخ العربي ، (بغداد : 1978) ، العدد 9 .

3- الاطاريح الجامعية :

88. ابو غازي ، ضياء محمود ، رع في الدولة القديمة ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب ، (جامعة القاهرة ، 1966) .

ثانياً : المصادر الاجنبية Foreign Sources :

89. Aldred, Cyril,Egypt to the End of the old kingdom, (London, 1965).

90. Baedeker, K, Egypt Handbook for Travellers, (London, 1885).

91. Baikie, James, The Ancient East and its story, (London, n.d) .

92. Baumgartel, Elise, J, The Cultures of pre-Historic Egypt, Vol. II, (London, 1960) .

93. Bernard, C. O, The Native Egyptians, (The Historical Essence of An Outstanding Early Culture), (New York. 1979) .

94. Bonwick, James, Egyptian Belief and Modern Thought, (Colorado, n.d) .

95. Breasted, James Henry, A History of Egypt from the Earliest to the persian conquest, (U.S.A. 1905).

96. Budge, E. A. Wallis, The Book of the Dead, (England, 1922) .

97. ----------, The Dwellers on the Nile, (London, 1926) .

98. --------- , The Egyptian Ideas of the future life In Egyptian Religion, (New York. 1959) .

99. ---------- , The Nile, (London, 1960) .

100. Carrington, Richard, The Tears of Isis : The story of A New Journey from the mouth to the source of River Nile, (London, 1959) .

101. Clifford, John, H, The standard History of the world , (New York, 1907) .

102. Cottrekll, Leonard, The Mountians of pharaohs 2000 years of pyramid Exploration, (London, 1956) .

103. Edwards, Amelia, B, A Thousand miles up the Nile, (London, 1899).

104. Eiddon, Edward Ioreeth, The pyramids of Egypt, (Great Britain, 1961).

105. Fakhry, Ahmed, The pyramids, (London, 1961) .

106. Gardiner , Sir Allan, The Egypt of the pharaons (An Introduction), (Oxford, n. d) .

107. Giles, F.J, Ikhnaton legend and History, (London, 1970) .

108. Glanville, S. R. K, Legacy of the Egypt,)Oxford, 1942).

109. Greener, Leslie, The Discoveries of Egypt , (London, 1966).

110. Hall, H. R, The Ancient History of the Near East from the Earliest Times to the Battle of Salamis, (London, 1927) .

111. Hawkes, Jacqmetta, History of Mankind : Cultural and scientific Development , Vol. I, (Pre - history and Beginnings of Civilization, (London, 1964) .

112. Kamil, Jill, The Ancient Egyptians : A popular Introduction to life in the pyramid Age, (Egypt, 1966) .

113. ---------- , A Guide to Ancient Thebes, (New York, 1943) .

114. Kaster, Joseph and Lane, Allen, The Literature and mythology of Ancient Egypt, (U.S.A. 1988) .

115. King, L.W (et. Al), Egypt and the western Asia in the Light of Recent Discoveries, (London, 1907) .

116. Little, Tom. Egypt, (London, 1958) .

117. Maspero, G, The Dawn of Civilization Egypt and chaldea, (London, 1901) .

118. Mertz, Barbara, Temples, Tombs and Hieroglyphs (The story of Egyptology), (London, 1064) .

119. Montet, Pierre, Eternal Egypt, (London, 1964) .

120. Murray, Margaret, A, The Splendour that was Egypt (A General survey of Egyption Culture and Civilization), (London 1949) .

121. Neubert, Otto, The Valley of the kings, (London, 1957) .

122. Nilson, Nina, Your Guide to Egypt, (London, 1924) .

123. Payne, Elizabeth, All About the pharons, (London, 1966) .

124. Pritchard, James, B, The Ancient Near East (An Anthology of Texts and pictures, (London, 1958) .

125. Rawllinson, George, History of Ancient Egypt, (London, 1881) .

126. Redford, Donald. B, AKhnaton, (Cairo, 1984) .

127. Rostam, Osman, R, Selected Essays on many subjects, (Bairut, 1972) .

128. Stindorff , George and seele, keith . C, when Egypt Ruled the East, (Chicago, 1942) .

129. Ward, William. A, The Spirit of Ancient Egypt, (Beirut, 1965) .

130. Weech, W. A, History of the world, (Bomboyon, d) .

131. Weigull, Arthur, Tutankhamen and other Essays, (New York, 1924).

132. Williams, Henry Smith, The Historians History, (London, d) .

133. Wilson, John, A, The Burden of Egypt (An Interpretation of Ancient Egyptian Culture), (Chicago, 1951) .

134. Zandee, J, Death As An Enemy According to Ancient Egyptian Conceptions, (London, 1960) .

الخاتمة

1- في عصور السلالات الحاكمة الأولى حكم الملك مصر كاقطاعية شخصية له لأن مكانة الفرعون ذات اهمية أكبر فالحاكم نفسه هو الاله نفسه .
2- يتألف دين المصريين من تعددية واسعة تتمثل بسلاسل من المجاميع المحلية وان فكرة المعبود الواحد التي اوجدها الفرد او الناتجة من الكل تم ادخالها في مفهوم بعض الالهة الرئيسية وان الالهة التي لا يمكن احصاءها هي فقط براهين لموجود واحد بكل قدراته المتعددة .
3- ان الاله المحلي كان مطلقاً وعالياً في اقليمه العلوي ولم يكن للاله العالي أي سلطة خارج نطاق وجوده العلوي .
4- ان معايير المناطق والاقاليم في مصر القديمة تمثل الأفكار المختلفة في وادي النيل وكل منطقة فيه مع الهها الخاص الذي قد يكون بشر أو حيواني او نباتي او طير او أي شيء ولكن عبادة الشمس هي النظام الديني الوحيد النموذجي .
5- هناك ثلاثة عناصر اساسية يمكن الاعتراف بها في الديانة المصرية :

أ- التوحيد الشمسي أي هو الاله الواحد خالق الكون والذي يظهر قوته بشكل خاص في الشمس ووظائفها .

ب- عقيدة اعادة توليد قوة الطبيعة التي تعبر عن نفسها في تبجيل وتعظيم الالهة كألهة الخصب وسلاسل من الحيوانات ومختلف المعبودات .

ج- فكرة الالوهية الدائمية وهي الحياة في هذا العالم والعالم الآخر .

6- ان محاولة توحيد عبادة الشمس من خلال خلق معبود مركب الى جانب " رع " لدليل على تطور العقائد المحلية يشتمل على تحول نحو الوحدة والجماعية في المملكة القديمة .
7- كانت هناك عبادة لرمز تجريدي غير مرئي قدمه (اخناتون) وحيث كانت العقائد الاخرى ملموسة وظاهرة للعيان كان (اخناتون) استثنائياً .
8- مع تعاقب القرون على مصر فقد كان الدين الفرعوني قريباً من الحاجات الاكبر للسكان حتى وصل الى السكان التقليديين في شريعة او عقيدة (osiris – اوزيريس) وان الهة مصر الصغيرة والكبيرة هي شيء لا يمكن تفسيره وكل شيء حولها كالطقوس والشعائر والاسماء المرفقة معها .
9- إنه في مصر القديمة كان موقع الفطنة والذكاء يعتبر في (القلب) وان المصطلح الذي يستخدم له هو ما نسميه (العقل) وان هذا الالهام من خلال لاهوت (Memphis – ممفيس) حول خلق كل الاشياء بمفهوم واوامر (Ptah – بتاح) هو اكثر شيء توصل اليه المصريين حول النظرية الفكرية .
10- الاسطورة هي أحد الوسائل الشائعة للتعبير عن الافكار الدينية والفلسفية في النظم المتعددة وان الاساطير المصرية هي صعبة الفهم لانها تنطوي على الكثير من الاشياء الغامضة لنا .
11- حول كل اله مصري هناك قصص كثيرة تحكى ولكن القصص تتنوع من فترة لأخرى ومن مكان لاخر ونتيجة لذلك فان اساطير الديانة المصرية هي معقدة جداً وان بعض التقاليد بقيت ثابتة خلال التاريخ ويمكن اعتبارها الاساطير الاساسية في النظام الديني وهي قصة :

أ- الخلق الاساسي الاول .

ب- اسطورة الصراع بين (حورس) و (ست) وحلقة (اوزيريس) .

ج- طبيعة الالهة في الخلق شكلت مواضيعاً ذات اهتمام دائم عند المصريين .

12- كان هناك ميل قوي لعمل الانسجام بين العقيدة الشمسية مع العبادة القديمة الاولى للحيوانات (وأن الرغبة في دمج الفكرتين قادت الى اساطير متناقضة) .

13- هناك عدة اساطير حول الخلق في مصر القديمة وتحتوي جميعها على افكار لاهوتية حول الخلق والموت من اصول متفرقة وخلال فترة طويلة من التطور .

14- هناك نوعين من اللاهوت المصري (الداخلي والخارجي) الداخلي المخفي للكهنة والحكماء ارتبط بوحدة وروحية المعبود اما اللاهوت الخارجي للناس فقد تألف من التفاصيل الميثولوجية الخرافية "لاوزيريس وايزيس" ومحاسبة الموتى وانتقال الروح وكل شيء يخص العبادة الطقسية للالهة .

15- في المجال النظري يعتبر الدين والاخلاق سيئين يعتمد احدهما على الاخر .

16- ان اغلب الاشياء الباقية من الحضارة القديمة في مصر جاءت من المعابد والقصور وهذه الحقيقة تقود بالضرورة الى الادعاء بان المصريين كانوا سكان دينيين بشكل خاص مشغولين بالدفن والموت .

17- فكرة امتلاك الروح " ka " عند المصريين القدماء لدى الانسان ولها شكل طير يمكنها العودة الى موطنها في الجثة " اذا لم يتفسخ الجسد " وهذه الخرافة أدت بالمصريين الى ابتكار فن أمثل وتقليد شائع وهو فن تحنيط الاجسام الميتة .

18- ان اكبر سمة للاعتقاد القديم في مصر والتي بقيت خلال الاف السنين الايمان بالحياة المستقبلية وطبيعة العالم الاخر وهو الجانب المهم في الفكر الديني المصري القديم .

19- ان الغاية الحقيقية من كتاب الموتى انه كتاب ارشادي او دليل للحوار في العالم الاخر او استخدام الارواح للضيافة في الفردوس المناسب .

20- مع مرور الوقت وتطور الافكار الدينية والمعنوية بين المصريين اصبح مؤكداً لهم بأنه فقط الذين ارضوا " اوزيريس " بقولهم الصدق وامانة تعاملهم على الارض هم الذين يسمح لهم بالدخول الى مملكته .